

تأليف
الدكتور الشيخ
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت - المنطقة التجارية رقم ٩بلوك ١مكتب ١٢.
E-mail: alsamaha_laib@gmail.com

تأملات في فقه النهضة

(نقوش سياسية، حركية وفكرية)

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

تطلب منشوراتنا

فى الكويت من : شركة السماحة ــ الكويت.

الرمز البريدي: ٤٣٧٥٦ ص. ب: ٦٦٥٢٠ بيان.

ت/ ٩٩٥٥٧٤٧١

فى مصر من : مؤسسة شروق للنشر والتوزيع

المنصورة - شارع جيهان - أمام مستشفى الطوارئ.

ت: ٠٥٠/٢٢٥٢٨٦٠

سلسلة من وحي التجربة

رقم السلسلة (٢٢) الرقم الفني (٣)

تأمــــــلات

في

فقه النهضة

(نقوش سياسية ـ حركية وفكرية)

تأليف

الشيخ الدكتور/ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

مؤسسة السماحة

للطباعة والنشر والتوزيع

الموضوع: **سلسلة من وحي التجربة.**
اسم الكتاب: **تأملات في فقه النهضة.**
التأليف: **الشيخ د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين.**
عدد الصفحات: **٢٢٨ صفحة = ١٥ ملزمة.**
قياس الصفحة: **١٧×٢٤ سم.**
رقم الإيداع : **٢٠١٠/٢٣٠٩١**

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ
٢٠١٢م

شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت

الإهْدَاءُ نَثْراً

إلَى وَالِدَتِي مُنِيرَةَ، الَّتِي لَهَا مِن اسْمِهَا نَصِيبٌ، فَقَدْ أَنَارَتْ لِي طَرِيقَ حَيَاتِي، فَعَرَفْتُ رَبِّي، وَسَلَكْتُ مَنْهَجَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ.

إلَى وَالِدَتِي الَّتِي أَرْضَعَتْنِي مَعَانِي الْخَيْرِ كُلَّهَا، فَكَانَتْ مَدْرَسَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ يَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَعَلَّمَتْنِي الإِحْسَانَ إِلَىٰ الآخَرِينَ وإنْ أَسَاؤُوا، وأَرْضَعَتْنِي مَعَانِي الصَّبْرِ الَّتِي قَرَأْنَا فِي الْمُجَلَّدَاتِ وكَتَبْنَاهَا. لَقَدْ عَلَّمَتْنِي مَعْنَىٰ الإِنْفَاقِ مِمَّا كَانَ فِي يَدِهَا لِتُدْخِلَ بِهِ السُّرُورَ عَلَىٰ الآخَرِينَ.

إلَى وَالِدَتِي الَّتِي لَمْ تَعْرِفِ الشَّكْوَىٰ فِي حَيَاتِهَا، وَلَمْ تَئِنَّ مَعَ كَثْرَةِ أَمْرَاضِهَا.

إلَى وَالِدَتِي الَّتِي كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِهَا ـ رَحِمَهَا اللهُ ـ بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ، وَإِنِّي لأَذْكُرُ قَوْلَ أَحَدِ الأَصْدِقَاءِ عَنْ أُمِّهِ بَعْدَ وَفَاتِهَا: لَقَدْ ذَهَبَتْ مَنْ كُنَّا بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ. وإِنِّي لأَقُولُ: لَئِنْ تَنَعَّمْتُ بِدُعَاءِ أُمِّي فِي حَيَاتِهَا، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بِالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ لَهَا دُعَاءً، ازْدَادَتْ نَفْسِي إِحْسَاساً بِالنَّعِيمِ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَنَعَّمُ بِدُعَائِهَا فِي حَيَاتِهَا وَأَتَنَعَّمُ بِالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَفِي الحَالَتَيْنِ، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بِخَيْرِهَا فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ.

وَلَسْتُ أَعْرِفُ لإِنْسَانٍ فَضْلاً عَلَيَّ ـ فِيمَا أَنْعَمُ بِهِ مِنْ فَضْلٍ ـ خَيْراً يُعَادِلُ أَوْ يُقَارِبُ فَضْلَ وَالِدَتِي ـ رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَىٰ. وَأَسْأَلُ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا لِي، وَيَسْتَجِيبَ دُعَائِي لَهَا.

لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهَا الصَّبْرَ وَالتَّجَلُّدَ؛ فَقَدْ شَطَبَتْ مِنْ حَيَاتِهَا مَا يُسَمَّىٰ بِالإِيذَاءِ، فَكَانَتْ لَا

تُؤْذِي أحَداً وَلَا شَيْئاً حَتَّىٰ الأرْضَ الَّتِي كَانَتْ تَمْشِي عَلَيْهَا، عَلَّمَتْنِي مَعَانِي كَثِيرَةً، قَدَّمَتْهَا وَهِيَ تُضَحِّي بِصِحَّتِهَا وَوَقْتِهَا وَسَعَادَتِهَا.

إلَى وَالِدَتِي الَّتِي أعْرِفُ مِنْ مَدْرَسَتِهَا الْكَثِيرَ، وَلَا يَسَعنِي ذِكْرُهُ فِي هَـٰذَا الإِهْدَاءِ، وَسَأُفْرِدُ لَهُ رِسَالَةً خَاصَّةً، إنْ شَاءَ اللهُ.

إلَى وَالِدَتِي أُهْدِي ثَوَابَ هَـٰذِهِ الرَّسَائِلِ، لَعَلِّي أُؤَدِّي زَفْرَةً مِنْ زَفرَاتِهَا فِي وِلَادَتِي.

وَأَهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إلَىٰ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَأَهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إلَىٰ رَفِيقَةِ الدَّرْبِ أُمِّ مُعَاذٍ، الَّتِي كَانَتْ لِي عَوْناً فِي صَبْرِهَا عَلَىٰ سَهَرِي وَسَفَرِي.

وَأَهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إلَىٰ أوْلادِي جَمِيعاً، ذُكُوراً وَإنَاثاً.

وَأَهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إلَىٰ كُلِّ مَنْ أسْهَمَ فِي إخْرَاجِهَا، وَجَعَلَهَا بَيْنَ يَدَي النَّاسِ فِي الـمَشْرِقِ وَالـمَغْرِبِ.

وَإنَّنِي إذْ أكْتُبُ هَـٰذَا الإِهْدَاءَ، أَرْجُو مِنْ إخْوَانِي الَّذِينَ يَكُونُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ هَـٰذَا الْكِتَابُ أَلَّا يَنْسُونَا جَمِيعاً مِنْ صَالِحِ دُعَائِهِمْ.

الشَّيْخُ الدّكتُور

جَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَلْهَل الْيَاسِين



الإِهْدَاءُ شِعْراً

أُمَّـــــاهُ كُنْتِ مُنِيــرَةً وَمَنَـارَةً عُلْيَـــا وَصَـرْحـــاً ثَابتَ الأَرْكَـــانِ
قَـدْ كُنْتِ مَـدْرَسَـةً تُعِـدُّ نُفُـوسَنَـا لِصَنَائعِ المَعْـرُوفِ وَالإِحْـسَـــانِ
قَـــدْ كُنْتِ لِلأَيْتَـامِ أُمّــــاً بَـرَّةً وَالجَـارِ وَالمِسْكِينِ أَرْأَفَ حَـــــانِ
أَرْضَعْـتِنَا الأَخْلاقَ شَـهْداً سَلْسَلاً تَدْنُو ثِمَـارُ قُطُـوفِـهَـا لِلْجَـــانِي
عَلَّمْـتِنَا الصَّبْـرَ الجَـمِيلَ خَلِيقَـةً وَالقَــوْلَ لِلحُــسْنَى وَكَفَّ لِسَانِ

❖ ❖ ❖

أَبَتَــاهُ قَـدْ رَبَّيْــتَنِـي وَأَحَطْـتَنِي بِـرِعَـايَةٍ فِـي غِـــبْطَـةٍ وَأَمَـانِ
وَفَّـرْتَ أَسْـبَــابَ السَّـعَـادَةِ وَالهَنَا فَـجَـعَلْـتَنِي أَسْـمُو عَلَى الأَقْرَانِ
فَجَـزَاكَ رَبُّ العَـرْشِ خَـيْـرَ جَـزَائِهِ وَأُسْكِـنْتَ فِي رَوْحٍ وَفِـي رَيْحَـــانِ

❖ ❖ ❖

نَوَّرْتَ يَا بَدْرَ الدُّجَا سُبُلَ العُــلا بِـالفَـــضْـلِ لاَ فَظّ وَلاَ مَنَّــانِ
كَمْ ذَا تُقَـــابِلُ بِـالسُّـرورِ تَدَلُّلِي بِمَـــحَــــبَّـةٍ وَبِرَأْفَـةٍ وَحَنَـــانِ
أَحْــبَـبْــتَنِـي قَـرَّبْتَنِـي رَبَّيْــتَنِـي بِـالعِـزِّ فِي ثِقَـةٍ وَفِـي اطْمِــئْنَانِ

❖ ❖ ❖

أَرَفِـيـقَـتِي كُنْتِ الشُّـعَاعَ إِذَا دَجَـا لَيْلُ الحَــيَـاةِ بِمُظْلِمِ الحِـدْثَانِ
قَـدْ كُنْتِ خَـيْـرَ شَـرِيكَـةٍ وَمُـعِـينَـةٍ فِي البِــرِّ عِنْدَ تَقَـاعُسِ الأَعْـوَانِ
الصَّـبْـرُ فِـيكِ مَعَ الوَفَاءِ سَـجِـيَّـةٌ بِتَـــعَــــاقُبِ الأَفْـرَاحِ وَالأَحْـزَانِ

❖ ❖ ❖

يَا حَـبَّذَا أَفْـلاذُ أَكْـبَـادٍ بِهَـا | كَـمُلَ المُـرَادُ وَقَـرَّتِ العَـيْنَـانِ
فَاحْفَظْ مُعَاذاً وَاحْفَظَنَّ مُهَلْهِلاً | أَمَدَ الزَّمَـانِ وَعَـابِدَ الرَّحْـمَنِ
لاَ زَالَ عَـبْدُ اللهِ فِي حِـفْظٍ وَلاَ | زَالُوا جَـمِـيـعـاً غُرَّةَ الفِـتْـيَـانِ
وَلْتَـحْظَ عَـائِشَـةٌ وَفَـاطِمَـةٌ بِمَـا | قَـدْ شَـاءَتَـا مِنْ بُغْـيَـةٍ وَأَمَـانِ
وَاحْـفَظْ هَـيَـا وَمُنِـيـرَةً يَا رَبَّنَـا | مِنْ مُـبْطِنِ البَـغْـضَـاءِ وَالشَّنَآنِ

❖ ❖ ❖

يَا رَبِّ لاَ زَالَ الجَـمِـيـعُ بِنِعْـمَـةٍ | وَقِـهِمْ شُـرُورَ الحَـاسِدِ المَعْـيَـانِ
صَلَّـى الإِلهُ عَلَى النَبِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ | وَالآلِ وَالأَصْـحَـابِ كُـلَّ أَوَانِ

❖ ❖ ❖

الشَّيْخُ الدّكتُور

جَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَلْهِل الْيَاسِين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن «**الكلمة الطيبة صدقة**»[١] والكلمة الطيبة هنا هي كلمة الحق: نصح في الله، وأمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو إرشاد إلى أقوم السبل، أو مشورة صادقة، أو رأي سديد، أو غير ذلك من مسالك غير معوجة تجري فيها كلمة الحق بالخير والبر، هذه الكلمة الطيبة لا تتملق عواطف الناس، ولا تجاريهم في أهوائهم، ولا تسير خلف رغباتهم، بل إنها قد تصطدم بمشاعر الناس، وقد تخالف أفكارهم أحيانا، وقد يعارضونها أو يقبلونها، وليس هذا هو المهم، وإنما الأولى بالرعاية والاعتبار أن تكون الكلمة صادقة، نابعة عن إحساس قوي، خالية من الانفعال والتكلف، لا تحمل أذى لأحد، ولا سخطا على أحد، ولا تثير بين الناس زوابع من سوء الفهم والبعد عن القصد.

وقد حاولت جهدي أن تكون كلمتي كذلك، صادقة في بواعثها، صادقة في غايتها وتوجهاتها، حتى لو آلمت بعض الناس ـ أحيانا ـ وماذا يملك من يتحدث مع الناس أو يكتب إليهم في المشاكل اليومية، والهموم المستجدة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؟ إنه في تشخيصه وعلاجه والتزامه الصدق لا يملك أن يرضي كل الناس؛ إذ ليس كل الناس ترضيه كلمة حق ترشده إلى هدى أو تصده عن ردى. وقديما قالوا: لو أنصف الناس استراح القاضي. ولا يملك غيور على وطنه وأبناء بلده أن يقف صامتا أمام مشكلات قليلها يأتي رغما عنا، وكثيرها من صنع أيدينا، ولو أحسنا وأخلصنا واجتهدنا ونصحنا لتخلصنا من كثير من المشاكل والعوائق بدون تكاليف تذكر في الأنفس أو في الأموال.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٤)، والترمذي (١٦١٥).

ولذا حرصت أن أبادر إلى إظهار الرأي وتسجيله في الصحف ونشره بين الناس ليكون هذا الرأي ـ مع غيره من آراء المخلصين ـ شمعة تبدد ظلام المشكلات، وقد تساعد الآخرين على تجنب العثرات، ومنذ الصغر كنا نحفظ: إن أوقدت شمعة فهي خير لك من أن تلعن الظلام.

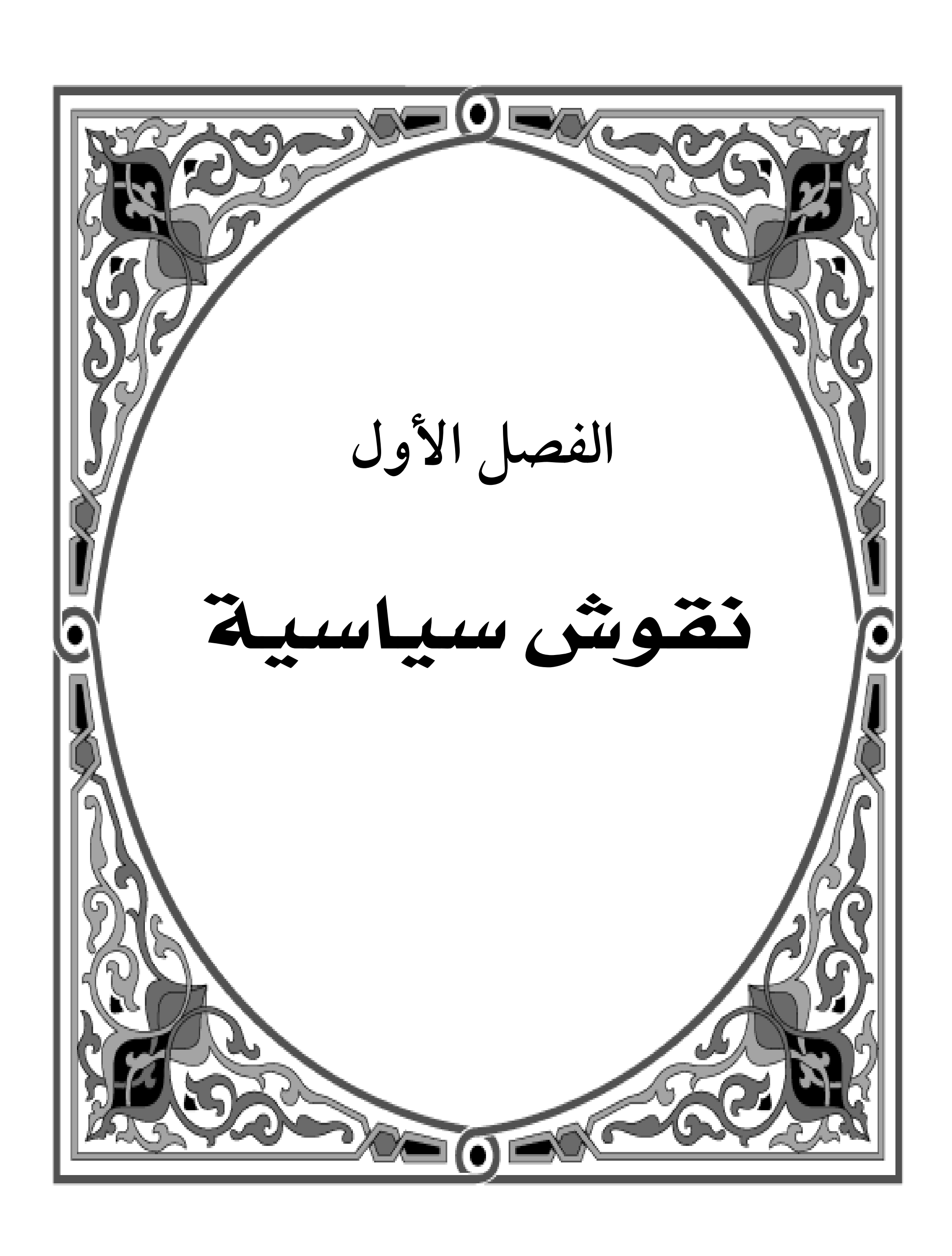
والمشكلات يعرفها كل أحد؛ لأنه يعيشها وقد يكتوي بنارها، ولكن الحلول هي التي يمكن أن تغيب عن الأذهان، وقد حاولنا أن نقدم بعض الحلول، لعل فيها راحة للمتعبين، وتبصيراً للساكن.

ولا غضاضة في أن أذكر القارئ الكريم بأن هذه كانت مقالات متفرقة نشرت في الصحف في أزمان مختلفة، لكن يجمعها أنها موجهة لأبناء الكويت وأنها متابعة لأحداث داخلية أو خارجية تهمنا ـ ككويتيين أولا وتهم معنا جميع المسلمين ـ وأنها في قرارها المكين وعمقها البعيد تستند إلى أسس إسلامية، لا يمكن لإنسان مخلص لربه ولدينه أن ينساق بعيدا عنها، فضلا عن أن يناقضها.

وأخيرًا، فإن كنت وفقت فذلك فضل الله، وإن كانت الأخرى، فالحمد لله على كل حال.

وسلام على الصادقين.

الشيخ د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين



الفصل الأول

نقوش سياسية

مدخـــل

أمور كثيرة طرأت على حيــاة أمتنا الإسلامية فأفقدتها حريتهــا، وأوقعتها ما بين التضليــل والتجهــيل، وغيبــتهــا طويلا عن إيقاع الحيــاة. . وأقامت الأمــة بعد طول غياب، فإذا الخــلافة قد سقطت، والشريعة قد تعطلــت، والمناهج قد تغيرت، والمرأة قد تبــرجت، ومشاعــر الناس قد تبلدت، فغلظت بعــد رقة، وتكدرت بعد صــفو، واضطربت بعد هدوء واطمئنان.

ونظر العقــلاء من الأمة إلى مــقاليد الحكم فــوجدوها قــد آلت إلى أيد شريت الذل، وأدمنت القيد، وتهيأت لتقــديس الوافد الغربي الأثيم، وأصبحت الأمة تحكم بغير شــريعتها، وتساس بغيــر إرادتها، وتوجه لغير وجــهتها، وتنقاد لرغبــة ذابحها؛ الذي أوصلها بطول مكر ودقيق كيد إلى هذه الحال.

إن الأنظمة الفردية المستبدة المسعورة التي تتحكم في مصير الأمة بالحديد والنار، أنظمة صنعها الغرب الصليبي على عينه؛ ليضمن عن طريقها تكميم الأفواه، وتركيع الجباه؛ ثم يفعل بها بعد ذلك ما يريد.

ومن هنا تأتي دعوتي إلى ضرورة إيقاظ الأمــة، وإعادة النظر فى طرائق التربية، ووسائل الإيقاظ بدءًا من المنزل والمسجد والمدرسة وانتهاءً بالبرلمان ومجالس التشريع، وآلية الحكم.

أولاً: الحكومة الخفية والسقطات الرئاسية

(١) ميزان لا يخطئ:

المسؤولون والقياديون ينالهم من اهتمام الناس بهم وبأعمالهم وتاريخهم حظ عظيم، وبقدر ثقل هذا القيادي أو ذاك المسؤول في ميزان الأخلاق ـ عند المسلمين ـ وفي ميزان الأعراف البشرية ـ عند غير المسلمين ـ تتحقق منزلة القيادي ودرجته التي تعلو وتعلو حتى يظن البعض أنه فاقد الشبيه، عديم النظير، وأن الحياة بغيره يحيط بها شر خطير، أو تهبط وتهبط حتى يتمنى البعض أن لم يكن لهذا القيادي وجود في الحياة، ويعملون على التخلي عنه مع أول فرصة تتاح.

وهذا ميزان حساس عند المسلمين وغيرهم، وهو مقياس لالتفاف الجماهير أو تخليها، وهو ميزان صادق حتى مع الذين اختارهم الله لرسالاته، واصطفاهم لتبليغ خلقه من الرسل والأنبياء، فإنهم -جميعا- حازوا من الفضائل أعلاها، ومن المكارم أوفاها، وما جاء عنهم في كتاب الله هو دليل الطهر والنقاء، والصبر والوفاء، لم تغيرهم عن معالي القيم في الحياة سراء أو ضراء، ورسولنا ﷺ هو النموذج الأكمل للمثالية المترفعة عن الدنايا، فحياته قبل البعثة وبعدها تشع بالضياء والنور والصفاء، والفضائل الحسان، فما ذاق مرة واحدة قطرة خمر، ولا خان عهدا، ولا أعان ظالما، ولا ارتضى ظلما. . . إلى غير ذلك من المحامد والسجايا، ولذا كان التفاف المسلمين حوله عظيما وتعلقهم به جليلا كبيرا.

نقول هذا ونحن ندرك أن درجة الأنبياء فوق درجة بقية القيادات والزعامات، مهما ارتفعت؛ لأن أي زعيم مهما نقت سيرته، وطابت سريرته، وذاعت شهرته، لابد أن تجد له سقطة أو سقطات هنا أو هناك، أما الأنبياء فهم فوق هذا المستوى؛ لأن الله عصمهم في دينهم وحفظهم واصطفاهم في الذروة من خلقه، ليظلوا ـ وهم من بين البشر الذين يجري عليهم ما يجرى على البشر من موت وحياة وغير ذلك ـ نماذج يقتدى بها في رفعة الأخلاق وسموها وشمولها وعمومها، وقد عبر عن ذلك أحد المشركين حين عرضت عليه تعاليم الإسلام فقال: «لو لم يكن ما جاء به محمد دينا لكان في أخلاق الناس حسنا».

(٢) المصالح هي المحرك:

ميزان الفضائل عند المسلمين وما تعارف عليه الناس ـ عند غير المسلمين ـ ميزان لا يخطئ، ولكن البعض يتهاون في هذا الميزان أحيانا، أو يتغافل عنه أحيانا لمصلحة تتحقق، فإذا توقفت المصلحة أو تحققت على نحو غير مرضي عادوا للميزان ناظرين، وقالوا: إن الخلل موجود والفساد مرصود والإصلاح مطلوب.

وهذا بعينه ما يحدث هذه الأيام في أمريكا، حيث يُنصب الميزان من جديد لكلينتون، وسط الأضواء الصاخبة، والإعلام الذي لا يعرف رحمة، والدعايات الكثيرة المتعددة، التي تعدد له من الفضائح الجنسية والمخازي الأخلاقية الكثير. . .

وليس ما اقترفه هذا القيادي أو غيره في غير بلاد المسلمين بجديد عليهم؛ لأنهم كلهم ـ قياديين وغير قياديين ـ واقعون في هوة الرذيلة، حريصون على اقتناص الشهوات الجنسية من حيث جاءت بها شياطين الإنس، الذين يروجون لها ويصطادون بها بعض الناس ممن تواتيهم الحظوظ فيرتقون سلم القيادة سواء وصلوا إلى أعلاه أم وقفوا عند بعض درجاته، والحوادث التي تتردد الآن وتعلن عن (كلينتون) ليست وليدة اليوم؛ لأن أغلبها حدث قبل توليه منصب الرئاسة الأمريكية، أيام أن كان حاكما لولاية أركنسو، ولا نشك في أنها كانت معروفة عند العاملين في دهاليز السياسة أو بالأحرى في (الحكومة الخفية) التي توجه كثيرين من قادة العالم ـ راضين أم كارهين ـ لأن يفعلوا ما يؤمرون، ويحققوا لهذه الحكومة الخفية أغراضها، من غير أن يلفتوا الأنظار إليها.

كانت هذه الفضائح أو بعضها على الأقل معروفة عند اليهود الذين يعرفون كيف ينتهزون الفرص، ويكشفون الأوراق في الوقت المناسب، ليحققوا ـ من ذلك ـ لأنفسهم مكسبا، أو يوفروا عليهم مغرما، وها هم يستغلونها ويلوحون بها وبغيرها، حتى يسقط كلينتون اهتمامه برعاية ما يسمى في هذه الأيام (مسيرة السلام) التي أصابها التعثر قبل بدئها، وفشلت قبل إتمامها؛ لأن اسرائيل لا تريد غير الأرض، وهي تبني فوقها المستوطنات، وتشق الطرق وتطوق القرى العربية، وتعمل على إقامة ثلاثين ألف مسكن في القدس وحدها؛ لتكرس بقاءها عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل، وإن أراد المسلمون قدسا فليبنوا لهم قرية في مكان قريب من مدينة القدس يسمونه (القدس) وليتخذوه عاصمة لهم إذا شاءوا، وإن أبوا فليس لدى إسرائيل إلا

الصلف والكبرياء، فهل يتدخل أحد ليحاول تغيير هذه الحقائق الواقعية حتى ولو كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية؟ كلا. . .إنه ينبغي عليه أن يتبنى السياسة الإسرائيلية بغير شروط ولا حدود أو قيود، وإلا فإن المخبوء يظهر والمستور يكشف، وإذا لم تكف هذه الإشارة ولم تؤد الغرض المنشود، فإن في السجلات الكثير الذي ينشر فيحرك الجماهير الساكنة، ويقضي على القيادي المشاكس.

(٣) وسائل الضغط المملوكة:

وهذه طبيعة اللوبي الصهيوني المسيطر على القرار في أمريكا والموجه له لخدمة إسرائيل بما يملك من وسائل القوة ممثلة في المال والإعلام، ووسائل الخسة ممثلة في جرائم الجنس والرذيلة، فمن لم تخضعه هذه فلتخضعه تلك، ومن لم يقبل هذه ولا تلك فالتصفية موجودة، وما حادث مقتل كنيدي عن الأذهان ببعيد.

وكم من قيادي خدم اليهود خدمات شتى تخلوا عنه عندما شعروا أن نفعه قل، وسيفه فل، وأنه ليس عند ما يقدمه لهم، بل وقد يعملون على تشويه صورته، وتلطيخ تاريخه بكل موبقة، ثم ينتهي به المطاف في مزبلة التاريخ يحتل اسمه فيها مكانا بارزا بين الخائنين!! وكل من تعامل مع اليهود وخبرهم أدرك منهم طباع اللؤم والخسة، التي يلحقونها بكل من خدمهم من غير اليهود، بعد أن يأخذوا منه ما يستطيعون، ثم يتركونه نهبا للضياع، دون أن يكون له في الأرض ولي ولا نصير.

وها هم اليوم يرفعون (الكارت) الأصفر ـ بلغة الرياضيين ـ في وجه كلينتون، فإن اعتدل سكنت العاصفة، وإلا زعزع مكانته الإعلامُ الذي يملكونه وقضى على هيبته ووضع أنفه في الرغام[1]، فإن استكان فبها ونعمت، وإن ظل على ما هو عليه اقتلعته الريح، فكان في مصيره عبرة لمن يتذكر.

(٤) أمن الخليج واحتمالات المستقبل:

ونحن نتساءل: لماذا تثار هذه الزوابع الآن بشدة وجهر بعد أن كانت خافتة؟ هل الهدف أن يندفع كلينتون في توجيه ضربة عسكرية للعراق يشغل بها ـ ولو إلى حين ـ الرأي العام في الداخل والخارج، ويغطي بها تلك الفضائح التي تلاحقه؟

---

(١) **الرَّغام**: التراب، يقال: ألقاه في الرغام: أذله وأهانه.

قد يكون ذلك بالفعل، وحينئذ فمن الخاسر؟ إن الخاسر الوحيد هو الشعب المغلوب على أمره في العراق؛ لأن صدام وزبانيته ـ فيما يبدو ـ يتمتعون بالحصانة والصيانة ضد كل ما هو أمريكي، بل لا نجاوز الواقع، إن قلنا: إنهم قد يتمتعون بنوع من الحماية الأمريكية غير المعلنة، ليتجمد الوضع في الخليج على ما هو عليه منذ عام ١٩٩١م وإلى أجل غير محدود، فدولة النظام العالمي حريصة على بقاء صدام كنموذج مخيف يثير رعب المنطقة كلما تحرك أو تململ، فتظل المنطقة متعلقة بالحماية الأمريكية متوسلة تطلب بقاءها، وتعتبره مِنَّة من الدولة القُطبية، التي لا تدخر وسعا في أن تعلن في كل مناسبة أن خليفة صدام لن يكون أفضل من صدام، فالضربة المحتملة ـ إن حدثت ـ موجهة لشعب مغلوب مسحوق لا حول له ولا طول، يخرج بعدها صدام ليمارس لعبته، بعد أن يأتيه ضوء أخضر من الغرب، ونعود إلى ما كنا فيه في دورة لا تنتهي إلا لتبدأ.

(٥) دولة المؤسسات:

أما عن الموقف الأمريكي من أمن الخليج عامة، فإنه لن يتأثر بهذه الحوادث التي يظن البعض أن لها تأثيرا سلبيا على أمن الخليج، وسواء بقي كلينتون أو ذهب فإن الاستراتيجية الأمريكية تجاه الخليج لا تتغير؛ لأن الحكم هناك تصنعه وتوجهه مؤسسات ثابتة غير مرتبطة بأشخاص تنظر في صنع قرارها للاتجاهات السياسية العالمية والتحركات الدبلوماسية، والمصالح الاقتصادية والتكتلات الدولية، وغير ذلك من عوامل صنع القرار، بحيث لا يصدر إلا في وقته المناسب وبالطريقة التي يحدث بها التأثير المطلوب، فلا مجال لانفعالات شخصية أو رغبات عاطفية.

ومن الاستراتيجية الثابتة في المرحلة الحالية المحافظة على أمن الخليج بصورته التي هو عليها الآن، بحيث لا تحجب الصورة منظر عابث يلهو في الشمال، باعتباره أحد العناصر الداعية إلى بقاء القوات الأمريكية واستمرار أدائها لدورها.

موقف أمريكا لا يتغير بالنسبة للخليج ـ عما هو عليه ـ وإن ذهب كلينتون أو استمر في رئاسته لأن المؤسسات هناك هي صانعة القرار، وهي التي تضع خطوطه وتصنع دوائره، وما الزعيم ـ أي زعيم ـ إلا منفذ لما تقرره المؤسسات لا يخرج عن طوعها، ولا يسمح لرغباته بإفساد تدبيرها.

وقيام السياسة واعتمادها على المؤسسات هو من محاسن النظم الغربية في عالم تتشـابك فيه المصالح ويـصعب على أي قيادي أن يسـتخلص ـ وحده ـ مـا يحقق به صالح بلاده.

ويأتي الفـصل بين السلـطات، بحـيث لا تتـأثر أي سلطة برغـبـات السلطات الأخرى كحسنة كبرى، فالسلطة القضائـية لها الاستقلال الكامل في أن تقول ما تشاء بناء على تحقيقاتها وحدها، فلا تميل للسلطة التنفيذية تتملق رضاها، ولا نحو السلطة التشريعية تطلب تغاضيها عن أمر من الأمور.

ولذلك فإن هذه القضايا وأمثالها إن مَسَّت أشخاص المسؤولين، فهي لا تؤثر في صناعـة القرار، ولا تخلخل العـلاقات بين السلطات، ومن هنا يمكـن أن نقول: إن الموقف الأمريكي من الأمن في الخليج باق إلى أجل غيـر محدود، وإن عدالة الحكم في قضية الجنس المثارة الآن منتظرة من غير أن تكبلها قيود.

ثانيًا: شمعة في الظلام

تشغل الأزمة الحالية بين العراق والأمم المتحدة الرأي العام في بلادنا، وتستحوذ على اهتمامه الذي زاد في الأيام الأخيرة حتى غطى على كثير من الأمور الأخرى التي لم ترق درجة أهميتها لمستوى هذه الأزمة، خاصة وأن الناس عندنا قريبون من مواقع الأحداث، يدركون أنها قد تؤثر فيهم ماديا كما تؤثر الآن فيهم شعوريا ومعنويا، مما جعل البعض يصاب بالهلع والفزع، فيبادر لأخذ وضع الاستعداد وتخزين بعض المتاع والعتاد داخل البيوت تحسبا لأي طارئ يطرأ أو خطإ يقع .

ولسنا ننفي احتمال وقوع خطر ما هنا أو هناك، فالأخطار واردة في غير زمن الاستنفار، ووقوعها أشد احتمالا في زمن الاستنفار، ولكن الأمر لا يستدعي كل هذا الفزع وكل هذا الجزع، فمازلنا والحمد لله في أمان، ومازلنا في حال من الاطمئنان لا تتفق مع الفزع أو الجزع، وما سوف يقع من أحداث لا يخرج عن الإطار العام الذي يمتحن به المؤمنون الصادقون الذين يقع عليهم الابتلاء والاختبار، **﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾**(١)، **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**(٢) **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾**(٣) **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾**(٤) **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾** (٥) .

إن الابتلاء سنة من سنن الله في خلقه، جَرَت على الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابهم وتابعيهم، وهي تجري على المسلمين في كل عصر وفي كل مكان؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة وحين يقابل البلاء بالثبات والصبر والاحتساب والاعتماد على الله والركون إليه وطلب العون منه، والثقة في أنه وحده هو الذي يرفع البلاء، ويدفع البأساء والضراء، ويُنزل النصر من عنده على الصادقين المخلصين فإن هذه الأمور تكون سببا في تعلق السكينة بالقلوب، فلا تجزع ولا تفزع؛ لأنها تعلم وتوقن بقول رسول الله ﷺ: «**واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر**

(١) آل عمران: ١٤١. (٢) آل عمران: ١٤٢. (٣) العنكبوت: ٢، ٣.
(٤) آل عمران: ١٨٦. (٥) البقرة: ١٥٥.

مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا»[١] .

(١) تماسك وثبات:

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ وهم الأسوة والقدوة يأتيهم الضُّرُّ فلا يفزعون ويحيط بهم الأعداء فلا يجزعون ولا يخافون، ولا يرتابون في أن نصر الله آت لهم، وأن الله مدافع عنهم ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾[٢] .

(٢) الحيطة والحذر والضراعة :

إن للصبـر والثبات والتـحمل وذكر الله جـزاء لا يتخلف هو التـمكين والنصر والفلاح، قال عزَّ من قائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[٣]، ونحن أمام هذه الأحداث لا ينبغي لنا أن نخرج عن هذا الإطار الذي به تنزل السكينة، ويخف البـلاء، ويمثل الجزاء، ونخرج منه ظافـرين ـ إن شاء الله ـ دون أن يلحق بلدنا أو أهلنا ضرر، وكل ما علينا أن نحسن الرجوع إلى الله بالضراعة والتوبة والإنابة ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾[٤]، ولنتـذكر حـال الضراعـة التي كنا عليهـا في سنة ١٩٩٠م فأثمـرت نصرًا وفتحًا، فـعادت البلد لأصحابهـا وعاد الناس إلى بلدهم مقـرين بفضل الله ونعمتـه، مدركين قوله سبـحانه: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[٥]؛ فليس المطلوب الآن تـخزين الـطعام ولا الـفزع علـى الحطام، وإنما المطلوب التـوبة والأوبة والرجـوع إلى الله والضراعـة له وطلب التمـكين منه، وشكره على نعمـه، والصبر على البلاء، والثبات أمامـه حتى يزول وينقشع، وسيكون زواله عما قريب ـ إن شاء الله .

هذا واجبنا في هذه المرحلة إلـى جانب أخذ الحيطة والحـذر، ولكن الحذر شيء والخوف والجزع شيء آخـر، فلنأخذ حذرنا، ولنحسن استـعدادنا ولنلق ثوب الخوف والجزع عن أبداننا، ولنفوض إلى الله أمرنا، ونحن به واثقون ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[٦] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٣٠٧/١)، وقال الترمذي: « حسن صحيح».
(٢) الحج: ٣٨. (٣) الأنفال: ٤٥، ٤٦ . (٤) الأنعام: ٤٢، ٤٣ .
(٥) النحل: ٥٣ . (٦) الشعراء: ٢٢٧ .

(٣) نظرة واقعية:

هذا ما ينبغي أن يكون عليه موقفنا من الأحداث، أما الأحداث ذاتها فإنه يستوقفنا منها حديث أولبرايت وقولها: (إننا عازمون على حماية جميع شعوب المنطقة من التهديد الذي يفرضه نظام صدام حسين المسلح بأسلحة الدمار الشامل) لقد وردت هذه الجملة على لسان وزيرة الخارجية الأمريكية في ختام زيارتها للقاهرة التي اختتمت بها جولتها الأخيرة في دول المنطقة.

ولو صح هذا القول لرحبت شعوب المنطقة بهذه الضربة المتوقعة للعراق؛ فشعوب المنطقة التي عانت سنة ١٩٩٠م مما فعله صدام حسين لا تنسى أنه شرد الكثيرين، وأرهق دولا عديدة، وشهدت أرض الكويت من عبث جنوده وضباطه ما لا يخفى على أحد، ومازالت بقايا أفعال هؤلاء الجنود ممثلة في عدد من الأسرى الكويتيين، اختطفوا من الشوارع وابتلعهم الْيَمُّ العراقي، ثم أنكر وجودهم وأصر على الإنكار، ولم يقتصر الامتهان العراقي على ذلك، بل امتدت يده الباطشة بالسوء لكل من كان في الكويت من الرعايا الغربيين أو الشرقيين، العرب وغير العرب، المسلمين وغير المسلمين، فما سلمت من شروره رعايا دولة، وشهدت الصحراء آلاف حالات القهر والظلم والجبروت .

إذن فشعوب المنطقة تود لو أنها استراحت من هذا النظام الذي طغى وبغى، وعاث في الأرض فسادا، وجحد كل نعمة وأنكر كل منة، وفي مقدمة شعوب المنطقة التي تود أن تستريح من صدام ونظامه الشعب العراقي، الذي حاق به الظلم وأحاط به القهر، واشتد به القتل في (حلبجة) وغيرها دون أن يجد من بين الناس نصيرا ولا معينا، شعب العراق الذي اشتد به الجوع والحرمان، وهو الغني بما أفاض الله عليه من نعم في ظاهر الأرض وباطنها، ولكنها نعم مسلوبة، سلبها النظام الصدامي وسخرها لخدمة أغراض لا نفع فيها لشعب العراق ولا لشعوب المنطقة .

تريد أمريكا أن تريح شعوب المنطقة من التهديد الذي يفرضه نظام صدام حسين، فليكن الأمر كذلك على أن يكون في مقدمة الشعوب التي تستريح من هذا النظام: الشعب العراقي.

(٤) النظم الطاغوتية والضربات العسكرية:

فهل الضربة القادمة التي تمهد لها أمريكا الآن هدفها إزالة صدام ونظامه؟ وقبل

أن نجيب بالنـفي أو الإثبات نقول: إن الضـربات العسكرية التي تـأتي من الخارج لا تحدث تغـييرا في نظـامٍ ما لم يكن الشعب في الداخل مـهيـأ وقادرا على استـغلال الضربة الخارجية لإزالة النظام الجاثم على صدره وقد يكون الشعب مقيد الحركة، غير قادر على التصرف أو التحرك، لكن الجـيش في داخل البلد يستطيع بمساعدة الضربة الخارجيـة الانقضاض على أركـان الحكم، والاستيلاء عليـها وإزالة القابعين فـوقها، والمعادين للشعوب.

وإذا لم يوجد شعب قادر ومعبأ، أو جيش متربص منتظر، فإن الضربة العسكرية الخارجية تصـبح عبئا إضافيا على الشـعب المقهور تزيد من قهره والتحكم فـيه بحجة إزالة الاعتداء والرد عليه والاستعـداد له (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة)، ويظل النظام يفعل ما يشاء، وقد حـدث هذا من قبل مع نظام صدام نفسه سنة ١٩٩١م فلم يتغير هذا النظام رغم آلاف الأطنان من المتفجرات التي ألقيت فوق الأرض العراقية.

ومازال الشعب العـراقي مستكينا مغلوبا على أمره، ومـازال الجيش العراقي في قبضة صدام، فهل مازالت أمريكا مصرة على القول: إنها تريد حماية شعوب المنطقة من التهديد الذي يفرضه نظام صدام؟

أكاد أشك في ذلك كـثيرا؛ لأن أمـريكا ذات التاريخ العريـق في صنع الانقلابات العسكرية في البلاد العربية ابتداء من حـسنى الزعيم لا تجهل كيف تعمل على إزالة نظام في دولة من دول العالم الثـالث، وأمر إزالة هذا النظام أقل كلفة وأيسر حـركة من هذا الحشد العسكري الهائل الذي تتجمع فيه حاملات الطائرات، وتستعد له الأرض الكويتية باستـقبال ألفى جندي أمـريكي إضافة إلى الموجـودين فيها من قـبل، وتتحمل شـعوب المنطقة تكاليف هذه الحـشود الهائلة، وتظل مدينة لسـيدة العالم، تتمـتم بشكرها وتقبل أياديها على ما فـعلت، لو أمريكا أرادت أن تقتلع نظام صدام لفعلت، ولو أنهـا شعرت أنهـا أخطأت في حسـاباتهـا سنة ١٩٩١ م حين لم تقض عليـه، مـا عدمت حـيلة في استدراك الخطأ، ولكنها لم تفعل رغم وجـود عديد من الفرص لتنفيذ هذا المطلب لو أنه كان ضمن الاستراتيجية الأمـريكية في المنطقة، وهذا يجعلنا نعود فنقول: نكاد نشك في أن هدف الضربة المتـوقعة هو إزالة صدام ونظامـه، بل إن كلينتون نفســه قال منذ يومين عندما سـئل عما إذا كان يفكر في شن هجـوم على صدام حسين نفسـه: (ليس هذا ما

أذنت لنا الأمم المتحدة بعمله، وليس هذا ما ينصب عليه اهتمامنا المباشر).

ما الهدف إذاً من الضربة القادمة إن تمت بالفعل؟

(٥) ما الهدف؟

إنه ليس هدفا واحدا وإنما أهداف متعددة، منها:

أولا: ضعضعة قوة الدولة العراقية وقـدرتها وشل حركتها مع بقاء صدام حسين قابعـا فوقها؛ ليظل الأمن والاسـتتباب مـعدوما في المنطقة، ويظل الخطـر موجودا، يمكن تحريكه في أي وقت ترفض فيه أي دولة في المنطقة هذا الوضع الموجود الآن .

ثانياً: تصبح هذه الضـربة العسكرية ـ في حـال حدوثها ـ إنذاراً عـملياً لإيران تدفعها لتلاحق خطوات التقارب التي بدأت مع أمريكا، ولا تتباطأ فيها أو تتوقف أو تتشدد .

ثالثاً: طمأنة إسـرائيل على أن الجبهـة الشرقية نائـمة أو فاقدة الوعي لمدى غـير محـدود من السنين، مما يعني المزيد من الاستكبـار والغطرسة في وجه دعـاة السلام العـرب، والانصـراف عن مطالبـهم والتـركـيـز على الخليج العـربي بمد الهـيـمنة الاقتصادية.

رابعاً: مكافأة تركـيا على تحالفـها مع إسرائيل بتـوسعها في الشـريط الحدودي القائم الآن في شمال العراق على غرار الشريط الحدودي في جنوب لبنان، وإعطائها حق التصرف المطلق في المياه، بحيث يمكـن أن تقطع من نصيب العراق جزءًا ليذهب إلى إسرائيل، وقد تتساهل في موضـوع قبرص بشكل أو بآخر، ويكون هذا التصرف بمثابة تعويض لها عن رفض الدول الأوربية لانضمامها.

خامساً: زيادة الاعتماد على القوة الأمريكية في المنطقة، والركون لهيمنتها ومنع أي حديث عن انسحابها من المنطقة فهل الضـربة العسكرية لحماية شعوب المنطقة من تهديد نظام صدام؟

لو كانت كذلك لقلنا: نعم وكرامة، ولكنها ليـست كذلك كما يظهر والمعطيات إلى الآن تقول: إن أمريكا لا تريد زوال الطاغية مادام يحقق أهداف السادة في المنطقة،

فهي إن كانت تريد أن تزيل صدام ونظامه من موقعة فما قيمة الضربة لشعوب المنطقة إذاً؟ إنها لزيادة القيود وزيادة الأعباء وزيادة الخوف وإثارة شيء من الفزع في المنطقة، فما نفع الشعوب في هذا كله؟ وأي فائدة تجنيها؟

(٦) شيء من الدقة:

في هذه الأجواء نحتاج إلى ميزان دقيق للتعبير عن الآراء من خلال البيانات أو الخطابات، وأن نبتعد عن التعميم الذي لا يحمل حقا ويثير باطلا .

فالناس تجاه هذه الضربة فريقان: فريق يرى أنها ستجعل المنطقة ألعوبة في يد أمريكا فلا ينبغي أن تتم، وفريق يرى أن العراق مصدر الشر كله فينبغي ضربه دون أن يفرق هذا القسم بين النظام الطاغوتي الصدامي وبين مقدرات الشعب العراقي .

وكلا الفريقين يميل نحو الإفراط والمبالغة في موقفه، وينبغي أن نفرق بين العراق كأرض وشعب، ونمنع عنه الضربة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وبين النظام العراقي الذي نبارك ضربه ونؤيد إزالته؛ لأن الشر سوف يبقى قائما ببقاء هذا النظام، ولن يزول الشر إلا بزواله.

نحن نتصور أن الضبط والدقة في العبارة مطلوب في مثل هذه الأوقات، والتأكيد على أن العداء يكون على النظام وأعوانه ورأسهم، أما الشعوب فهي مغلوبة على أمرها كما أنه لا يمكن للشعب الكويتي أن يعيش مع جار عربي مسلم بصورة عداء ومقاتلة؛ لهذا لابد أن يكون شعارنا (نحن مع ضرب النظام العراقي وإزالة كابوس صدام، وضد ضرب الشعب العراقي والإبقاء على صدام، فإما أن تكون الضربة منهية للنظام ورأسه وإلا فليست هناك إلا مضرة للشعوب الإسلامية وتجسيد للنظام الطاغية)، نسأل الله العافية في الدين والدنيا.

ثالثًا: الخليج المؤرق

(إن الإدارة الأمريكية مصممــة على توجيه ضربة شديدة للعراق، بل إن الإدارة ستعيد الكَرّة في كل مرة تشعر فيها بأن صدام يعيد تشكيل وبناء قواته).

هذا ما صرحت به وزيرة الخـارجية الأمريكية (أولبرايت) أمـام لجنة خاصة بمجلس الشيـوخ، وهو اعتراف صـريح بأن الضربة القـادمة ـ إن حدثت ـ لـن تكون ضد نظام صدام ولا تهدف إلى إسقـاطه واستبدال غيره به، فذلك لـيس في الحسبان، بل إن هذا القول من المسؤولة الأمريكيـة يحمل اعترافًا صريحًا، وإقرارًا واضحًـا ببقاء صدام على رأس النظام في العراق، غاية مـا هنالك أنه كلما حاول بناء قواته وإعادة تشكيل جـيشه تدخلت الإدارة الأمـريكية بضـربة تأديبٍ على جُـرْأتهُ لا ضربة عـقوبة لإزالتـه، فهـو بشخـصه المستبـد وغبائه المسـتمر، وافتـعاله للأزمات، وتلقـيه للضربات، وتسبـبه في خسـران الأمة العربيـة والإسلامية مليـارات من الدولارات، وآلاف من الأنفس وسنين عددا من عــمر التنمـية والتقـدم، وإثارته للذعر والرعب في المنطقـة... نموذج فريد، يحقق لأمـريكا ما تريد دون أن يأخذ على ذلك أجـرا.. فكيف تفرط فيـه وفي نظامه أمريكا؟ نعم.. إنهـا تضربه.. أو بالأحرى والأوضح تضـرب بلده، وتضرب شعـبه، وتقص للعراق أجنحـته، وتضعضع من الدول قـوتها وتفكك أوصالها، ويـبقى صدام جاثما فـوقها باستـبداده، ورعونة تصرفاته، ومـشاغباته الظاهرة، وانكسـاراته الباطنة، فوجـوده يحقق لأمريكا تـكتيكا في التعـامل تحافظ به على هيـبتهـا واستراتيـجيتـها، (فالولايات المتـحدة ليست على اسـتعداد للسمـاح لأي دولة أخرى بتحـدي أو تقاسم النفوذ معها لاسـيما في منطقة الخليج) وبقاء صدام بمواصفاته وسماته السـابقة سيجعل هذه المنطقة ملتهبة، كلما خمدت الفتن فيها شبت من جديد، مما يجعل القوة العسكرية الأمريكية مطلوبة دائما، مـرغوباً في بقائها، لا تضيق دول المنطقة بتكاليـفها، وهذا ما يقوله بريجنسكـي مستشـار الأمن القومي في عهـد الرئيس الأسبق جيـمي كارتر: (إن الإقرار بالهـيمنة الأمـريكية عـالمياً يلزم الإدارة الأمـريكية ـ أي إدارة ـ باتخـاذ ما يجب اتخاذه من إجراءات وسياسات للحفاظ على هذا الموقع القيادي المتفرد، وذلك من خلال الإبراز المستـمر للدور الأمـريكي عالميا وتعـميقـه وتوسيع مـداه)، ولن يبرز هذا الدور ويتسع مداه ويتعزز وجوده ويتميز إلا في تواجد أمريكا القوي في منطقة النفط الذي هو

شريان العالم المعاصر، ووجود مشاكس في القبـضة الأمريكية، تحكم السيطرة عليه خير من غـيره ممن لم تعـرف له اتجاها ، ولذا فـقد تتـحقق الـضربة، لتـعطي لدولة النظام الأوحد البعد المطلوب في الهـيمنة والسيطرة، مع بقاء صدام ليقـوم بمساخر المهرج عند اللزوم، فتنهـال عليه الصفعـات فيعتبـر الأبعدون ويخاف الأقربون ويطلبـون مزيدا من الحماية، وخاصة حين تواجههم التحديات الإقليمية أو الاقتصادية التي تجعل من الخليج أرضا خصـبة لعدم الاستقـرار، وانتشار العنف في ظل تراجع خطط التنميـة ومعدلات النمو، وفـشل نظم التعليم في التكيف مع مـتغيـرات العصر وازدياد مـعدلات البطالة والاختـلالات السكانيـة، وتراجع معـدلات الإنفاق العـام وتزايد العجـز في الموازنات العامـة، وهكذا يقول المحلل الاسـتراتيـجي كوردسـمان، الذي يبني على مـا تقدم أن واشنطن ملتزمـة بضمان استقـرار عمليات تدفق النفط بأسـعار مقبولة، وبـزيادة إنتاجه واستخراجه من دول الخليج بكميات أكبـر لمواجهة الطلب العالمي وضمان أسواق الخليج كأسواق للسلاح في مـواجهة حادة من فرنسا وربما روسيـا والصين في مرحلة لاحقة، وهذا يفسر مـوقف هذه الدول من الأزمة الحالية، ويفسـر أن المصالح وليس المبادئ هي التي تحرك الدول لاتخاذ المواقف المعينة، وبين كذلك أن المصلحة الأمريكية تجعل المحافظة على نظام صدام بالشكل الحالي تكتـيكا أمريكيا؛ يحقق لها مصلحة حـالية ومصلحة في المستقبل الذي سيصبح واقعا بعد عقد أو عقدين من السنين، حيث يحتفظ باطن الأرض العراقية بـ٢٠٪ من احتياطي النفط والغاز العالمي ما بين ٩١ـ١٢٥ مليار برميل من النفط وما بين ٦٢٠ـ٧١٤ تريليون قدم مكعب من الغاز (١).

وإذا كان صدام قد فتح أبواب الخليج أمام التواجد العسكري الفعلي عام ١٩٩٠م حين احتل الكويت، فإن الأزمة الحالية تؤكد لأمريكا أهمية استعادة نفوذها في المنطقة بعد أن اهتز هذا النفوذ في مؤتمر الدوحة، وبعد أن بدأت تظهر بوادر العافية على دول المنطقة في مؤتمر طهران الذي نجح نجاحا كبيرا في جمع أكثر من ٥٥ دولة إسلامية.

وضربة عسكرية ذات تغطية إعلامية ناجحة كفيلة بتحقيق هذا الهدف إلى جانب الأهداف الأخرى.

وهذا يستدعى أن تتحرك دول مجلس التعـاون الخليجي حركة ذاتية، حتى تتفق فيمـا بينها على استراتيجـية ثابتة تلتزم بها هذه الدول أمـام بعضها وأمام شـعوبها، استراتيجية تحافظ على مقـدرات كل دولة في ظل السياسة الملتزمة بها، مع الأخذ في

(١) صحيفة الوطن فى ١٥/٢/١٩٩٨م.

الاعتبار الاتجاه نحو التكامل والتعاون والتماسك أمام الدول الكبرى، مع توحيد في السياسة الاقتصادية من حيث التعامل بيعا وشراء، وذلك بعد حل المشكلات العالقة هنا أو هناك سواء أكانت مشكلات طائفية أو مذهبية، أو عرقية، أو مشكلات حدودية؛ لأننا ندرك أن المصير مشترك وأن الهدف واحد، وأنه خير لنا أن نتحدث مع الآخرين ونحن مجتمعون من أن نتحدث إليهم ونحن متفرقون..

ثم بعد هذه الخطوة لابد من إيجاد نوع من التقارب العربي والإسلامي يكون بمثابة إطار يحمي هذه الرقعة الممتدة وسط العالم الإسلامي، دون إغفال الشعب العراقي، الذي نعلم جميعا أنه مغلوب على أمره خاضع لسطوة صدام وجبروته، مما جعل الضربات تلاحقه، دون أن يتأثر صدام ونظامه بشيء منها في المستقبل، إن من مصلحة العرب والمسلمين أن تتوحد جهود الخليجيين، ومن ورائهم توحد العرب والمسلمين خلال مدة زمنية محدودة، حتى يمكن أن نصنع سفينة النجاة قبل أن يغرقنا الطوفان.

(١) حتى لا يخطئ التاريخ

(أ) منطقة متوترة:

لم تكن الأزمة الماضية التي مرت بالخليج هي الأولى من نوعها، وأحسب أنها لن تكون الأخيرة، لما تتمتع به المنطقة من نعم أفاضها الله عليها، نعم جعلت أبناء هذه المنطقة من المتمتعين بمكان بارز بين الدول التي تعد من بين أصحاب الدخول العالية، مما جعل لعاب بعض الناس يتحلب وشفاههم تتلمظ للحصول على بعض هذه النعم بطريق أو بآخر، فكان كيدهم وكان تدبيرهم إلى جانب الحسد من بعض الأقربين في الجوار، والجهل من بعض المسؤولين في المنطقة بما يدبر لها، ويحاك في الخفاء لتكبيلها، والاستيلاء على بعض خيراتها.. إلى غير ذلك من الأسباب التي جعلت من هذا الخليج منطقة ملتهبة منذ قرابة عقدين من الزمان، ما تكاد النيران فيه تهدأ حتى تشب من جديد، دون أن يخمد أوارها، أو ينطفئ جمرها.

من هنا نظن ـ وبعض الظن إثم ـ أن هذا التوتر مقصود، وأن الشد والجذب والتلويح بالأمل في خلع الطاغية صدام، والتخويف من الألم الذي صاحب مرحلة التوتر الماضية وما تحدثه الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والجرثومية وغيرها من الأسماء التي تحدث آلاما نفسية، وتثير زوابع معنوية، كل هذا أمر مقصود؛ ليكون بمثابة مقدمة تؤدي إلى نتيجتها المرتقبة في غير غضب ولا نفور.. فما هذه النتيجة؟

إن النتيجة المعلنة هي تدمير أسلحة الدمار الشامل، والسماح لمفتشي الأمم المتحدة

بالوصول لأي مكان في العراق لتفتيشه، فأين إزالة الباغي من هذه النتيجة المعلنة؟ إنها ليست في الحسبان، فأولبرايت صرحت أن إزالة نظام صدام ليس هو المراد، وإنما المراد احتواؤه!!!

وكارتر أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية السابقين صرح بأن الضربة -التي كانت متوقعة في حالة فشل مهمة عنان- لن تزيل صدام، بل إنها ستقويه وتدعمه.

وخبراء الاستراتيجية والعسكرية قرروا أن الضربات الجوية لا تقضي على جميع أسلحة الدمار الشامل، مما يجعلنا نتساءل: فيم كان التوتر الذي ساد المنطقة من بضعة أسابيع؟ وما جدواه إن لم يكن مقدمة لأمر قادم بعد شهور أو بعد سنين؟ ومن الكاسب من وراء هذا التوتر ومن الخاسر؟.

(ب) تهمة عالقة بالجائرين:

والمستقبل كفيل بكشف الستار، ولن يتحقق هذا الكشف إلا بعد أن تختلف الآراء، وتتحكم الأهواء، ويضيع بين الرغبة والرهبة الحق والوفاء، ويشتجر الناس ويختلفون، ويتبادلون التهم ويزايدون: حول استدعاء النصارى إلى الخليج، وإعطائهم فيه حق الوجود، ورفع رايتهم فوق مياهه، بحيث لا يمر شخص أو شيء أو عمل إلا من تحت هذه الراية، فإذا استقر الأمر على هذا النحو هدأت الأحوال، ولكن بعد أن تتدفق في جيوب الآخرين الأموال.

ونحن لا ننكر وجود الآخرين في الخليج، ولكننا نتساءل مع المتسائلين: ومن الذي استدعاهم؟ أهم الخليجيون أم العفلقيون؟ هل قرأتم أن الجيش الكويتي استولى على بغداد وشرد أهلها واختطف أبناءها، واغتصب نساءها، وسرق أموالها، وحرق آبار النفط فيها، وأبى إلا أن يعلن أن العراق جزء من الكويت تابعة لها، وأن الأرض يجب ألا يكون فيها دولة اسمها العراق؟ هل قرأتم أو سمعتم وشاهدتم هذا؟ أو قرأتم وسمعتم وشاهدتم أن الجيش العراقي سنة ١٩٩٠م استولى على الكويت، وأزال اسمها من فوق الأرض، ولم يترك فيها صغيرة ولا كبيرة إلا ادعاها لنفسه، بعد أن شرد أبناءها، واختطف بعض شبابها، ونهب أموالها، واغتصب حرماتها، وأبى أن يخرج من فوق أرضها، أو يتزحزح عن كيانها مدعيا أنها جزء من العراق عاد إلى كله، وفرع عاد إلى أصله، فالتأم به الشمل، يا من تزايدون ألم تشاهدوا هذا؟ ألم تقرؤوه؟ ألم تسمعوه؟ ألم يعشه بعضكم؟ فماذا يفعل الكويتيون؟ وإلى أي وجهة يتجهون؟ وهم لم يتركوا بابا إلا طرقوه، ولا مسعى إلا سلكوه، لكي يعيدوا حقهم، ويسترجعوا بلدهم، ويحافظوا على بعض ما في أيديهم.. فكانت القوة الوحيدة القادرة على إرجاع هذا

الحق إليهم هي قوة هؤلاء النصارى، أينكر أحد شـيئا من ذلك؟ أتلومون الكويتيين على ما فـعلوا وأنتم لم تذوقوا مـا ذاقوه، ولم تكابدوا مـا كابدوه؟ أليس جـار السوء الذي ستدور عليه الدائرة يومـا ما هو باعتدائه الآثم وفجوره البـاغي وتجبره الذي أبى التراجع عنه هو الذي دفع إلى ذلك، وماذا يفعل الذي اشتعلت النيـران في بيته وأمسكت بثيابه إلا أن يمسك أقرب يد امتدت إليه، لينجو من النار؟ مـاذا يفعل الغريق المستغيث إلا أن يتعلق بأقرب شيء فيه حياته؟ أم أنكم لا ترون غير هذه القشة التي قصمت ظهر البعير، دون أن تروا البعـير تثقله الأعـباء الجسام حـتى كل وأعيا فـجاءت القشة التي قـصمت ظهره؟

إننا غير منكرين وجـودهم، ولكننا ننكر على غيرنا ألا يعرف حـجتنا، وألا يقبل منطقنا، وهو منطق المستصرخ الذي لم يجد من يصرخه إلا هؤلاء، أفلو عادت لنا بلدنا وديارنا وبعض خيراتنا على أيديهم نقـول: لا ونأبى، في الوقت الذي لا نجد عند غيرنا من إخواننا مـأوى ولا نجد من بين البـشر ناصراً ولا مـعينًا؟ فلماذا التـجني على الحق والتحـامل على الصدق؟ ولماذا لا نسـمي الأشيـاء بأسمائهـا، ونرى الحقائـق بذاتها ثم نحكم لها أو عليها؟!

(جـ) مهمة التاريخ التي أضعناها:

إن التاريخ ـ في الحقبة الحاضرة ـ يعيد نفسه دون أن نُفِيدَ من هذه الإعادة عبرة ولا عظة، ودون أن نأخذ لأنفسنا منه عظيم فائدة ولا جليل عائدة كما يقول الإمام أبو شامة في كتابه(١)، ثم يردف ذلك بقوله: (وفي كتـاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ من أخبار الأمم السالفة، وأنبـاء القرون الخالفة، ما فيه عبر لذوي البصـائر، واستعداد ليوم تبلى السرائر، قال الله ـ عز وجل ـ وهو أصدق القائلين: ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢) ويستطرد: (وقد اختار الله ـ سبحانه ـ لنا أن نكون آخر الأمم، وأطلعنا على أنباء من تقدم لنتعظ بما جرى على القرون الخاليـة، وتعيها أذن واعيـة، فهل ترى لهم من باقية، ولنقـتدي بمن تقدمنا من الأنبياء، والأئمـة الصلحاء، ونرجو بتوفيق الله ـ عـزَّ وجلَّ ـ أن نجتمع بمن يدخل الجنة منهم ونذاكـرهم بما نقل إلينا عنهم، والمرء مع مـن أحب، وإن الجاهل بالتـاريخ راكب

(١) مختصر كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين. . لأبى شامة د/ محمد موسى بن عقيل(ص: ٢٠، ٢١).
(٢) هود: ١٢٠.

ظهر عميـاء، خابط خبط عشواء، ينسب إلى من تقدم أخـبار من تأخر، ويعكس ذلك ولا يتدبر، وإن رد عليه وهمه لا يتأثر، وإذا ذكر فلجهله لا يتذكر)(١).

وأهمية التـدبر في التاريخ وأخذ العبرة منه والعظة التي ذكرها أبـو شامة أكدها وأصلها رائد عـلم الاجتمـاع ابن خلدون بقوله عن التـاريخ في المقدمـة: (فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا)(٢).

فهل استفدنا من التاريخ في حـياتنا المعاصرة أو أننا نكرر أخطاء السابقين فيظلم بعضنا ـ نحن المسلمين ـ بعـضا، ويغزو بعضنا بعـضا، حتى نضطر للاستنجـاد بغير المسلمين فيأخذون بعض ما في أيدينا، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ(٣)؟

ألم يحدث ذلـك مع مسلمي الأندلس إبان ملوك الطوائف؟ ألم يـحدث ذلك مع المسلمين في الشام ومـصر إبان الحروب الصـليبية؟ يـعتدي بعض المسلمين على جـيران مسلمين فـيستنجد هؤلاء بالنصـارى لرد العدوان ومنع الطغيان، ثم مـا لبث التاريخ أن طوى الجـميع في الأندلس، ونسـأل الله أن يـسلم وجـه الأرض في الشـرق العـربي الإسلامي من أن يحدث فيـه ذلك، فلا يستعين المسلمون فيه باليهـود ولا يحتمون بهم ولا يوادعونهم ولا يتخذونهم أولياء.

(٢) صفحة من التاريخ:

إن ما حـدث في الأندلس فيه الغناء لقـوم يعتبـرون لو كانت العقـول مفكرة، والقلوب متدبرة، لقد كانت بلادهم ـ حتـى بعد أن تقسمت دولا ـ ترفل في النعمة،

(١) المصدر السابق. (٢) المقدمة لابن خلدون (ص ٧)، طبعة الزخائر (١٥٣).

(٣) أخرجه ابن ماجـه (٤٠١٩)، والحاكم في المستدرك (٨٦٢٣)،عن عبد الله بن عـمر أن النبى ﷺ قال: «يا معشر المهاجـرين: خمس إن ابتليتم بهن أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحـشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فـشا فيـهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مـضت فى أسلافهم الذين مـضوا، ولم ينقصـوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشـدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكـاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم، وما لم تحكم أئمـتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم »، قـال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وحسنه الألبانى.

فدب بينهم الحسد، واعتدى بعضهم على الآخر فاستنصر بالنصارى فأعانوه. . .، لا لوجه الحق ولكن لوجه النفع، وظل المسلمون لا يتعظون ولا يعتبرون رغم القوارع التي تصيبهم أو تحل قريبا من دارهم حتى بادوا جميعا، وأصبحوا أثرا بعد عين، وصدق فيهم قول الشاعر الأندلسي:

النفس تفزع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور؟

(أ) وإليك أخي هذه الصفحة من تاريخ الأندلس:

(استولى بنو زيري على مالقة وقضوا على بني حمود عام ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م، ثم استطاع بنو عباد الاستيلاء منهم على جيان عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م، فاضطر أمير غرناطة للاستعانة بقوات الفونش السادس ملك قشتالة، لكن المعتمد بن عباد أرسل وزيره أبا بكر ابن عمار إلى الفونش السادس وعقد معه حلفا ضد غرناطة نظير خمسين ألف دينار، وكان ابن ذي النون أمير طليطلة قد توسط لدى الفونش حتى يرضى بمحالفة غرناطة، ويتمكن هو من الاستيلاء على قرطبة، وقد أراد الفونش أن يصعد الخلاف ويكرس العداوة بين المسلمين فحالف غرناطة، وترك ابن ذي النون يستولي على قرطبة عام ٤٦٢هـ، وكانت قرطبة في الواقع تحت سيطرة بني عباد.

ولما أسرع بنو عباد لإنقاذ قرطبة من يد ابن ذي النون، وكان كلاهما يستعين بالنصارى المرتزقة، أدرك الأخير صعوبة بقائه على حصار قرطبة وعاد إلى طليطلة، وانتهز بنو عباد الفرصة واستولوا على قرطبة من يد حلفائهم بني جهور، وإن كان ابن عذاري يقول: إن ذلك تم باتفاق أهلها مع بني عباد، بسبب سوء سيرة عبدالرحمن الذي كان أبوه أبو الوليد بن جهور قد تنازل له عن حكم المدينة، وتم القبض على بني جهور، أما شيخهم أبو الوليد فقد اختبأ في مقصورة هو وبناته ونساؤه فاقتحمها عليه قوم من النصارى وجردوهم مما معهم، وتم نفيهم إلى جزيرة شلطيش، وهكذا انتهى ملك بني جهور في قرطبة على يد بني عباد عام ٤٦٧هـ.

وكانت علاقة أشبيلية بجيرانها من بني الأفطس حكام بطليوس سيئة أيضا، بسبب الصراع على مدينة لبلة التي تقع بينهما، وقامت الحروب بسبب ذلك، واستعان بنو الأفطس بحكام قرمونة، ولكن الهزيمة كانت من نصيبهم عام ٤٢١هـ / ١٠٣٠م، وقتل أمير قرمونة كما قتل عبيد الله الخراز صاحب بابرة وابن عم حاكم

بطليوس، ونجا ابن الأفطس نفسه بصعوبة بالغة، وبلغ عدد قتلاه ما لا يقل عن ثلاثة آلاف، وكانت الخسارة كبيرة لدرجة أن بطليوس بقيت مدة من الزمن خالية من سكانها إلا من الشيوخ والأطفال والنساء.

وانتقم ابن الأفطس لنفسه من بني عباد بطريقة غير شرعية، لكنها تدل على روح العصر وعلى ما ساده من صراع لا يحكمه أي مبدأ من مبادئ الأخلاق، ذلك أنه في عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م سمح عبد الله بن الأفطس أمير بطليوس لجيش بني عباد أن يمر عبر أراضيه لقتال مملكة ليون، وأثناء عودته هاجمه ابن الأفطس بغتة، وقتل من جنود أشبيلية عددا كبيرا، وفر إسماعيل بن عباد ونجا من الموت بصعوبة، ومنذ ذلك الحين تأصلت العداوة والبغضاء بين بني عباد وبني الأفطس.

وكان هناك صراع بين بني ذي النون حكام طليطلة، وبين بني هود الجذاميين العرب حكام سرقسطة، ودانية (بعد أن استولوا عليها من على بن مجاهد العامري) وطرطوشة (بعد أن مات صاحبها لبيب ثم مقاتل الفتى العامري)، وكان الصراع بين بني ذي النون وبني هود بسبب تنافسهم على امتلاك مدينة وادي الحجارة، ولما استولى عليها سليمان بن هود قامت قيامة المأمون بن ذي النون، واستعان بنصارى الشمال، ودعته الضرورة أيضا إلى محالفة المعتضد بن عباد والدخول في دعوته لخلف الحصري المشبه بهشام عام ٤٣٦هـ.

إزاء ذلك استعان ابن هود بملك آخر من نصارى الشمال، واستطاع أن يعيث في طليطلة وأعمالها، وأن يدمر زرعها، فأرسل إليه أهلها يطلبون الصلح، فتظاهر ابن هود بموافقتهم إلى ما طلبوا، ثم لم يلبث أن سار هو وحلفاؤه من النصارى، واحتلوا مدينة سالم التابعة لبني ذي النون، وساعده على ذلك عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون الذي كان ينازع أخاه يحيى صاحب طليطلة في حكمها، ودامت الفتنة بين ابن هود وابن ذي النون من عام ٤٣٥هـ إلى آخر عام ٤٣٨هـ، ولم تنته إلا بوفاة سليمان بن هود، ولما زال خطر سرقسطة عن طليطلة، بدأ أميرها يستعد لمنازعة ابن الأفطس صاحب بطليوس وبني جهور أصحاب قرطبة.

وما إن أحس بنو جهور بذلك حتى عقدوا حلفا مع أمراء بطليوس وأشبيلية ضد بني ذي النون أمراء طليطلة، وتحالف هؤلاء بدورهم مع بلنسية ومع أمير قشتالة النصراني، واستطاعوا أن يوقعوا بقوات قرطبة، لكن العباديين أنقذوها واستولوا

عليها حسبما تقدم، وعاد الطليطليون مهزومين عام ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م[١].

(ب) صفحة أخرى من التاريخ:

فإذا ما انتهينا من هذه الصفحة بحلوها ومـرها وعدم أخذ العبرة من أحداثها انتقلنا إلى صفحة أخـرى من المشرق (بلاد الشام ومصر) حيث نجـد نفس الأحداث تقريبا مع اختلاف الشخصيات، «كان من أهم أسباب نجـاح الصليبيين في احتلالهم للبلاد الشامية ما كان عليه المجتمع الإسلامي ورؤساؤه من التـدابر، فقد كان النزاع سائدا في مجموع المشرق الإسلامي، إذ كان فاقدا للزعيم الذي يقوده لصد أي عدو يهاجمه، وقد سجلت المصادر الأدبية والتـاريخية صورا مـحزنة من التدابر والتخاذل كـان يتخبط فيـها المشرق الإسلامي، بينمـا العدو ينتزع المدينة بعد الأخـرى، ولهذا نرى كثيـرا من مؤرخي تلك العصور يشيرون إلى تلك الحالة بين حين وآخر بمثل هذه الفقرات:

١ـ بينما الإفرنج يـحاصرون ويحتلون القدس كـان محمد بن ملكشـاه يحارب أخاه لأبيه بركياروق.

٢ـ ملك الإفرنج عكا من والـيها.... هذا وملوك الشـام مشتـغلون بقتال بعـضهم بعضا.

٣ـ توجـه فخـر الملك أبو علي بن عـمار من طرابلس إلى بـغداد مـستنفـرا لما حل بطرابلس وبالشام من الإفرنج، واجتمع بالخليفة المستظهر وبالسلطان محمود، فلم يحصل منهما على غرض، وتم للإفرنج الاستيلاء عليها.

٤ـ ووصل المستنفرون إلى بغداد في رمضان فاجتمع أهل بغداد في الجوامع واستغاثوا وبكوا، حتى أنهم أفطروا من عظم ما جـرى عليهم، ووقع الخلاف بين السلاطين السلجوقية فتمكن الفرنج من البلاد.

«وهذه النقول مأخوذة من كتب المؤرخـين الثقات: ابن الأثير ـ أبي الفداء ـ ابن الوردي»[٢].

---

(١) العلاقـات بين الأندلس الإسلامية وأسـبانيا النصـرانية في عصر بنـي أمية وملوك الطوائف، د.رجب محـمد عبدالحليم.

(٢) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب / محمد العروسي المطوي.

(٣) الاستعانة:

فإذا لم نستفد نحن ـ المعاصرين ـ من هذه الأحداث التي مر بها أسلافنا في تاريخهم، فلماذا نقرأ التاريخ ولماذا نقرره في مدارسنا؟

وأوّل الدروس بالاعتبار وأقواها عند الاستبصار، هو الركون إلى العدل والصدق، وتحقيق قول الله: ﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**﴾(٢) وقوله: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾(٣) وهل من العدل أن يغتصب مسلمون أموال المسلمين وديارهم، وأن ينتهكوا حرماتهم؟ وهل من العدل حين يجد هؤلاء المظلومون من يعيد لهم بعض حقوقهم أن نقول لهم: كفوا أيديكم ولا تستعينوا بغير المسلمين..؟ ألا يسأل هؤلاء أنفسهم ـ لو كانوا منصفين ـ لماذا استعنا بغير المسلمين؟ وعلى أي شيء استعنا بهم؟ أما لماذا استعنا بهم فقد بيناه فيما تقدم، والأمر كله معروف مشهود معاش، أما على أي شيء كانت هذه الاستعانة فإني أقول: إنها لم تكن لانتزاع الأرض من دولة مجاورة، ولا للاعتداء على الأقربين، ولا للاستيلاء على أموال الآخرين، ولا رغبة منا في استباحة ديار المسلمين، ولا حبا في التمكين للآخرين، فلم تغب عن أذهاننا عبر التاريخ، ولكن.. ما الحيلة؟

إن المضطر يأكل الميتة، ويأثم إن علم أن بقاء حياته في الأكل منها ثم امتنع، والجائع الذي لا يجد الطعام الذي يقوته، ويمسك عليه حياته، أبيح له أن يأخذ من أموال الآخرين ما يقيم أوده، ويمسك رمقه، فهل كنا مضطرين حين استعنا بالآخرين أو كنا مختارين؟ وهل نحن استعنا بهؤلاء وحدهم أو استعنا بالناس أجمعين، فأعاننا ـ بحمد الله ومنته ـ مسلمون وغير مسلمين.

(٤) مناصرة شعب العراق:

وهؤلاء الذين أعانونا لم يعينونا ـ بحمد الله ـ على ظلم أحد، ولا على منع حق أحد، ولا على الجور على أحد، فنحن ـ بحمد الله ـ لا نرتضي الظلم ولا نقبل

(١) الحجرات: ٦. (٢) النساء: ١٣٥. (٣) المائدة: ٨.

الجور، بل ونتجاوز نطاق الواجب المفروض ـ فـي معاملاتنا مع الآخرين ـ إلى نطاق المستحبات والنوافل والمندوبات، إننا لا نرضى أن يصيب الشعب العراقي مكروه، أو ضرر. . . إننـا نحزن لما يصـيب هذا الشعب على يد الطاغـية المتـجبـر صدام، ولما يعرضه له من اعتداء أو جـوع أو حرمان، إن المسؤولين في الكويت لا يزالون يمدون أيديهم بالعطاء للمشردين العراقيين الذين يعيشون في العراء.

وقد نبهت الصحف على لسان بعض المسؤولين أن الكويت ليست طرفا في الأزمة التي قـامت بين العـراق وبين الأمم المتـحدة، ولعل ذلـك كان ردا على كـتـاب الزوايا والأعمدة في الصحف اليـومية، الذين حاولوا بتعليقاتهم وكـتاباتهم أن يجعلوا الكويت طرفا في الأزمة، ولـربما كان ذلك بدافع من غيرتهم على وطنهم، ولما يـشعرون به من غصة في حلوقـهم تجاه ما فعله صدام، ولما تكنه القلوب له من بغض وكـراهية، حتى لتتمنى زواله وزوال نـظامه العفلقي في أقرب فرصـة ممكنة. . ومع هؤلاء الكتاب الحق فيـما يشعرون. . ولكن الموضـوعية والواقعـية تجعلنا نبين أن الكويت ليـست طرفا في الأزمة، وفرق بين الأمنيـات التي تعبر عن المشاعـر، وبين الأحداث المتعاقبـة التي تعبر عنها الوقـائع مما استدعى التـنبيه إلى مـثل هذا الأمر. . . ، ولقد صـرح المسؤولون في الدول الخليجـية أنهم غـير موافـقين على الضربة العسكرية، وأنـهم متمـسكون بوحدة الأراضي العراقية كما جاء في تصريح الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران، والمفتش العـام في المملكة العربية السعودية أثناء زيارته لأسبانيـا، وأنهم يتمنون الانفراج القريب كمـا صرح بذلك النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية في دولة الكويت الشـيخ صباح الأحمد في ١٧/ ٢/ ٩٨ أثناء حدة الأزمـة واشتدادها، بل ورحب المسـؤولون في دول مجلس التعـاون الخليجي بالاتفاق الذي تم أخيرا؛ لأن خـسائر الضربة العسكرية في حال حدوثها خـسائر عامة، ولأن أمثال هذه الضـربة ـ في نظرنا ـ تضعف النظام ولا تزيله، بل تبقيـه ليشاغب عند اللزوم، ويقوم بحركاته في أوقات معلومة لأغراض مـفهومة، يساق هو إليها فهم أم لم يفهم.

إن العداء ليس بين الكـويت والشعب العراقي، وإنما العـداء مع هذا النظام الظالم الباغي الذي اعتدى على الكويت وحاول ابتلاعهـا وهضمها والقضاء عليها، ثم تراجع عنها قسرًا وقهـرًا، وما زال يعلن تمسكه بموقفه منها، ويظهر حبه للهيـمنة عليها، فماذا

يكون موقـفنا تجاه هذا النظام؟ لا شيء غـير العداء، ورفـع الأكف إلى الله بالدعاء أن يُهلك الظالمين، وأن يقطع دابر المعتدين، وحينها يكون لكل حادث حديث.

ولكننا لا نترك القلم حتى نذكر بعض ما يتصل بالأزمة الماضية:

(أ) ماذا بعد الرعد؟

انتهت عـاصفة الصحـراء بما انتهت إليه، ومـر ما أطلق عليه «رعد الصـحراء» بالاتفاق الذي تم، فكيف سـيكون المطر القادم بعـد ذلك؟ ومتى يأتي هذا الماء الذي نرجو أن يكون ماء رحمة، تزول به أدران المنطقة؟

وحتى يكون المطر القادم مـاء ينتفع به البشر لا عذابا مـهلكا لهم ولمساكنهم، لا بد أن يكون الشعب مهيأ ومستعدا للانتفاع بالماء، ولن يتم هذا التهيؤ وذاك الاستعداد إلا إذا أحسن الناس الانتماء إلى عـقيدتهم، وعاشوا في ظل شريعـتهم التي جاء بها محـمد بن عبـد الله ﷺ، وأخلصوا انتمـاءهم إلى الله دون غيره، فـلا يعنينا في شيء أن ينتـمي الناس لهذا الحـزب أو ذاك، أو لهذه الجـماعـة أو تلك، وإنما يعنينا ويسعدنا ويقر عيوننا أن ينتـمي الناس إلى ربهم، وأن يحسنوا صلتهم بخالقهم، وأن يشكروا نعم الله عليهم ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[1]، فهـذا وحده طريق النـجاة، ولا طريق غيره، إن الـنجاة في الدنيا والآخرة قائـمة على الاستمسـاك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والجـهاد في سبـيلهما، هذا هو حـبل الله الذي أمرنا بالاعتـصام به: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[2] ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[3] ﴿**قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً**﴾[4].

هذا هو طريق النجاة، فـلا ينبغي أن نحيد عنه، وهذا حبـل الله فلا نتخلى عن الاستمساك به، ولنذكر أن قـوم صالح أهلكهم الله لأن واحدا من بينهم عقر الناقة، ولنحذر الفـتنة فإنها مهلكة للناس أجـمعين، ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾[5].

فليكن هذا المنهج عصمـتنا حين يأتي المطر أو الماء بعد عاصفة الصـحراء ورعد الصحراء.

---

(١) إبراهيم: ٧. (٢) آل عمران: ١٠٣. (٣) آل عمران: ١٠١.
(٤) الأحزاب: ١٧. (٥) الأنفال: ٢٥.

(ب) استفاد الجميع من الأزمة إلا أهل الكويت:

هذا ما أثبتته الأزمة فقد استفـاد الجميع غير أهل الكويت. . فأمريكا أثبتت أنها ما زالت ـ رغم المـعارضين ـ **قطب النظام الموحـد**، وأنهـا قادرة بمفـردها ـ إن لزم الأمر ـ أن تفعل ما تريد سـواء في الأمم المتحدة باستخدام حق الفيـتو، أو غير الأمم المتحدة بتـسيير بعض قطع الأساطيل البحـرية والطائرات الجوية، والإعلان عن إنزال ضربة ببعض الدول حتى ولو كانت هناك معارضات شعبية أو رسمية لهذه الضربة. . وأثبتت بذلك أنها قـادرة على تحقيق الاستـراتيجية الأمريكيـة المطلوبة التي تعمل من أجلها وفي ظلالهـا، وأنها صاحبـة أكبر المغـانم والمكاسب في السلم أو في الحرب، وأن تأثيرها في مـعظم الأحوال باق وقائم ابتـداء من موقفـها من القدس الإسلامـية وإسرائيل الصهيونية إلى إدارة الأزمة الحالية والاشتراك في صنعها.

واستـفاد صـدام بنظامه الآثم بأن اسـتطاع شق الصف الخليجي علـى نحو من الأنحاء وبصورة من الصور، بحـيث لم نستطع ستر هذا الأمر أو إخفـاءه، واستمال واكتـسب عطف الشعـوب العربية فـخرجت مظاهرات مؤيدة له فـي بعض العواصم العربية. . . وبهذا الاتفاق الذي تم مع عنان، اكتسب جولة دبلوماسية ودعاية إعلامية لو كان أنفق عليها الملايين ما كانت تحقـق له مثل هذا المكسب، واستفاد قبل الاتفاق بساعات تعديـل صيغة (النفط مقابل الغـذاء) فسمح له ببيع أكثر من ضـعفي ما كان يبيع مـن قبل. . . وتنادت الصـحف الأجنبية ثـاني يوم إعلان الاتفاق ـ بـأنه قد آن الأوان للالتفات لرفع المعاناة عن الشعب العراقي.

ونحن ـ في الكويت ـ لم نستفد شيئا، فلم يسقط نظام صدام الجاثم على صدر الشعب العراقي، والمثير للفزع والضـيق عند الشعب الكويتي، مما يجعل جريمته التي ارتكبها ماثلة أمـام الأبصار، عالقة في الفؤاد، فتسـبب الأحزان والآلام، ونظل غير مطمئنين لجواره، متوقعين منه الخيانة كل آن.

ولم يستفد إعـلامنا شيئا في التعامل مع هذه الأزمة من حـيث السبق والتفرد، فلم تكن قـضية الأسـرى عالقـة في أذهان الناس خارج الكويت، بينمـا علقت في أذهانهم صور الأطفال العـراقيين، وقرؤوا عن معاناتهم، وبعض مآسـيهم، واستطاع الإعلام العراقي أن يجعل الكويت طرفا في القضية، بينما لم يستطع الإعلام الكويتي ألا يجعل من الكويت طرفا فيها؛ حتى أعلن بعض المسؤولين ذلك للناس.

ولم تسـتطع الكويت خـاصة ودول الخليج عـامـة أن تكون شبـكة بث عالميـة

تخاطب الشعوب التي لها تأثير في حكوماتها لتبني قضية مثل قضية الأسرى وتحافظ على الحق الكويتي.

(جـ) وانتصرت الكويت:

ولعلك تسأل: كيف يتحقق لنا نصر ونحن لم نستفد من الأزمة؟ ونقول: إن الكويت انتصرت بتمسكها بمبادئها وقيمها الثابتة وبتعاملها الراقي؛ حيث فرقت بين النظام الطاغوتي في العراق والشعب المستكين المغلوب على أمره هناك... وحيث كان تعاملها مع الأمة الإسلامية تعاملا راقيا في الحرص على الأخوة الإسلامية والعاطفة العربية، وتجلى ذلك في الخطابات والبيانات والاتصالات الكويتية بالدول الإسلامية والعربية الأخرى.

وانتصرت الكويت في هذه الأزمة بتوحيد التعامل بين الحكومة والمجلس بحيث كان عمل الجميع عمل فريق واحد متماسك حريص على مصلحة البلد، محقق لأعلى قدر من التوافق والتعاون في العمل لخير البلاد وحفظ وحدتها وتماسكها، وهذا ما نريد استمراره.

انتصرت الكويت حين تعاملت مع الأزمة بروح حضارية في الشارع الكويتي، فلم يتجاوز رجال الأمن في تعاملهم مع المواطنين أو الوافدين الظروف العادية، بل كانوا يتعاملون بروح الوفاء والمودة والأخوة مع الجميع.

انتصرت الكويت بثبات أبنائها فلم يغادرها أحد بسبب الأزمة ولم يحدث خلل في البنوك ولم يتقافز الناس على السلع بحيث تختفى من الأسواق بل ظل الأمر هادئا، والعمل مستمرا، والناس غير فزعين، وإن كانوا حذرين.

وظل أهل الخير ينفقون ويبذلون، وهم يحملون في قلوبهم أمنا وسكينة حتى ليعجب القادمون من الخارج من حالة الناس في الداخل، وتعاملهم مع الأزمة بروح الصبر والعمل والاحتساب.

وكل هذه جوانب إيجابية تحسب لأهل الكويت في ميزان النصر على النفس وعلى الشدائد.

ونسأل الله أن يحفظ الكويت وأهلها والبلاد الإسلامية جميعها من كل مكروه.

رابعًا: نحو تأصيل العمل السياسي في الإسلام

(١) الأحزاب الأرضية والأحزاب الإسلامية:

الأحزاب السياسية باتت واضحة المعالم والارتباط بالنظم السياسية الحديثة، وَتُكَوِّن الدولة وأسلوب الحكم فيها.

فالنظم السياسية ـ في معظمها، كما يتراءى ذلك في الواقع ـ نظم مشكلة من خلال الوجود الحزبي في البلد الذي نشأت فيه، مهما كانت تلك النظم سواء أكانت سلطوية أم تحررية، تأخذ بالتعددية الحزبية أم بالأحادية...، هذا الحضور الحزبي كظاهرة مرتبطة بالنظم السياسية الحديثة أعطى للحزب أهمية بالغة داخل كيان الدولة؛ كإطار للعمل السياسي المشارك في وضع مفردات ومكونات النظم السياسية والمعتقدات الفكرية؛ التي ستلتزمها الدولة مع تطور واتساع هذا الحزب أو ذاك.

وقبل الدخول في التعريفات العلمية الحديثة للحزب، نود أن نؤكد بأن القرآن الكريم ذكرت فيه لفظة حزب سبع مرات في سور متعددة. كما ذكرت فيه لفظة الأحزاب إحدى عشرة مرة، وأكدت جميع الاستخدامات لكلمتي الحزب والأحزاب على وجود مجموعات متفقة في التوجه والرأي والهدف، مجموعات عقائدية وفكرية وعسكرية، لم يفصل الإسلام فيها كثيرا لجهة الهيكلية الحزبية أو لجهة الأحادية والثنائية والتعددية.. إنما أخذ الموقف الفصل من أصل الفكرة وغايتها، وبذلك حدد القرآن الكريم نوعين من الأحزاب لا ثالث لهما: حزب الله وحزب الشيطان، وأعطى المواصفات لكلا الحزبين وأعضائهما وما سيؤولون إليه نتيجة انتمائهم هذا.

(أ) حزب الله وحزب الشيطان:

ففي مواصفات أعضاء حزب الله جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[١] ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ**﴾[٢] إنه الولاء لله عز وجل، والرضى بتقديره، والتسليم له والتوكل عليه وحده، وفي المقابل تأتي مواصفات أعضاء حزب الشيطان في الآيات التالية الجامعة: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٣].

استحوذ عليهم الشيطان فنتج عن ذلك أن أنساهم ذكر الله، إنها علاقة واضحة

---

(١) المائدة: ٥٦. (٢) المجادلة: ٢٢. (٣) المجادلة: ١٩.

بين الخيارين إما الولاء لله تعالى، وإما الوقوع تحت سلطة الشيطان وهذا ما يميز جند الله وحزبه عن جند الشيطان وحزبه (هكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب الله وحزب الشيطان، وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل، فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل»[١]، (إنه أصل وجذر عميق يقوم عليه هذا الدين بمبادئه وتوجيهاته.. إنه الاتجاه إلى الخالق بالكلية، وعلى هذا تتشكل البشر، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [٢] ويرمز بها إلى أن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من أفق واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد، وإلا نافق، واضطربت خطاه، وما دام لا يملك إلا قلبا واحدا، فلا بد أن يتجه إلى إله واحد، وأن يتبع نهجا واحدا، وأن يدع ما عداه من مألوفات وتقاليد وأوضاع وعادات)[٣].

(ب) المفهوم العصري للحزبية:

بعدما بيَّنا الموقف القرآني من الأحزاب من حيث المنهج والعقيدة، نعود لنقف عند المفهوم العصري للحزبية الذي ارتبط حديثا بالمؤسسات السياسية، يقول «**موريس دي فرجيه**» صاحب كتاب الأحزاب السياسية: «إنه في سنة ١٨٥٠م لم يكن أي بلد في العالم (باستثناء الولايات المتحدة) يعرف الأحزاب السياسية بالمعنى العصري للكلمة، فقد كان يوجد قديما اختلافات في الآراء ونواد شعبية، وتكتلات فكرية، وكتل برلمانية، إنما لم تكن هذه أحزابا بالمعنى الصحيح».

فالحزب السياسي كما يعرفه «أحمد عطية الله» هو: «جماعة منظمة من المواطنين متفقة على تنفيذ مبادئ سياسية معينة إذا تولت السلطة، وذلك في حالة نجاح ممثليها في المجالس النيابية، لهذا كانت الأحزاب السياسية هي أركان الأنظمة الديمقراطية بمفهومها التقليدي» وهكذا فإن الفهم الحديث للحزبية بات يؤكد على دوره الانتخابي وأحيانا كثيرة على هدفه في الوصول إلى الهيئة التشريعية ومن خلالها إلى السلطة التنفيذية، وبشكل أو بآخر فإن اتجاه الأحزاب بات اتجاها سلطويا كغاية، ولتحقيق هذه الغاية يمكن أن تنصاع الوسائل.

يعرف «**فريد ريجز**» الحزب بأنه: أَيُّ تنظيم يعين مرشحين للانتخابات لدخول

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٥١٥، دار الشروق، الطبعة السادسة والثلاثون ٢٠٠٧م.
(٢) الأحزاب: ٤.
(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٨١٩.

الهيـئة التشريـعية، أما جـوزير شيلزنجر فـيرى أن الحزب هو التنظيم السـياسي الذي يشارك بنشاط وفعالية في التنافس من أجل المناصب الانتخابية».

في ظل هذا الفهم للحزب على اعتبار أنه جماعة منظمة أو على اعتبار أنه جماعة طامـحة للوصـول إلى السلطة فليس من خطر أو سـوء في وجود هذه الأحـزاب، إنما يتجلى الخطر في محتواها العقائدي ، أو خطها السياسي الانتهازي، أو علاقتها المباشرة وارتباطها بقوى استعمارية خارجية، في هذا المجال كان لا بد من إبراز مميزات الأحزاب الإسلامـية مقـارنة بما عداها من أحـزاب أرضية، مميـزات من حيث الجـوهر والباعث والهـدف والوسائل والخطاب السـياسي، وتشـابه من حـيث الشكل والهيكليـة وطرق العمل.

(٢) الاشتراك في الحزبية والشكل والاختلاف في الوسائل والمضمون:

إن بنية الأحزاب غالبا ما تتـأثر وتختلف من حيث الظرف التاريخي لنشأة الحزب أو لجهة الواقع الجغرافي، وكذلك تتأثر بالواقع الاجتماعي الذي يساهم غالبا في إبراز الظاهرة الحزبية.

فنجد ثلاثة أنماط مختلفة بهياكلها وبمؤسساتها، فهنالك نمط الأحزاب البورجوازية التي قامت في القرن التاسع عشر ولا تزال حتى الآن وتتخذ شكل الأحزاب المحافظة والليبرالية، ونشـاطها يتركز بكامله على الانتخابات البرلمانيـة وتعمل على استقطاب وجمع الشخصيات البارزة في المجتمع على المستوى المالي والفكري.

وهناك نمط آخر مختلف تعبر عنه الأحزاب الاشتراكية الغربية «القارة الأوربية» فبنيتـها الحزبية تعـتمد على الإحاطة بأكبـر عدد ممكن من الجماهيـر، وتظهر الشعب والخلايا في تركيـبتها الهيكلية وينـشط فيها ميدان التـثقيف السياسي، وتبرز العـقيدة بشكل واضح.

أما النمط الثالـث فتمثله الأحزاب الشـيوعية والفاشـية حيث تتمـيز بالمركزية القوية، ولا يقف الانتماء إلى تلك الأحزاب على الناحيـة السياسية فقط، بل يشكل الانتساب إليها التزاما واسعا وكبيرا للفهم وللسلوك العام والخاص في الحياة.

هذه البنيـة والهيكلية قـد تكون مشـتركة بين جـميع الأحزاب، ذلـك أن البنية التنظيمية ـ غالبًا ـ ما تتأثر بالواقع والتاريخ والظروف المناسبة لأفضل تحـرك ممكـن، حتى إن الحزب الواحد قد يبدل ويعدل في بنيته نتيجة تبدل وتغير الظروف المحيطة به

أمنية كانت أم سياسية أم غير ذلك.

من هنا فـإنه لا عجب من التـشابـه الحاصل في الشكل بين الأحـزاب الأرضيـة والأحزاب الإسلامـية؛ إذ إنه تشابه لا يتعدى الشكل والتـنظيم الإداري لأنشطة وأعمال الحزب، هذا التـشابه الشكلي يقـابله اختلاف كـبير في الوسـائل والمضمون، فـالحزب الإسلامي مهما تغـيرت بنيته وهيكليته فإن مضمونه واحـد وإطاره ثابت محدد بالشريعة الإسلامـية التي على ضـوئها التزم أعـضاؤه، فالشـريعة هي الأصل وإنما جـاء الحزب كوسيلة لإبراز ونفاذ هذه الشريعة، فأولى مواصفات الحزب الإسلامي أنه شمولي، بينما نجد هذا المضمون شبه مفقود عند معظم الأحزاب السياسية على امتداد العالم الإسلامي التي جاء في وصفـها كجزء من أحزاب العـالم الثالث: «إنها أحزاب مشـبوهة تختلف بشكل أو بآخر وبـدرجات متـفاوتة عن المعنى الحقـيقي للحزب الـسياسي، وأنهـا ثانيا أحزاب مؤقتة قصـيرة العمر، وأنها ـ ثالثاً ـ أحزاب ضعيـفة هزيلة الأيديولوجية وهشة التنظيم».

أما مضامين الأحزاب غير الإسلامية فـإنها تتوزع بين أحزاب وجاهية شخصية، وأحزاب انتخابية، وأحزاب عنصرية شعوبية، وأحزاب وطنية قومية، وأحزاب مرتبطة بالخارج فكرا وحركة.

ولا يخفى على أحد بأن الظاهرة الحـزبية في المنطقة العربية الإسـلامية ارتبطت بالوجود الاستعماري، فكانت بمجملها أحزابا مـعادية للاستعمار، ثم ظهرت طبقات جديدة من الأحزاب متأثرة بالمستعمر فكرا ومضمونا وتقليدا.

وهذا ما دفع الإمـام حسن البنا المؤسس للحركـة الإسلامية للقـول: «إن الحزبية السياسية إن جازت في بعض الظروف في بعض البلدان، فـهي لا تجوز فيها كلها»[(١)] وتابع **البنا** رأيه بانيا على الواقع بقوله: إن الأحزاب المصرية الحـالية أحزاب مصنوعة أكثر منها حقيقية وإن العامل في وجودها شخصي أكثر منه وطني»[(٢)].

فالرسـالة الحزبية مـختلفة تمامـا بين الأحزاب الأرضيـة والأحزاب الإسلامـية، وكذلك الوسائل الموصلة لإبراز هذه الرسالة، فمما لا شك فيه أن الأحزاب السياسية الأرضية تتبنى النـزعة الميكيافيللية التي سادت وانتـصرت في أوربا وفصلت الأخلاق عن السياسة، وأصبح معها المفهوم السياسي مفهـوما براغماتيا مصلحيا انتهازيا يعتمد

(١، ٢) مجـموعة رسائل الإمـام الشهيـد حسن البنا ـ رحمـه الله ـ رسالة إلى الطلاب، ص ٣٠٤، ٣٠٥، دار الدعوة ، الطبعة الأولى.

الغدر والخيانة والفضائح للوصول إلى الهدف وهذا ما تَعُجُّ [١] به الصحف السياسية الحزبيـة التي ما فتئت تكيل الاتهـامات لبعضـها البعض، أما الوسـائل في الأحزاب الإسلامية فـهي في الأصل نظيفة نظافة الرسالة والمضمـون، وإن شابها بعض الخلل فغالبا ما يكون محدودا وغريبا عن أدبيـات الحركة، وهذه الوسائل بلا شك مستلهمة من الإسلام في إطار القاعدة الإسلامية المعروفة «الغاية لا تبرر الوسيلة».

(٣) الاشتراك في الشريحة المخاطبة والاختلاف في الخطاب السياسي:

إن مجـال العمل الحزبي هو الشـعب، وتعمل الأحزاب مجـتمعـة لكسب ثقة الجمـهور، والأحـزاب الإسلامـية في هذا المضـمار تلتـقي مع الأحزاب الأرضـية، فـالشريحـة المخاطبـة واحـدة والمنافسـة بين الأحزاب منـحصـرة في هذه الشريحـة والأحزاب الإسـلامية تحرص علـى وحدة الأمة ووحدة الجـمهور، لكنهـا ترى لهذه الوحدة مقومات أبرزها الوحدة على دين الله.

وبما أن الشريحـة المخاطبـة واحدة فإن الأحـزاب الإسلاميـة تتوافق مع جـميع الأحـزاب في روح الوحـدة والصـالح العـام بالـرغم من الخـلافـات في المرتكزات ووجهات النظـر، وذلك من موقع حرصها عـلى وحدة المجتمع وتآلفـه، والبعد عن التناحر الحزبي الذميم الذي يشتت قوى المجتمع، وهذا فهم خاطئ للحزبية تكلم عنه مؤسس الحركـة الإسلامية الإمـام حسن البنا في رسائله بقوله: «هذا الـفهم الخاطئ للحزبية الذي تحول إلى عداوة متأصلة، قد كان من نتائجه أن انصرفت معظم الجهود الفكرية والعمـلية إلى أمرين اسـتغرقـا كل اهتمام رجـالنا، وهما الإيقاع بالخـصوم الحزبيين واتقاء مكائدهم فالحاكم يصرف جـل همه في هاتين الناحيتين، والمعارضة لا تقل عن الحاكم اهتمامـا بهما وفي سبيل ذلك تضيع الحقـوق وتتعطل المصالح ويرثى الأصدقاء ويشمت الأعداء، ويستفيد الخصم الجاثم على صدر البلاد»[٢]، وإن كانت محـاولات الأحزاب الإسلاميـة التوحيدية لا يكـتب لها النجاح غالبـا مع الأحزاب الأرضيـة، إلا أنها تعمل على الحـوار معها وتخـفيض حرارة الصـراع والعداوة لكي تبقى الشريحة الشعبية متراصة مساهمة بفعالية وقوة في القرار الوطني.

إن سمة الاشـتراك بين الأحزاب الإسلامـية والأحزاب الأرضية، فـي الشريحة التي يتوجهـون إليها بالخطاب لا تحجب سـمة المغايرة بينهما فـي الخطاب السياسي،

---

(١) تَعُجُّ: تشتد، تمتلأ.

(٢) مجموعة الرسائل، المصدر السابق ص ٢٤٢.

حيث تحكم قواعد الشريعة الخطاب السياسي للحركة الإسلامية ويتجلى ذلك الصدق والمصداقية في الانفتاح والحوار مع الآخرين، ونصرة الضعفاء، ورفع الظلم، والدعوة إلى تحكيم شرع الله، والتحصين الفكري، والدعوة إلى مكارم وفضائل الأخلاق... وهذه المفردات التي تشكل في مجملها خطاب الحزب الإسلامي ليست وليدة ظروف اجتماعية كما هو الحال عند الأحزاب الأرضية التي قد تدعو أحيانا لمثل بعض تلك المفردات... إنما هي قواعد إسلامية في التعاطي والتعامل لها بعدها الإيماني: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1]، وعن عبدالله ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة**»[2]، وفي رفع الظلم والابتعاد عنه قال تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[3]، وعن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾»[4].

وفي المطالبة بتحكيم شرع الله قوله تعالى ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[5].

كل تلك المعطيات التي تشكل محور الخطاب السياسي الإسلامي، لا يمكن للحزب الإسلامي إلا أن يلتزم بها لأنها من لوازم الإيمان. أما الأحزاب الأرضية، ومع أن بعضها يتقارب في خطابه من خطاب الأحزاب الإسلامية، إلا أنه غير ملزَم بها سوى على مستوى التكتيك وكسب جمهرة الناس، فهي تشكل بالنسبة إليه مصالح ولا تشكل مبادئ.

أما في الحركة الإسلامية فإن المصلحة موجودة إلا أنها يجب أن تدور في فلك المبدئية ورغم الإطار الشرعي للخطاب السياسي الإسلامي، إلا أنه بقي بين جزر ومد، رهنا بالظروف المحيطة به فيخضع للتعديل والزيادة.. للشدة والتساهل.. ويبقى الخطاب الإسلامي متميزا عن سواه بخضوعه للكليات في الشريعة يلتزم بها ولا يتعداها في كلتا الحالتين الشدة والرخاء.

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، وأبو داود (٤٩٨٩)، والترمذي (١٩٧١).

(٣) غافر: ١٨. (٤) هود: ١٠٢، والحديث أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣)، والترمذي (٣١١٠)

(٥) النساء: ٦٥.

(٤) الاشتراك في التحرك والعمل والاختلاف في الباعث والهدف:

قد تتوحد الآلية إلى درجة عالية بين الأحزاب الأرضية والأحزاب الإسلامية فالسعي الدؤوب للتأثير في المجتمع وتحوير أفكاره وآرائه، رسالة حزبية جامعة إلا أن الباعث على هذا التحرك، والهدف منه يختلفان جذريا بين هذين النوعين من الأحزاب، فالباعث في الحركة الإسلامية إذا ما رصدنا الظروف التي نشأت بها تلك الحركات والأفكار التي طرحتها نراه باعثا دينيا مرتبطا بإقامة عرى الدين في المجتمع ويقول مؤسس الحركة الإمام البنا في الباعث والمهمة: «هي أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات، التي جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبيﷺوهداية القرآن وحرمت العالم من أنوار هديها، وأخرت تقدمه آلاف السنين حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا»[(١)].

أما الباعث في الأحزاب الأرضية فلا يعدو كونه باعثا مصلحيا ذاتيا أو جماعيا أو نازعا عصبيا عرقيا أو قوميا... وعلى هذا الأساس نجد أن الأحزاب الإسلامية من حيث ارتباطها بالفكرة والباعث الرسالي تتمتع بشمولية الفكرة وقدسية الباعث وعمق التنظيم والامتداد.

أما الهدف في الأحزاب الأرضية فهو الوصول إلى السلطة، وهو في الأحزاب الإسلامية إقامة شرع الله وقد يكون الوصول إلى السلطة مساعدا لذلك وليس الهدف والغاية.

(٥) ويتكلم الإمام البنا عن الغاية بأنها غايتان:

غاية قريبة وهي المساهمة في الخير العام أيا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف...وغاية أساسية هي: إصلاح شامل كامل تتعاون عليه الأمة جميعا وتتجه نحوه الأمة جميعا، ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل[(٢)].

يبقى أن نقول: إنه رغم الاشتراك والاختلاف بين الأحزاب الأرضية والأحزاب الإسلامية يبقى الإنسان هو محط العلاقة وميدان التجربة، وأنه وإن كانت بعض الأحزاب الإسلامية في بعض الظروف تنحرف بعيدا عن الأصالة الإسلامية في التعاطي مع الأمور، فإن ذلك لا يشكل خطرا إذا انحصر في ميدان الاجتهاد ولم يتعده إلى الحدود الشرعية ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾[(٣)].

---

(١) انظر: مجموعة الرسائل، المصدر السابق، ص ١٠٩. (٢) مجموعة الرسائل، ص ٣١٥، باختصار.
(٣) الطلاق: ٢، ٣.

خامسًا: الود باقٍ

انتهت بحمد الله ـ الأزمة الأخيرة ـ بعد أن أضافت ذخيرة جديدة إلى رصيد التجارب الكويتية في مسار الديمقراطية وأثبتت أن حصافة المسؤولين فيها ضد الزيف والاستعلاء أقوى من كل أزمة، وأن المدافعين عن الحق فيها أثبت من الجبال الرواسي وأن الجميع يحتكمون إلى الحق ولا يحيدون عن منهجه، أو يميلون عن طريقه، وأن غاية الجميع في السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية هو تحقيق مصلحة الكويت، والحفاظ على القيم والمبادئ الإسلامية التي تعمل دولة الكويت على إعلائها في كل مناسبة وفي كل منتدى دولي أو محلي.

لقد كانت الأزمة تمحيصا لأبناء الكويت جميعا، حيث عالج المسؤولون فيها الأزمة بالصبر والحكمة في معظم الأحوال، وجاء ختامها على يد سمو ولي العهد، ليزيل بحنكته السياسية بعض ما علق في نفوس أفراد داخل السلطتين ويحل الوئام بين الطرفين «الحكومة والمجلس» للعمل معا لصالح الكويت وشعبها، بعد أن تظهر في الأفق آثار الود، الذي لم يفسده اختلاف الرأي.

(١) طبيعة الخلاف:

ولم يكن الاختلاف في الرأي بين أحد يؤيد التعرض للذات الإلهية بما لا يليق، والتعرض لشخص الرسول ﷺ وأصحابه بما لا يصح، ومحاولة نشر مساوئ الأخلاق وإشاعة الفاحشة بين هؤلاء وبين آخرين يدافعون عن ذات الله وشخص رسوله وأصحابه وعن القيم والفضائل، لم يكن الخلاف أبدا بين هذين الفريقين كما يصور بعض الكتاب، وكما يتخيل بعض الناس؛ لأن الجميع متفقون ـ إلا بعض من شذ من بين الكتاب ـ على توقير ذات الله، والإخبات له، وتوقير شخص الرسول ﷺ واحترام أصحابه، والإعلاء من شأن الفضائل والقيم، وفي مقدمة الموقرين سمو أمير البلاد الذي خر ساجدا لله سبحانه على نعمه ـ بعد أن تحررت الكويت ـ ومست قدمه أرضها، وسمو ولي العهد الذي يؤكد في كل مناسبة حرصه على القيم الدينية والفضائل الأخلاقية، وحرصه على أن تكون دولة الكويت منارة دينية يشع منها الفكر الديني والقيم الإسلامية التي نكبرها ونحرص على أن نحققها في كل مسارات حياتنا، ولا نبالغ إذا قلنا: إن شعب الكويت كله إلا قلة قليلة يحرص على كل ما جاء في الدين ودعا إليه الرسول الكريم ﷺ.

(٢) ففيم ـ إذن ـ كان الخلاف؟

إن الخلاف كان على طريقه إنكار المنكر وكيفية محو آثاره، التي مست في الكويتيين عقيدتهم فأثارت بذلك حفيظتهم وأبوا إلا أن ينصروا الله لينصرهم مصداق قوله: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾(١) ، ونحن لا ننسى الله ـ سبحانه ـ الذى سخر لنا من بين خلقه من ينصر الكويت ويحرر أرضها، ويزيح عنها كابوس الاحتلال، ويرفع عن عاتقها وطأة الاستكبار، ولا تزال القوارع تمر بالقرب من ديارنا، والمعضلات لا تبتعد عن أراضينا كثيرا؛ لأن نظام صدام، الذي لا حيلة لنا في جواره ما ينفك يصنع المشكلات، ويختلق أسباب الصدمات، التي ـ إن لم تكن موجهة نحونا في أساسها ـ فلا نأمن أن يصيبنا رذاذها، وأن تتعثر منها بعض خطواتنا في تنمية بلدنا، والقضاء على بعض مشكلاتنا.. ولا عاصم لنا غير الله، ﴿**قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا**﴾(٢) ، إن العاصم من شرور الفتن التي تحدث في منطقتنا هو الله ـ وحده ـ فإذا تخلى عنا؛ لأننا نرضى أن تهان ذاته العلية ـ سبحانه ـ وأن يتجرأ البعض بإلحاق الأذى برسوله ﷺ وبصحابته الأكرمين، ونسكت على ذلك ونقبل به، فمن ينصرنا من بعد الله؟! ولنذكر أن الذي عقر الناقة رجل واحد فلما جاء العذاب عم القوم ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا..**﴾(٣) وسئل ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»(٤).

ونحن نحمد الله أن جعل من بين المسؤولين فينا حكماء يقضون على الفتنة قبل أن تستفحل ويخمدون نيرانها قبل أن تتأجج، ولا يقبلون أو يرتضون أن يتعرض أحد لذات الله بما لا يليق، ومن هنا فإن ما حدث هو نصر للكويت كلها، إنه نصر للمسؤولين حيث أثبتوا أنهم جنود الله، وأنهم قادرون على مخالفة الهوى، وقادرون على ضبط النفس، وقادرون على أن يقبلوا نتائج النهج الديمقراطي الذي ارتضوه، وقادرون على ألا تضعف حكمتهم مع الشدائد، ولا يفقدوا صبرهم على الملمات، وألا تضعف من عزيمتهم سهولة بعض الحلول الأخرى للأزمة، وذلك كله نصر

(١) محمد: ٧. (٢) الأحزاب: ١٧. (٣) هود: ٦٧، ٦٨.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠)، والترمذي (٢١٨٧)، وابن ماجة (٣٩٥٣) عن زينب بنت جحش $.

للكويت يجب أن تهنأ به، وتستريح له، هو نصر للكويت كلها لأنه نصرة لعامة الشعب المؤمن بالله وبرسوله، وذلك كله من دلائل عمق الإيمان وحسن الصلة بالله وكتابه ورسوله ﷺ، ويخطئ من يرى أن الذي حدث نصر لجماعة بعينها أو فئة بذاتها ـ كما يرى ذلك بعض الكتاب ـ لأن قلوب عامة الناس كانت مجتمعة على إنكار المنكر، وكان هذا الإجماع منها هو الحق الذي أخبر به رسول الله ﷺ في قوله: «**إن الله لا يجمع أمتي ـ وقال: أمة محمد ﷺ ـ على ضلالة**»(١).

وهذا الإجماع من عامة الناس لا يتم ولا يتحقق إلا في قضية عامة تهم الناس أجمعين دون أن تجد بينهم من يختلف حولها، ولا يتم ذلك في كثير من القضايا السياسية ولكنه يتم بصورة كبيرة في القضايا التي تقوم على العقيدة، والقضية التي نحن بصددها هي قضية عقيدة، ولذا لاقت اهتمام عامة الناس، ولاقت قبول عامة الناس، ووقفوا من ورائها مؤيدين؛ لأنهم لا ينصرون أشخاصا بذواتهم، بل يعملون على حفظ عقيدتهم وإرضاء ربهم، فأنكروا المنكر، لأن إنكاره جزء من العقيدة، ووقاية وأمن للأمة من أن يحل الله عليها غضبه أو ينزل بها سخطه. . . ، وما كان أشخاص مقدمي الاستجواب إلا بعضا من الناس، وقدرا من أقداره يعملون على إرضاء الله، ويحملون عن الشعب رأيه، وينادون بتحقيق طلبه، والله ـ سبحانه ـ قد جعلهم صمام أمان، حين تنادوا إلى إزالة المنكر، وإظهار الحق ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ**﴾(٢)، وقد أيدهم عدد كبير من النواب ومن المسؤولين لأنهم ابتعدوا بمطلبهم عن دائرة المساومات السياسية، فظلت قضيتهم محافظة على بعدها العقدي، وخرجت من الدائرة السياسية البحتة، فلاقت التأييد، ولاقت النجاح.

(٣) أعباء ومسؤوليات الحكومة القادمة:

وحين نكتب هذه الكلمات صباح الأربعاء ١٨ /٣/ ١٩٩٨م قبل ظهور أي بادرة عن شكل الحكومة القادمة، ولا ندري ما سيكون عليه الحال حينما ينشر هذا الكلام يوم السبت ٢١/٣/١٩٩٨م إن شاء الله، ولكننا ندرك أن الحنكة السياسية لسمو ولي العهد تمكنه من أن يختار رجالا يؤثرون رضا الله أولا، ويحافظون على الكويت وشعبها، ويعملون على تحقيق أمنها ورخائها، وللكويت في هذه المرحلة من

(١) أخرجه أبو داود (٢١٦٧)، عن ابن عمر ؓ، وصححه الألباني.
(٢) هود: ١١٦.

تاريخها متطلبات في التنمية، تنمية القدرات الإنسانية؛ ليتمكن الإنسان الكويتي من أن يخطو إلى القرن القادم، وهو راسخ القدم، يواجه الأحداث بما يناسبها ويوائمها.

وتنمية الموارد المالية بحيث تغطي احتياجات الكويت في الفترة الراهنة، ويبقى منها مدخر لقادم الأيام، وقابل الأجيال.

ولا خلاف بين أحد يعيش فوق أرض الكويت على أن جميع الحكومات السابقة واللاحقة عملت وتعمل لصالح الكويت وشعبها في كل الظروف، ولكن الحكومة القادمة نصيبها من العمل في هذا الجانب أكبر، وعبئها أضخم وأعظم؛ لأنها تواجه مستجدات ربما لم تكن بارزة في عهد الحكومات السابقة، إنها مستجدات تطرأ على الصراع الدائر في المنطقة، حيث أثبتت الأزمة الأخيرة التي مازلنا نعيش أعقابها ومخلفاتها أن هناك شقا في الصف الخليجي، لم يصل إلى درجة الصدع، ولكنه ظاهرٌ بَيِّن، وتمثل في اختلاف التوجهات السياسية لدى البعض، مما جعل النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد يصرح بقوله: «إنني أعفي الخليجي من الارتباط بسياستنا تجاه العراق»، وقد كان ذلك منه إيمانا بأن السياسة الكويتية تمليها على متخذي القرار فيها ظروف الكويت، المستمدة من موقعها الجغرافي ومسيرتها التاريخية وعلاقاتها بالعالم من حولها، وما فيه من ارتباطات وتكتلات قد يثقل وزنها عند اتخاذ القرار الدولي في شأن من الشئون، أو يخف وزنها في هذا الشأن.

هي إذن سياسة تنبع وتصب في مصلحة الكويت أولا وأخيرا، ولذا فإن مصلحة الكويت قد لا تتوافق ولا تتطابق مع مصلحة غيرها من الدول الصديقة والشقيقة، لأن الدول الأخرى هي بدورها تصنع سياستها في ضوء مصالحها التي تفرضها ملابسات المكان والزمان، وتفاعلات الأحداث وتشابك الروابط والعلاقات.

وإذا كانت سياسة دولة الكويت لا تتوافق تمام التوافق مع السياسة العامة للدول الصديقة والشقيقة، فإنها لا تتناقض معها كذلك؛ لأن هناك اشتراكا في التمسك بالمبادئ العامة التي تصون لكل دولة حقوقها في حفظ حدودها، وتأمين أرضها، وحركة اقتصادها، وتماسك البناء الاجتماعي لسكانها.. إلى آخر تلك المبادئ التي لها صفة الثبات، والتي هي بمثابة إطار عام مشترك، يحيط بالدول التي تتقارب في

سياستها وإن لم تتطابق، وفي مقدمة الدول الشقيقة أو الصديقة التي لا تتناقض سياستها مع سياسة دولة الكويت منظومة دول مجلس التعاون الخليجي بالاتفاق في المبادئ والمسلمات مفروغ منه، وتأييدها كلها لدولة من بين دوله وقضاياها العادلة في غير حاجة إلى دليل ولا إلى برهان، فوقوفها جميعها مع الكويت سنة ١٩٩٠م خير دليل وخير برهان على وحدة رؤيتها لقضايا المنطقة، وإن اختلفت وسيلة التعبير عن هذه الرؤية أو اختلفت وسيلة حل قضية من القضايا. ولهذا فإن من الحنكة السياسية ألا نحجر واسعا.

وقد ظهرت في الأزمة الأخيرة بين العراق وبين الأمم المتحدة، أو إن شئت فقل: الولايات المتحدة بعض الآراء المخالفة للتوجهات العامة الكويتية من بعض دول مجلس التعاون الخليجي، ولذا فإن من مهام الحكومة القادمة مهمة ألا يزداد هذا الشق، حتى يظل التماسك في الصف الخليجي قويا غير متخلخل، وإن اختلفت الآراء حول بعض التوجهات، وقد أبانت الأزمة الأخيرة كذلك ـ ولو عن طريق التلميح والإشارة التي بها يفهم اللبيب ـ أن هناك علاقة ما بين نظام بغداد وبين أمريكا، وهذا ما أظهره بعض المحللين الاستراتيجيين مما يستدعي تعاملا يناسب المرحلة ويتوقع ما قد يستجد مع الأيام حتى لا نفاجأ بما لم يكن في الحسبان، ومن المستجدات على الساحة ذلك الاعتدال في السياسة بعد انتخاب الرئيس محمد خاتمي، ومحاولته التقرب من أمريكا عن طريق الرسائل المذاعة منه إلى الشعب الأمريكي واختفاء ألفاظ الشيطان الأكبر وما إليها. . .، ثم التحالف التركي الإسرائيلي في المجال العسكري، والتوسع في اتفاق النفط مقابل الغذاء ـ بإجماع آراء مجلس الأمن ـ الخاص بالعراق، وكل ذلك وغيره من مستجدات تفرض كلها على الحكومة القادمة واجبات غير تقليدية مما يستوجب أن تكون حكومة قادرة على العمل وسط هذه الأعباء المستجدة التي تفرضها، وقد تفرض غيرها الظروف الراهنة.

سادسًا: أصحاب المناصب بين المصالح والمبادئ

(١) نموذج من ديمقراطية روسيا:

طالعتنا صحيفة الوطن صبيحة يوم ٢٥/ ٤/ ١٩٩٨م بهذا الخبر: (وافق النواب الروس بأكثرية مريحة أمس على ترشيح الشاب «سيرغي كيريينكو» لرئاسة الحكومة ليتجنبوا في آخر لحظة سيف حل مجلس الدوما الذي سلطه عليهم الرئيس الروسي «بوريس يلسن»، وبعد أن رفض النواب في العاشر والسابع عشر من أبريل الجاري مرشح «يلسن» فضلوا التراجع في الدورة الثالثة ومنحوا «كيريينكو» ٢٥١ صوتا بينما لم يكن بحاجة سوى لتأييد ٢٢٦ نائبا، ويبدو أن «حب البقاء» لدى النواب كان أقوى من المضي قدما في معارضة الشاب التكنوقراطي الليبرالي «كيريينكو»).

وبذلك أسدل النواب الروس الستار على الخلاف الذي نشب بينهم وبين الرئيس يلسن وأظهر أحد زعماء الأحزاب هناك سر التصويت لكيريينكو بعد المعارضة الشديدة بقوله: (إن النواب سيصوتون اليوم انطلاقا من غريزة البقاء) أي البقاء في عضوية مجلس الدوما، مما يوحي بأن النواب قارنوا بين المصلحة العامة وبين مصالحهم الخاصة ومكتسباتهم من خلال العضوية في المجلس (الموقر) فآثروا المصلحة الخاصة بما فيها من وجاهة وظهور وأضواء ومكاسب مادية على مصلحة عامة الناس، التي وقف النواب في مبدأ الأمر يدافعون عنها ويرفضون تعيين (كيريينكو) رئيسا للوزراء؛ لأنه لا يستطيع أن يحقق المصلحة الجماهيرية العامة، فهو لم يأت إلى موسكو إلا منذ عام واحد، وخبرته السياسية معدومة، فهو لم يشغل منصبا سياسيا واحدا، ولأن تجربته في الحياة محدودة بحكم أنه لم يتجاوز الخامسة والثلاثين.

فهل تغير كيريينكو خلال أيام أو غير النواب موقفهم بعد أن رأوا جدية الرئيس الروسي في حل مجلسهم إذا لم يوافقوا على تعيين من اختاره؟

إن النواب هم الذين غيروا موقفهم خلال بضعة أيام، بعد أن وازنوا بين ما هم فيه الآن من المن والسلوى والعسل والحلوى، وبين ما سيكونون عليه بعد حل المجلس، حيث سيعودون مواطنين كبقية الناس، فاختاروا التضحية بأمانة المنصب وسلامة المبدأ وداسوا فوق المصلحة العامة بأقدامهم وهم في طريقهم للتصويت.

ولعل هذا الموقف يجعلنا نتساءل: لمن يعمل أمثال هؤلاء النواب في كل مجلس نيابي؟ أهم يعملون لخدمة الجماهير التي اختارتهم أم يعملون لخدمة أنفسهم؟

وقبل أن نجيب: نرى النائب قبل اختيـاره كثير النفقات كثير المصـروفات، كثير الخدمات، شعلة من النشاط يعـرض خدماته على هذا أو ذاك، ويساعد هذا وذلك، ويبذل من ماله وجـهده ووقته الكثيـر، إنه يزرع ليحصد، ويقامـر ليربح، ويضارب لتعـود عليه مضـاربته بالربح الوفيـر والمال الكثير، فـإذا ما تمت الصفـقة، ونجح في الاختيار ووصل إلى (البرلمان) فرك يديه واستعد لما هو آت من المكاسب إن هو عرف من أين تؤكل الكتف، وهذا النائب وأمثـاله ليسوا قلة بين البـرلمانيين، بل هم الكثرة الغالبة التي صوتت لصالح كيريينكو بفارق كبير عما كان يحتاج إليه.

(٢) المجلس الروسي ومجالس العالم الثالث:

وديمقراطـية روسيـا ليست عـريقة بين الديمـقراطيات الـراسخة القـدم في الدول الغربية، ولكنها أرقى حالا وأرحب مجالا من كثير من ديمقراطيات العالم الثالث، فهي لا يشوبها تزوير من مبتدئها إلى منتهـاها، وهذا في حد ذاته فرق كبير بين الديمقراطية في روسيـا وبين ديمقراطية عـالمنا الثالث، غيـر أن هذه الديمقراطية حين تتـعارض مع رغبات (يلسن) تصبح كأن لم تكن، فمنذ مدة عـارضه النواب فقصف مبنى مجلسهم وحاصرهم، وفي هذه المرة وضع النواب أمـام أمرين أحلاهما مر كمـا يقول أبو فراس الحمداني، إما أن يقـبلوا ما يريد، وإما أن يحل مجلسهم ويلغى اخـتيار الشعب لهم، فاختاروا ما يريد ونزلوا على رغبته، وآثروا السلامة والرضا، فإذا كان هذا حال النواب في روسيا فما بال حالهم في كثير من دول العالم الثالث؟ وأي مصلحة عامة ترتجى من هؤلاء إن كانوا أمـام كل تهديد بتقليم مكاسـبهم يتخلون عن مـصالح الجمـاهير التي وثقت بهم وحملتهم أمانتها وعهدت إليهم بحراسة المصالح والأعمال؟

وبمعنى آخر فإن هذا النائب جاءت به الجماهير وارتضت أن يأخذ راتبا معلوما من مال الدولة مقـابل هذا العمل، فكـأن هذا عهد مـوثق بين الطرفين، يأخذ الأجـر المعلوم الذي تحدده وتبيـحه قوانين الدولة مقابل السـهر على حماية مـصالح الجماهير وخـدمتهم، ومن الأمانة أن يحـافظ النائب على عهده غـير المكتوب مع الناس، فـإن فرط فقد خـان وحاد وانحـرف وسقط مـن أعين الجمـاهيـر، ولعل هذا سـر سقـوط بعض النواب حين يعـاد انتخابهم.

الامتيازات القانونية والمكتسبات الخفية:

ونحن لا نتحدث عن أن النائب الذي تفرغ لهذا العمل يأخذ أجرا معلوما، فهذا أمر لا غبار عليه ولا نقاش حوله، فله الحق في أن يأخذ الأجر المعلوم، والامتيازات المقررة لمنصبه دون تجاوز لذلك بالبحث عن مكتسبات أخرى هنا أو هناك بطرق ملتوية لا يقرها القانون؛ لأنها تجري من وراء ستار، وعند هذه النقطة يختلف النواب فمنهم من يلتزم، ومنهم من يتجاوز ضاربا بمصلحة الجماهير عرض الحائط.

وقد يبيع مصلحة الناس بدراهم من هنا وآلاف أو ملايين من هناك، ولتفقد الجماهير ثقتها فيه فذلك لم يعد يعنيه، إنما يعنيه أن يحقق أكبر المكاسب في هذه المدة الزمنية المحدودة التي أتيحت له (فترة العضوية في المجلس)، وأمثال هؤلاء لا ترقى بهم أمة ولا تقوى بهم دولة؛ لأنهم إن وجدوا غنيمة أخذوها، وإن ذهبت إلى غيرهم سلبوها، ومصالحهم قبل مصالح الآخرين فإن اتفقت المصلحتان فبها ونعمت، وإن اختلفت المصلحتان فإما مصلحتهم وإما لا شيء لغيرهم.

(٣) مهمة النائب:

وليست هذه مهمة هؤلاء في الحقيقة؛ لأنهم عرضوا أنفسهم للخدمة العامة فليحملوا تبعاتها بصدق، وليعملوا على تقديمها على كل شيء آخر، إن النائب أصبح وكيلا عن الأمة في رعاية المصالح وتحقيق المطامح وصد المظالم ودفع المفاسد، ولو تحمل في سبيل ذلك المشقة والعنت والمضرة، وقد كان هذا دأب المسلمين الأولين الذين حملوا أمانة المناصب العامة فضربوا أروع الأمثلة في التجرد والوفاء وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، بل كان منهم من قدم عمله للأمة بغير أجر، فهذا أبو بكر ـ الخليفة الأول في الإسلام ـ يراه الناس ذاهبا إلى السوق ـ بعد اختياره خليفة ـ فيقولون له: إن هذا الأمر لا يصلح مع التجارة، فسأل ـ كأنما لا يعلم طريقا آخر للقوت ـ ومم أعيش؟ فترووا في الأمر، ثم جعلوا له من بيت المال كفايته لقوته وقوت عياله جزاء قعوده عن التجارة واحتباسه للوظيفة... ومع هذا فقد أوصى عندما حضرته الوفاة أن يحصى ما أخذ من بيت المال فيرد من ماله وأرضه تورعا وتعففا عن مال المسلمين.

ومضى عـمر على هذا النهج كذلك في خـاصة نفسه، وحـاول أن يأخذ ولاته بنفس الأسلوب فكان يقاسمـهم أموالهم لا لمصلحة شخصـه، بل لمصلحة المسلمين، وكان يعارض من يحتج منهم بأعماله التـجارية بقوله: «إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا»، وخطب فـي الناس يوما فقـال: «إني لم أستـعمل عليكم عـمالي ليـضربوا أبشاركم، وليـشتموا أعـراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكني اسـتعملتهم ليـعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم..».

وكانت شريعـة الإسلام هي المرجع وهي الرادع، بحيث لا يستطيـع الخليفة ذاته أن يتجاوزها في شيء قليل، ولو أغضب في سبيل رد الحق إلى نصابه بعض أقاربه، فحين ولى عمر بن عـبد العزيز بدأ برد المظالم إلى أهلها، وقد أغـضب بتصرفه هذا كثيرا من أقاربه، ولكن غضب الناس أهون من غضب الله.

ولسنا ندعي أن كل ذوي المناصب العـامة ساروا هذه السيـرة، ولكنا نقول: إن هذه السيرة هي الموافقـة لروح الإسلام، وإن مخالفة هذه السياسـة الإسلامية في هذا الجانب استمـرت طويلا حتى وصل بعضها إلى العصر الحـديث، الذي لم يتورع فيه بعض ذوي المناصب عن أن تمتـد أيديهم وينشغل تفكيـرهم بتحقـيق مصـالحهم على حساب غيرهم.

وقد كشف مجلس الدوما -كنموذج للمجالـس النيابية الأرقى نسبيا من مجالس العالم الثالث ـ بتصرفه في هذا الحادث الأخير ـ مدى التصادم بين المبادئ والمصالح، وأن للمصالح الغلبة على المبادئ حين تتصـادم المصلحتان أو تتعارضان، فهل النواب في العالم الثـالث يتبعون المبادئ أم يغلـبون المصالح؟ وإن كانوا يغلبـون المبادئ فأين أثرهم؟ وما نتاجهم؟

سابعًا: الإرهاب والقرصنة

(١) ظلال قاتمة:

«أرهب فلانا»: خوّفه وفـزعه و«الإرهابيون»: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب؛ لتحقيق أهدافهم السياسية[١].

وقد وردت الكلمة في التنزيل مرادا بها إخـافة الأعداء من تجاوز الحد، حتى لا ينزل بهم العقاب، ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[٢] فهي هنا مستخدمة في الحفـاظ على الحق وصيانته من اعتداء المعتدين، مـخافـة أن يلحق بهم العـذاب الأليم، فـالإرهاب هنا يحمـل معنى الردع والزجـر للأعداء حتى يكفوا عن التفكير في الاعتداء.

والكلمة في الاستـخدام الحديث تحمل معاني وظلالا قاتمة جـعلت النفوس تنفر منها، وتضيق بسماعها، وتنظر بعين الريبة للمـتصفين بها، فهي تحمل معاني الرعب والفزع، والتخريب والدمار والقتل وسفك الدماء وتناثر الأشلاء، وامتلاء المستشفيات بالضحايا، ووقوع أبرياء في مصيدة العنف، وظهور قـوة غاشمة متجبرة، لا تخضع لقانون ولا تراعي إنسانية، ولا تنظر إلا لمصلحتها الشـخصية، وفي سبيل تحقيق هذه المصلحـة تنتهك القـيم والأعراف والقـانون، وتزهق الأنفس والأرواح، ويكاد ينادي كل إنسان غيره بالمثل العربي القديم: انج سعد فقد هلك سعيد.

ويستوي هذا المعنى السائد للإرهاب إن قام به فرد أو جماعة أو حركة أو دولة؛ إذ لا يختلف المعنى باختلاف القائم بـالعمل إلا في أن إرهاب الدولة قد يتم إخراجه مغلفـا بحركة إعلامـية قوية، وببعض المبـررات التي تخفف من اشمـئزاز الناس منه ونفورهم عنه، ولو إلى حين حتى تنكشف الأمور ويظهر المستور.

وفي الفترة الأخيرة ظهر إرهاب الأفراد واضحا جليّا حين فجرت سفارتا أمريكا في كينيا وتنزانيا.

وظهر إرهاب الدولة واضـحا جليّا كذلك حين ضربت أمـريكا مصنع الدواء في الخرطوم، وبعض المواقع في أفغانستان.

---

(١) المعجم الوسيط. (٢) الأنفال: ٦٠.

إننا في الحالين أمام عمل إرهابي ندينه ونرفضه، ولا نقبله لأنفسنا ولا لغيرنا.

إن تفجير السفارتين عمل وحشي إرهابي قام به أفراد خربّوا وقتلوا وجرحوا وأثاروا الرعب والفزع، واستنفروا الآمنين.

وإن ضرب السودان وأفغانستان بدعوى الرد على تفجير السفارتين عمل وحشي إرهابي قامت به دولة تعد العظمى بين الدول، فخربت وقتلت وجرحت، وأثارت الرعب والفزع، وجاهرت بعملها مفتخرة به، فنالت سخط الشعوب وكثير من الحكام في عالمنا العربي والإسلامي، خاصة وأن عملها يفتقر إلى الدليل، واتهامها لا يثبت تورط السودان وأفغانستان في جريمة التفجير، التي ستبقى أسابيع أمام المحققين حتى يصلوا فيها إلى قرار.

إن إرهاب الأفراد مرفوض شكلا وموضوعا، وإن إرهاب الدولة مرفوض كذلك شكلا وموضوعا، فلا مفاضلة بين إرهاب وإرهاب، ولا إضفاء لشرعية نوع من الإرهاب لأن فلانا يقوم به، وإدانة نوع آخر لأن فلانا يقوم به.

وإذا قيس الإرهاب في إدانته بحجمه وأثره، فإن إرهاب الدولة يحظى بالنصيب الأوفى من الإدانة؛ نظرا لقدرات الدولة وإمكانات سيطرتها وكيفية الوصول إلى أغراضها، فإذا كانت الدولة هي أمريكا فإن الإدانة أشد، والنفور من عملها أقوى، فالاعتداء اعتداء، والظلم ظلم، سواء قام به فرد أو جماعة أو دولة.

(٢) تعاطف ونفور:

وبعد هذه المقدمة الضرورية نقول:

لقد سقط مبنى السفارة الأمريكية في كينيا وتنزانيا مخلفا وراءه عشرات من القتلى وآلاف من الجرحى، ومئات من المقالات والتحليلات والرسائل المذاعة في مختلف وسائل الإعلام في جميع البلدان بغير استثناء، وكلها ـ تقريبا ـ تدين هذا العمل الإرهابي، وتقف في وجهه وتدعو إلى مناوأته والقضاء عليه، ولم تمض غير أيام حتى جاء الرد الأمريكي في غير موضعه وفي غير أوانه، حيث ضربت الطائرات الأمريكية مصنعا للأدوية في السودان، وضربت في أفغانستان بعض المواقع التي تظن أنها تحوي مناوئين لسياستها، ومواجهين لسطوتها.

وإذا كان تفجير السفارتين قد اكتسب عطف الشعوب لسقوط أبرياء من جنسيات مختلفة لا ذنب لها، ولم تجن يداها شيئا، فـإن الضربات الأمريكية قد اكتسبت حنق الشعوب الإسلامية وغضبها، ومـعارضة كثيرين من مؤيدي الحق والعدل لها، حيث جاءت هذه الضربات موجهة لدولتين إسـلاميتين، دون أن تقدم الولايات المتحدة أي دليل مادي على أنهما وراء ما تمَّ من تفجير لسفارتيها، فالتحقيق ما يزال جاريا، وقد يستغرق أشهرا حتى يستـقر على قرار، فلماذا تعجلت أمريكا ضرب هاتين الدولتين؟ وأتبعت هذه الضـربة بحركة إعلامـية واسعة تكافئ وتسـاوى الحركة الإعلامـية بعد تفجير السفارتين؟

(٣) تحليلات إعلامية:

وهنا تعددت الاجـتهادات، وتضاربت الأقـوال ولكنها كلها تصب في مـسارين اثنين في النهاية:

أولهما: تحقـيق تأييد شعـبي أمريكي قوي لهـذا التوجه يـدعم موقف الرئيس الضعيف في محنته الجنسيـة ونزوته الشهوانية مع ذات الرداء الأزرق (مونيكا) المتدربة في البيت الأبيض.

ثانيهما: تحقيق هيبة أمريكا (الدولة العظمى في العالم) بحيث تغطي هذه الهيبة المصنوعة من أزيز الطائرات ودوي القنابل، على ما حدث من تفجيرات.

وكلا الأمريـن في ظني بعيد عن الصواب، وعن الحـسابات الدقيقـة التي تقيم عليـها الدول الكبرى سـياسـتهـا وترسم خططها، اللهم إلا إذا كـان هناك خطأ في التقدير وغلط في الحساب، وهو أمر وارد.

ونحن في العالم العربي رجـحنا أن هذه الضربات تغطية للفضـائح الجنسية التي تلاحق الرئيس الأمريكي منذ سنوات، وما يكاد يخفت صـوتها وضَوؤُها حتى تظهر من جـديد، وكأن هـناك جهـازا مـعينا يتـلاعب بالرئيس مـن حين لآخر، ويهـدده ويتوعده، ويخضعه لما يـريد، والرئيس لا يملك إلا أن ينفذ ما يريده منه هذا الجهاز، الذي تقف وراءه الصـهيـونية العـالمية بكل هيـمنتهـا على أجهـزة الحكم في الدولة العظمى، وتحاول أن تكشف سطوتها في كل أنحاء العالم من خلال (المهانة) الموجهة للرئيس، حيث يلوك الناس سيرته كل صبـاح حين تطالعهم الصحف بكل جديد في

قضية الجنس التي سقط الرئيس في هوتها، دون أن يجد معاونة أو مساعدة من أحد، حتى جاءته الأقدار بالـفرصة التي انتهزها ليثبت لشـعبه شيئا من جـرأة نفسه، وقوة قراره بضرب دولتي السودان وأفغانستان. فهل هذا حق؟

سياسة تصنعها المؤسسات:

إما أن هناك جهازا تحركه الصهيونية لإلحاق (المهانة) بالرئيس الأمريكي من أجل نزوة جنسية في مجتمع إباحي فهذا حق، وإما أن الضربة بمثابة رد اعتبار لقوة الرئيس المفقودة فهـذا باطل؛ لأن الدول الكبرى لا تقوم سياستـها على الأهواء العابرة، ولا على التصرفات الطائشة، ولا على ردود الأفعال الارتجالية.

لأن السياسة في هذه الدول ترسـمها عدة مؤسسات، من غير أن تـنفرد مؤسسة الرئاسـة بقرار من القـرارات، اللهم إلا في حـالات نادرة ليس من بينهـا هذا الرد، وليس من المقـبول أن تقـبل كل المؤسسـات قرار الضـرب من أجل أن يرفع الرئيس الأمريكي رأسه الذي يكاد أن يتهاوى في الحفرة التي صنعتها له الصهيونية، ووضعت له فيها الصيد اليهودي في صورة الفتاة (مونيكا).

ولا أظن أن هذا التحليل الإعـلامي العربي لهذه الضـربات تحليل واقعي؛ لأنه بنى الأقوال عـلى المصادفات وحـدها، ولم يبن تحليله على المعلومـات المستـمدة من الواقع الذي تعيشه الدول الكبرى، ذات المؤسسات السياسية الراسخة، التي لا تأبه لما يلحق شخص الرئيس فـيها من مهانات، تأتيـه من الداخل، ويتم التحقيق فـيها بناء على القانون السـائد في تلك البلاد، سـواء اهتزت صورة الرئيس لدى مـواطنيه، أم بقيت كمـا هي من غير اهتزاز، وأظن أن هذا التحليل مـبني على صورة الرئيس في كثـير من بلدان العالم الثـالث، الذي يتحـرك فيه كل شيء بأمـر الرئيس، حتى وإن خـالف الدسـتور والقـانون، وجـار على حـقـوق المؤسـسات، وتعـدى مـا له من صلاحيات، وليس الأمر كذلك في دول العالم (الأول) الذي يقوم الأمر السياسي فيه على ما بيناه من قـبل، من حيث قيام مؤسـسات سياسيـة بصنع القرارات المؤثرة في الأحداث الداخلية والخـارجية بناء على معلومات دقـيقة مستـقاة من الواقع الملموس ومن المعلومات التي تقـوم على الإحصاء والرصد لكل حـدث، يقوم بها مخـتصون ويحللها محللون، ويستخرج المبررات التي تبنى عليها القرارات متدربون.

على أنه يبدو أن هذه المؤسسات الدستورية كثيرا ما تؤخر قراراتها ولا تؤخذ آراؤها إن اتصل الأمر ببعض النواحي العسكرية، حيث يكون لجهاز الاستخبارات الدور الأكبر في اتخاذ القرار وتنفيذه، دون التفات إلى آراء المؤسسات الأخرى، فلا ينظر أحد إلى الآراء الدبلوماسية ولا يعترف أحد بحكمة الخبراء والسياسيين ومعرفتهم بالشعوب ومشاعرها، وإنما يعتمدون على تقارير الـ (سي. آي. أيه) وتحاليل الآلات والأدمغة الإلكترونية، وتجاوزت السياسة الأمريكية كل رغبات الشعوب وآمالها وآلامها، وصارت تتعامل مع غيرها بناء على رصد العقول الإلكترونية التي لا تعرف عاطفة ولا تدرك إحساسا، ولا تبالي برضاء الناس وسخطهم، ولا يعنيها في شيء إرضاء شعب من الشعوب ما دامت مصالح أمريكا متحققة وأهدافها غير مضيعة، ومن هنا يحدث الخلل في التوازن بين المؤسسات، وقد يؤدي هذا الخلل إلى تفتت النظام وانتهائه.

(٤) أثر القرارات التي تصنعها أجهزة المخابرات:

وقد حدث هذا لبعض الأنظمة والحكام في العالم الثالث حين اعتمدوا على أنظمة الاستخبارات وحدها في جمع المعلومات واتخاذ القرارات، فوقع الظلم، وشاع القهر، وساد البغي والفساد حتى طغى طوفانه فأغرق الحاكم والنظام، والأمثلة أكثر من العد والحصر.

والظاهر أن النظام الأمريكي قد وقع في شيء من ذلك حين اعتمد على أجهزة الاستخبارات التي قدمت له معلومات عن السودان أخذتها من جون قرنق وأمثاله الذين لا يحبون الاستقرار للسودان، ولا الأمان لأهله...، ومثل هذه المعلومات المضللة لا يمكن الاعتماد عليها في اتخاذ قرار عسكري لدولة عظمى، تؤثر في الأحداث أكثر من غيرها؟

أيكون في مثل هذه المواقف التي تعتمد فيها الرئاسة الأمريكية على جهاز الاستخبارات بداية النهاية لدولة عظمى تمتلك زمام النظام العالمي الجديد؟

ولعل إيجاد هيبة لأمريكا في الخارج، وإظهار مقدرتها العسكرية التي تمتد إلى أي بقعة في العالم كان هو التحليل الذي يحاول أن يكون واقعيا؛ لأن الهيبة الأمريكية منذ فيتنام تمرغت في الرغام، ثم كان حادث المارينز في لبنان، وما حدث

للأمريكان في الصومال وغيرها من الأماكن، تأكيدا لفقدان الهيبة، فجاءت هذه الضربات لترد شيئا من الهيبة للقوة الأمريكية فأحدثت العكس، وزادت السخط؛ لأن هذه الضربات مثلت رد فعل أهوج خال من الملابسات التي تجعل الناس تتقبله ولا ترفضه، ولذا لم يلق عند كثير من الناس في الشرق أو الغرب قبولا وتأييدا، بل ناله الرفض والتنديد؛ لأنه يمثل القرصنة التي تجعل القوة وحدها أساس كل التصرفات دون خضوع لقوانين دولية أو هيئات عالمية، أو أعراف دولية، وإذا تصرف كل قوي بهذا المنطق وهذا المفهوم فقد أصبحت الحياة الإنسانية أسوأ من الغابة التي تحتكم فيها الحيوانات إلى قوة الظفر والناب؛ لأن الإنسان القوي ما لم يحتكم للعدل ضل وأضل، والدول في ذلك كالأفراد سواء بسواء.

ومنذ سنوات قريبة وقفت الولايات المتحدة في وجه القوة الباغية التي تجاوزت العدل وركنت إلى الظلم، وجارت عن الحق، إنها قوة صدام العراق الذي جاوز كل القوانين الدولية واحتكم إلى شريعة الغاب وحدها، حين غزا الكويت فجاءه الرد العالمي في صورة ضربات متلاحقة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، لترده عن ظلمه وجوره، وتقيم ميزان العدل باستخلاص الكويت وتحريرها، هذا ما فعلته الولايات المتحدة بالأمس القريب، فكيف تحول ميزان العدل في يدها إلى سيف القرصان، فصارت هي الباغية على غيرها لأنها الأقوى؟ وضربت السودان وأفغانستان بغير دليل أو برهان. فهل حققت هيبتها؟ كلا، لأنها اكتسبت السخط الشعبي في عالمنا الإسلامي، فتدمير مصنع الأدوية السوداني (الذي لا تملك الحكومة السودانية فيه سهما واحدا وإنما يملكه مستثمرون سودانيون وغير سودانيين هو عمل إرهابي جائر وظالم ـ بحسب تعبير البيان الصحفي الذي أصدرته مؤسسة الصحة العالمية ـ استهدف شل مقدرة دولة من دول العالم الثالث في تقديم الدواء للأطفال).

وتدمير هذا المصنع وضرب عدة مواقع في أفغانستان أدى إلى قتل عدد غير قليل من الأبرياء، فتصرفت الدولة العظمى في ردها على الإرهاب كما يتصرف الإرهابيون الذين لا يراعون عدالة ولا يعرفون رحمة، ولا يحترمون إنسانية، ولعلها تريد بذلك أن تجعل بعض الأنظمة التي لا تلين عريكتها في يد الكاوبوي الأمريكي سهلة القياد، بدليل أنها بعد تلك الضربة عرضت التعاون الأمني مع السودان كما جاء في المؤتمر الصحفي للرئيس السوداني، وطلبت إعادة السفير السوداني إلى واشنطن.

التعامل الأمريكي مع العالم الثالث:

إن أمريكا ما زالت تتـعامل مع العالم الثالث بأسلوب العصـا والجزرة؛ فمن لم يلقم الجزرة أدبته العصـا، خاصة حين يكون من المسلمين، الذين لا يكن لهم النظام العالمي الجديد أي وزن أو اعتبار، والبوسنة والهـرسك وكوسوفا شواهد حيّة على أن الضربات التي يتلقاها المسلمون لا تفزع أحدا ولا تثير أحدا، فقد يقتل الألوف ويشرد مئات الألوف وتغـتصب نساء، وترمل آخريات وييتم أطفـال دون أن يقلق ذلك هيئة الأمم أو حلف الناتو، أو إحدى الدول الكبرى في الـنظام العالمي الجديد، مما يوجب على المسلمين أن يأخـذوا حـذرهم، ويعـاونوا إخوانهم ويقـفـوا معـهم في السـراء والضراء، إن أرادوا أن يظلوا بين الأحياء، وإلا فإن الهلاك البعيد عنا اليوم هو قريب منا غدا إن لم نصده وندفعه.

(٥) ردّ صائب:

وقد جـاء رد الرئيس السوداني على هذه الضربات داعـيا الناس إلى أن يتجـهوا إلى الله بالدعاء والضـراعة على الظالمين، وأن يصـوموا يوما تطوعـا لله، وأن يتوبوا إلى الله من ذنوبهم ويقلعوا عن سيئاتهم لعل الله أن يذهب عنهم كيد الأعداء.

وهذا أسلوب جربته الكويت من قبل حين غـزاها الطاغوت صدام، فلجأت إلى ربها وتوجهت إليه بالدعاء والضراعة والخضوع والتوبة، فهيأ الله لها من يدفع عنها، ويزحزح الطاغوت عن أرضها ويعيدها إلى أهلها.

نعم، إنها دعوة إلى الله وإن غضب الساخـرون.. وماذا يملك الإنسان الضعيف حين يظلم أو يضرب ويغلب إلا أن يلتجئ إلى الله ذي القوة المتين؟!

إنها وجهة مـجربة، والجديد فيها أنهـا وصلت إلى الواقفين في مواقع السلطة، وهي ـ بإذن الله ـ دافعة للضر، مزيلة للقهر، جـالبة للعزة والكرامة، إذا تحقق العمل الذي تتوحد به الأمـة، وتتعاون على أن تتمسك بالعـدل في كل أمورها، وبين شتى دولها، وإلا فـإن هذا الدعاء ـ وحـده ـ لا يكفي في توقي الضـربات التي توجهـها القوى الخارجية لبعض أركان الأمة الإسلامية.

إن أمـريكا طلبت من أفـغـانسـتان أن يـظل ابن لادن رهينا بهـا وألا تكون له

معسكرات أو أنصار مقابل اعترافها بحركة طالبان، ولم تطالب أمريكا بتسليمه لها أو محاكمته؛ لأنه ـ هو شخصيا ـ ليس الهدف الأساسي للضربة، وإنما الهدف الأساسي أن يقوم حوار بين أمريكا وحركة طالبان يكون بداية لتحقيق قوة موالية أو غير معادية ـ على الأقل ـ لأمريكا في هذه المنطقة الحيوية من العالم، وإن حققت الضربة ذلك لأمريكا فقد تمَّ لها ما أرادت.

(٦) المصلحة القومية الأمريكية:

لقد كان للضربة إذن ما وراءها وما يترتب عليها، وكانت لها أغراضها المحددة التي تكشف عنها أمريكا حينا بعد حين، وهي تنظر إلى المصلحة القومية الأمريكية قبل أي شيء آخر، هذه المصلحة التي في سبيلها يستهان بكل شيء حتى بالإنسان والإنسانية، ففي الحرب العالمية الثانية كانت المصلحة القومية الأمريكية مقدمة على الإنسانية كلها، حتى إن أمريكا ألقت بقنبلتين ذريتين على اليابان غير عابئة بهلاك البشرية كلها في سبيل مصلحتها، ولولا أن اليابان استخدمت صوت العقل، وأوقفت الحرب من جانبها لضاعت البشرية في سبيل المصلحة القومية الأمريكية.

وما زالت هذه النظرة للمصلحة القومية الأمريكية هي المسيطرة على صناع القرار في أمريكا، وهي التي تلقت السودان وأفغانستان في سبيلها الضربات حتى تلين قناتهم.

وما لم يحتكم المسلمون لصوت العقل فإنهم يعرضون بلادهم لخطر أهوج.

(٧) الاحتكام لصوت العقل ودور الملك فهد:

والحمد لله فإن من بين المسلمين عقلاء يستخدمون عقولهم في مواقف تضل فيها العقول، وها هو ذا خادم الحرمين الشريفين ـ الذي أدعو الله أن يمتعه بالصحة والعافية ـ بموقفه المتعقل إزاء أزمة الخليج الثانية وأمام قوة صدام الغاشمة التي استولت على الكويت في زمن محدود يرى ببصيرته العواقب ويحتكم إلى العقل والمنطق ويعمل على إيقاف هذه القوة الصدامية عند حدها وإرجاعها إلى حجمها، فيتحقق له هذا الهدف، والأمة اليوم بحاجة لمثل هذه الأدوار في محنتها ومبادرة الكبار في الأمة لكي تجتاز محنتها التي تعيشها.

وما زال صوت العقل مطلوبا في مواجهة كثير من الأحداث التي تمر بنا لأن فيه الحكمة الموجهة، وفيه القيمة المكملة لحماس الشباب الذي ينفذ ما يقره العقل ويؤيده الحكماء.

(٨) العداء للإسلام:

إن النظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، لا يكن للإسلام وللمسلمين خيرًا، ولا يضيرنا ذلك في شيء ما بقي أمر الكراهية في الصدور، ولكن إن اتخذت صورة من صور الإيذاء للمسلمين، فهنا يكون الضرر الذي ينبغي أن يدفع وأن يقاوم.

إن محاولة ضرب الإسلام المتمثل في حركة أو في دولة أو في شعب من الشعوب سيثير كثيرًا من القضايا وسيغرس خصومات وحزازات، وسوف يبذر بذور الشر والكراهية لمن يتصدون لهذا العمل، فيجنون مرّ الثمار لغرسهم، وأظن أن أمريكا وغيرها من الدول يسيرون مع الإسلام والمسلمين سير بعض الأنظمة الحاكمة مع الحركات الإسلامية، فهم إما أن يسجنوها ويحاربوها في أرزاقها وأعمالها، وإما أن توافق على آرائهم وتقبل توجهاتهم، والأنظمة لا تقبل من الحركات الإسلامية غير ذلك. أما أن تجعلهم يتعاونون معها فهذا غير معروض من جانب الأنظمة، وهو نفس ما تتبعه الدول الأخرى تجاه المسلمين فإما أن يكونوا في ركاب تلك الدول وإلا اعتبروا خارجين عن نظامها، تلحقهم تهمة الإرهاب وإيواء الإرهابيين وتنالهم الضربات، وتوجه لهم الاتهامات، وتخرب بعض ديارهم ويقتل بعض أفرادهم، ثم بعد ذلك يعرض عليهم التعاون الأمني، لعلهم يكفون عن ركوب رؤوسهم، ويسيرون في الركب خاضعين للدولة العظمى التي لا يعنيها إلا أن تحقق فقط مصلحتها، وتمتص من الشعوب خيراتها، فإن تحقق هذا بالسلم فقد تمّ المراد، وإن تحقق بالحرب فلا بأس بذلك، وهذا هو السر وراء الضربات الأخيرة، ومن يدري ماذا تحدث هذه الضربات، فقد توقظ النائمين وتوحد المتفرقين؟

ثامنًا: «واي بلانتيشن» ودركات الهبوط العربي

(١) تطويق العالم العربي:

بالأمس القريب تمّ التوقيع على اتفاق واي بلانتيشن، بين رئيس السلطة الفلسطينية ورئيس الوزراء الإسرائيلي، ليكون حلقة في سلسلة التنازلات التي ما فتئ المسلمون والعرب يقدمونها من أراضيهم ومقدساتهم خدمة لليهود، غير ملقين بالا إلى ما تكبدته البلاد العربية من نفقات كبيرة في الأموال، ودماء غزيرة لشهداء سقطوا في ساحات القتال، التي تتابعت بين المسلمين والإسرائيليين، دون أن توقف المد الصهيوني من التجذر في أرض فلسطين والهيمنة على القدس، ومحاولة السيطرة على مجاري الأنهار القريبة، وإقامة التحالفات التي تطوق العالم العربي، وتضغط عليه إن لزم الأمر (تركيا ـ إرتيريا ـ أثيوبيا ـ أوغندا ـ الهند) لتشكل عليه عبئا خارجيا، إلى جانب أعبائه الداخلية، المتمثلة في الفقر والأمية وغياب الديمقراطية عن بعض البلدان، وإثارة بعض الصراعات العرقية، أو الطائفية أو إحداث بعض النزاعات الحدودية؛ لشغل العرب عن إسرائيل (العدو الحقيقي) وتوجيه أنظارهم إلى عداوات تحدث بينهم وحزازات تعمق فرقتهم، وتزيد بعثرتهم.

(٢) تدمير قواعد الحركات الإسلامية:

ولم تخل الاتفاقية الأخيرة ـ رغم هزالها وضعفها في الجانب العربي وسمنها وقوتها في الجانب الإسرائيلي ـ من إثارة الفرقة وزيادة البعثرة والتشتت، فقد جاء تحت بند الاتفاق الأمني أن الطرفين يضمنان الإجراءات الواجب اتباعها من أجل (مكافحة الإرهاب بشكل متواصل ومنتظم) ومكافحة الإرهاب بهذا الشكل أقلقت جماعة (هيومان رايتس ووتش) الأمريكية للدفاع عن حقوق الإنسان، حيث اعتبرت اتفاق واي بلانتيشن مشجعا على انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني؛ لأن بنود هذا الاتفاق تطلب من السلطة الفلسطينية اتخاذ خطوات أحادية بالتنسيق مع إسرائيل لتدمير البنى التحتية للحركات الإسلامية، وتسليم إسرائيل فلسطينيين مشتبه في تنفيذهم أعمال عنف، كما يتضمن (الاتفاق) مشاركة الولايات المتحدة في وضع اسراتيجيات لمكافحة الإرهاب ومراقبة تنفيذها (الشرق الأوسط ٢٤/ ١٠/ ٩٨).

وما تخوفت منه هذه الجماعة ليس أمرًا متوقعًا حدوثه، وإنما نصت عليها

الاتفاقية، فـقد استقر الأمر على أن تسلم السلطة إسـرائيل ٣٠ مطلوبا أمنيا، بعد أن تقبض عليهم السلطة لتتـولى إسرائيل اعتقالهم ومحاكـمتهم، مما يدفع إلى مزيد من الاحتكاك والشقاق بين شرطة السلطة وبين الفصائل الفلسطينية المختلفة، وقد يحدث ما لا تحمد عقـباه بين الفلسطينيين أنفسهم بسبب ممارسات السلطة التي تدفـعها إليها إسرائيل دفـعا، لإبعاد أي توجه إسـلامي ينادي بالجهاد، ويرد على العـدو بالسلاح الذي يعرفه ويؤثر فيه، ويجعله يسلم بالحقوق التي اغـتصبها أو على الأقل ببعضها، أما طريق المفاوضـات التي جربت من قبل في «أوسلو» و«مدريد» وفي غيـرهما فإنه طريق المماطلـة والتسويف، الذي يبث اليـأس في قلوب العرب، ويميت الإحـساس بالقضية في وجدانهم وعقولهم.

فإذا أضيف إلى ذلك سلاح الابتزاز والترهيب والمكر والخداع والإغراء بالمناصب أو الأموال، وهو سلاح يجـيد اليهود استـخدامه، أمكننا أن نعلم أننا نسيـر في غير الطريق الصحيح، الموصل إلى أن يخسر المسلمون ويكسب اليهود.

(٣) تدبير قديم:

وهو الطريق الذي بدأ سنة ١٨٩٨م يوم وضع هرتزل أساس قيام الدولة اليهودية في فلسطين بعد نصف قـرن من ذلك التاريخ، بل من قبـل هرتزل نادى نابليون في حملته على مصـر والشرق في أواخر القرن الثامن عشر، نادى باليـهود أن يهبوا إلى بناء دولتـهم في فلسطين، وأعلن أنه سـيمكن لهم في هذه الأرض، وأن عليـهم أن يلبوا نداءه، وأن يقصدوا إليـه من كل فج بعيد ليجوسوا خـلال الديار، ويقيموا لهم دولة تحميهم من الشتات، وتكون لهم وطنا[1].

غـير أن نـابليون هـزم في الشرق، ورحـل بليل من ديار المسلمين تاركـا وراءه حملته بقيـادة كليبر الذي تصدى له سليمان الحلبي فقـتله، فخلفه الجنرال مينو الذي اضطر إلى الانسحاب من مصر والشرق سنة ١٨٠١م.

وأدى هذا الإخفاق العسكري إلى تأجيل قيام دولة لليهود قرابة قرن ونصف من الزمن لم يفرط فيها اليهود في فرصة أتيحت لهم، ولم يتقاعسوا عن أن يتحالفوا مع القوى العالمية الكبـرى من أجل اغتصاب وطن لهم، مستـغلين أبرز الأحداث العالمية

(١) انظر: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل: محمد حسنين هيكل، الكتاب الأول.

لتوجيــه الدفة نحو غايتهم وأملهم البــعيد، غير غــافلين عن الخطوات المقربة من هذا الهدف، حتى وإن بدت محتاجة إلى وقت طويل، وجهد كبير.

(٤) تمزيق العالم الإسلامي:

ومن أهم الأحداث العالمية الحربان الكونيتان الأولى والثانية:

أما الحـرب الأولى فقـد رتبت أثناءها إعادة رسـم خريطة بلاد الشـام وشمـال الجزيرة العربية، بعد أن حققت «الثورة العربية الكبرى» بقيادة الشريف حسين أهدافها القريبة في فصل العالم العربي عن تركيـا، وطرد الحاميات التركية من البلاد العربيـة والانضمام إلى البريطانيين ضد الأتراك والألمان، طمعا وأملا في أن يتولى الشريف حسين هذه المملكة العربية، وأن ينعم بلقب «ملك العرب»، (وقد بدأت هذه الأعمال برصاصة أطلقها الشريف حسين من منزله في مكة ضد الحامية العسكرية التابعة لدولة الخلافة الإسلامية طلبا للرضا البريطاني، أتبعها برسالة إلى مكماهون، يطمئنه فـيها على سير الأمور بناء على الخطة المتفق عـليها، ويعلن تأجيل أي طلب حتى يرى مكمـاهون نتيجة أعـمال هذا الشريف التي تتلخص في محـاربة جيش دولة الخلافة بغـية الحصول على مساعـدة بريطانيا في إنشاء خلافة عربيـة تمتد حدودها من أرسين وأضنة في تركيا الآن حتى الخليج العربي شمالا، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا، ومن المحيط الهندي للجـزيرة جنوبا، يستثنى من ذلك عـدن التي تبقى كما هي حـتى سيناء غربا، وعلى أن توافق إنجلترا على إعلان خليفة عربي على المسلمين.

وكان جواب المندوب السامي الموافـقة على استقلال البلاد العـربية والموافقة على إعلان خليفة عـربي، لكن مسألة الحدود لا يسمح الوقت لتحديدها بسـبب استمرار الحرب مع تركيا[(١)].

وفي الوقت الذي تجـري فيه الرسـائل وتبرم المعـاهدات بين حسين ومكـماهون كانت بريطانيا وفرنسـا وروسيا يتفقون على تقسيم العـالم العربي والإسلامي بعد أن تضع الحرب أوزارها، على النحـو الذي انتهت إليه الأمور بعـد الحرب إلا أن الثورة الروسية كشفت هذه الاتفاقية السرية المسماة (سايكس بيكو)، ورفضت الاشتراك فيها دون أن تمنع تنفيذها، مما مـزق بلاد الشام إلى دويلات وساعد على قيـام إمارة شرق الأردن سنة ١٩٢١م لتكون عازلا بين المملكة العربيـة السعودية في الجنوب وفلسطين

(١) انظر كتابنا: نظرات فى الدولة الإسلامية.

التي تهيأ لليهود في الشمال.

وبدلا من أن تساعد بريطانيا الشـريف حسين، ساعدت إسرائيل مساعـدة كبيرة وتبنت مشروع نابليون تحت اسم جديد هو (وعد بلفـور)، الذي تعهدت فيه بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وكـان رسم خرائط جديد ملبيا رغبتين في آن واحد: إرضاء بريطانيا وفرنسا كلتاهما باقـتسام العالم العربي، وتمهيد الأرض العربية وتجهيزها لقيام وطن قومي لليهود.

وجاء وعد بلفـور سنة ١٩١٧م ليهيئ الأجواء العالمية لقـبول هذه الدولة الجديدة «إسرائيـل» التي ستظهـر إلى الوجود بعـد سنوات، (وتنتهي الحـرب الأولى ويضطر فيصل بن الحسين إلى الموافقة على مـشروع دولة يهودية عربية في فلسطين مع حاييم وايزمن، ويقـضي المشروع بالعـمل على تنفيـذ وعد بلفـور، وتشجـيع الهجـرة إلى فلسطين. . . واعتبار بريطانيا حكما بين العرب واليهود في كل نزاع)[1] .

والتاريخ لا يكرر نفـسه وإن تشابه في كثيـر من مواقفه، فـالدولة العظمى تقوم بالوساطة الآن بين الفلسـطينيين والإسرائيليين، بل إنها شـريك في تنفيذ الاتفـاقات المبرمة، وخاصة الاتفاقات الأمنية منها.

(٥) خيانات عربية:

وكان قبول الشريف حسين وأبنائه من بعده لتنفيذ ما تمخضت عنه الحرب الأولى دافعـا للاستمـرار في هذا الطريق، حيث غرق الأمـير عبـد الله ـ أمير إمـارة شرق الأردن من سنة ١٩٢١م إلى سنة ١٩٤٦م، ثم ملك المملكة الأردنيـة الهاشميـة حتى سنة١٩٥١م ـ غرق في تنفيذ مخططات اليـهود والإنجليز أملا في أن يتمكن يوما من حكم بلاد الشام أو أن يعود يوما ما حاكما لبلاد الحجاز، وقد ملك هذا المطمع عليه حياته، فلم يـبال بخيانة العرب أو بخـدمة اليهود والاتصـال بهم في أحرج الأوقات وأشدها، فـقد اتصل بهم مرات قـبل إعلان قيـام الدولة اليهوديـة، واتصل بهم بعد إعلانهـا، واتصل بهم أثناء حرب الجـيوش العربيـة معهـم، وكان هو قائد الجـيوش العربية، وعقد معهم اتفاقات وصـلات، وانسحب من اللد والرملة ليتسلمهما اليهود بعد مناوشة مسرحية تغطي هذه العملية، وكـان يعلن في اجتماعاته الخاصة: «اليهود

(١) يقظة العرب ص ٥٩٢ وما بعدها، نقلا عن كتابنا: نظرات فى الدولة الإسلامية.

أمة راقيــة متكتلة والعرب أمة ضعيــفة متأخرة، ولم تكن في نيــتنا أن نحارب، ولقد دفعنا للحرب دفعا، لأنهم (العـرب) رفضوا قبول نصائحي»[١]، وهذا الذي لم يكن في نيتــه أن يحارب يعين قائدا عــاما للجيــوش العربية التي ذهبت للقــتال في أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م باتفــاق من الدول العربيــة مجتــمعــة، فقاد العــرب إلى هزيمة منكرة، وكان في نفس الوقت يتصل باليهود ليحدد معهم ما يريدون، وهذا ما تقوله الوثائق التي كشف عنها حتى الآن.

من هذه الوثائق: «إن حكومة إســرائيل تعطي بهذا تــفويضا وصــلاحيــة كاملين للسيد روبن شيلوح واللفتنانت كولونيل موشى دايان للتفاوض وعقد اتفاق مع جلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية لأجل إنهاء أعمال العدوان وإنشاء علاقات السلام بين دولة إسرائيل وبين المملكة الأردنيــة الهاشميــة، على أن يكون مفهومــا بأن كل اتفاق كهذا ـ فيما إذا عُقد ـ يحتاج إلى تصديق حكومة إسرائيل المؤقتة.

أعطى في هاكريا، في إسرائيل في اليوم الخامس عشر من شهر كانون الثاني ١٩٤٩م.

م. شرتوك بن جوريون وزير الخارجية رئيس الحكومة».

(٦) الحروب تقوي وتنمي الدولة الصهيونية:

وقد كانت هذه الحرب سنة ١٩٤٨م وما بعدها عــاملا أساسيا في تمكين دولة إسرائيل وتثبيتها تسعى إسرائيل نحوها، وتختلق أسبابها لو لم توجد، لأن الحرب عامل حاسم في تغيير الخــرائط، وإقرار حدود جديدة، وإسباغ نوع من الــشرعية عليها هي شــرعية القوة، وهي بمثــابة توثيق الأراضي والعــقــارات بالمدافع والطائرات، وفي ظني أنه لا يمكن إقــرار حدود جديدة أو إنشاء كيانات سياسية لم يكن لها وجود بغير حرب أو قتال[٢]، واليهود لا يغفلون عن هذه الحــقيقة، فــعندهم فلاسفة ومــفكرون ومنظرون لهم فكر ونظر في تكون الدول والمجتــمعات، وهناك عوامل عــديدة ينبغي توفرها لإقــامة دولة مثل إســرائيل، قد جمعت إليها مهاجرين من كل بلاد الأرض، بثقافاتهم المختلفة، ورؤاهم المتباينة، وعاداتهم المتضاربة، وانتماءاتهم العميقة البــعيدة عن هذه الأرض الجديدة التي يقول عنها الحاخامات ورجال الدين: إنهــا أرض الميعاد، فلتكن هي كذلك، ولكن لا بد من عــامل رئيسي وهام

(١) انظر: كارثة فلسطين، لعبد الله التل.

(٢) انظر: الخيانة العربية الكبرى، أحمد رائف، ص ٣٦٥.

يربط ذلك الوافد الغريب بتلك الأرض الجديدة.

وأعظم العوامل التي تربط الشتات من البشر إن اجـتمعوا في رقعة ما من الأرض هو الخطر المحدق والمحيط بهم. لهذا فليكن خطر العرب هو المادة التي يمكن أن تحدث التفاعل الإنساني بين هؤلاء القـادمين، حيث يمسك كل واحد منهم السـلاح في يده ويقف بجوار الآخر ينتظرون خطرا قادما من وراء التخوم عليهم مواجهته والوقوف أمامه.

وهذا الدواء ينبـغي تعاطيـه لمدة أربعين عامـا على الأقل، حيث تـظهر أجـيال جديدة تنتـمي إلى الأرض، وتصير بينهـم وبينها صلة، ويصبح وطنا حـقيقـيا لكل الأبناء والأحفاد.

وهذا ما حدث في أرض فلسطين[١].

ولا بد أن تكون هذه الحرب حـربا نظامية، يمكن السيطرة على أطـرافها في أي وقت، سواء بإيقاف الحرب أو بفرض نوع من الهدنة، أو غير ذلك من الوسائل التي تفرض بها الدول الكبرى نفوذها، وتؤكد سيطرتها، بخلاف حرب العصابات التي لا يمكن السيطرة عليهـا ولا يعرف متى تبدأ ولا أين تبدأ؟ مما يسـبب للذين يقاتلون من وراء جدر إزعاجا أيما إزعاج، وفي سبـيل إلغاء هذه الحرب التي لا يسيطرون يبذلون كل جـهد، وهذا مـا دفع بحكومة الـنقراشي باشـا في مصـر لأن تجمع «الإخـوان المسلمين» من أرض المعركة وتعتقلهم هناك، ثم تنقلهم إلى المعتقلات داخل مصر.

وكان هذا العمل جزءا من مسلسل الخيانات، الذي هو ثمرة من ثمرات الاتصال بين بعض قـادة العرب وإسـرائيل، (وقد أمكن رصـد هذه الاتصالات بين إسـرائيل والملك حسين منذ عـام ١٩٥٠م فزادت عن خمسمـائة ساعة من المباحـثات السرية، اجتمع فيها مع قيادات حزب العمل حـتى سنة ١٩٨٥م أكثر من خمسين اجتماعا في أماكـن متـفرقـة في العالم، والتـقى بإيجالو آلون ١٤ مـرة، و(أبا إيبـان) ١٢ مرة، وإسحـاق رابين ٨ مرات، وجولدا مائيـر ٤ مرات، وموشى دايان ٣ مرات، ودافـيد اليعازر مرة واحدة، والتقى بشيمون بيريز ٩ مرات)[٢].

ويبقى أن نقول: إن اليهود استغلوا من أجل قيام دولتهم وبقائها كل حادثة وكل

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: العرش الأردنى بين الخيانة والتآمر، محمد العباسى ص ١٨٠، نقلا عن: الخيانة العربية الكبرى.

فرصة، علـى حين أضاع العرب كل فرصـة تقربهم من هدفهم أو تساعـد في عودة أرضـهم، فاسـتغل اليـهود الأحـداث وسخـروا الأشـخاص بعـد أن مكنوا لهم في الأرض، وحاربوا إن كانت الحـرب لمصلحتهم، وسالموا إن كـان السلم في صالحهم، وهم في سبيل استيلائهم على الأرض واستـبقائها تحت أيديهم لا يحترمون وعدا ولا يوفون بعـهد ولا يحتـرمون شخصًـا، والشواهد كثـيرة وقرارات الأمم المتـحدة التي لصالح العرب أكثر من أن تحصى، والمعاهدات التي بينهم وبين العرب عديدة لم ينفذ أكثر بنودها ومـا نفذ فلمصلحة قريبة أو لتـحقيق أهداف بعيدة، فمـتى تكون أعمالنا موافقة لهذا العلم؟ غير بعيدة عن هذا الفهم؟

(٧) وما زال مسلسل الأزمات مستمرا:

(أ) استثمار الكسب الصغير:

في فبراير سنة ١٩٩٨م أحدث النظام العراقي أزمة مع الأمم المتحدة، ارتفع بسببها الاستعـداد العسكري في المنطقة، وجاءت بعض حامـلات الطائرات إلى الخليج، وكثر الحديث عن ضربة عسكرية موجهة نحـو نظام بغداد، تعيد للعراق رشده، وتجعله يفكر مـرات قبل أن يثـير من جـديد بعض الأزمات، وتـرددت بعض دول المنطقة في تأييـد الضربة العسكرية، وتبـاطأت الدول القادرة على توجيه ضربة إلى العـراق في تنفيذها، وكان للإعلام دوره في إشعار الناس أن الضربة العـسكرية قادمة لا محالة، وظهرت في بعض البلاد النشرات التي تبين للناس كيـف يتصرفون عند الخطر، مما يوحي بأن بعض الدول اعتقدت أن ضـرب العراق أمر مفروغ منه، وأن المسألة مسـألة التوقيت المناسب، ثم ظهر كوفي عنان سكرتيـر عام الأمم المتحدة راكبا موجـة الأحداث، وأتى إلى بغداد وخرج منها باتفاقه مع طارق عزيز على إنهاء الأزمـة دون إراقة دماء، أو قعقعة سلاح، وهبطت حدة الغليان التي كانت تجتاح المنطقة والتي تـرى فيها الأطراف المختلفة مصالح متباينة، يسعى كل منهم لتحقيق مـصلحته وحده، وإن أغرق الطوفان ـ من بعده ـ غيره من الناس، وهذا ما عبر عنه أحد المسـؤولين الأمريكيين بقوله: «انظروا ما حصل الآن، لقد حصل ذلك مرارا: صدام يشعل أزمة حـول التفتيش وحول اللجنة الخاصة، وينجح في شق صفوف الأمم المتـحدة، ونقوم نحن بالتصـعيد العسكري بكلفـة مليار ونصف المليار دولار في كل تصعـيد، أما الفرنسيون والروس والأمم المتـحدة فيستثـمرون قوتنا

ونفوذنا لإبرام صفقة، ويحقق صدام كسبا صغيرا وينتظر الفرصة القادمة، إن ذلك لأمر غبى حقا» .

(ب) الأزمات جرعات دواء:

ومرت أزمة فبراير سنة ١٩٩٨م التي افتعلها النظام في بغداد، كما مرت من قبلها أزمات مفتعلة تحشد لها الحشود العسكرية التي يتكلف كل حشد منها مليارا ونصفا من الدولارات ـ بحسب قول المسؤول الأمريكي ـ تتحملها خزائن الدول الخليجية وتسدد (فاتورتها) على حساب تأخير التنمية الحاضرة، ومستقبل الأجيال القادمة، وتضطر إلى عقد صفقات قد لا تكون في حاجة ماسّة إليها، مما يؤثر ـ سلبا ـ على اقتصادياتها، في الوقت الذي تترسخ فيه أقدام نظام بغداد فوق أرض العراق، وتعطيه كل أزمة تمر ثقة في قدرته على البقاء، ولذا فقد ألف افتعال الأزمات، التي هي بالنسبة له جرعات من الدواء، يشد بها أزره، ويلفت بها الأنظار إليه.

(جـ) سر تكرر الأزمات والتباطؤ في حسمها:

والأزمة الحالية هي جزء من مسلسل الأزمات، التي ينبغي أن تتكرر كل عدة شهور حتى يألفها العالم وتألفها شعوب المنطقة، وتضيق بها وتتمنى أن تقبل نتائجها التي تتمثل في إعادة رسم خريطة المنطقة على نحو جديد، فإذا ما حدث ذلك تنفست شعوب المنطقة الصعداء، وظنوا أنهم تخلصوا من البأساء والضراء فقبلوا الواقع المفروض، ولم يمانعوا فيه، وبإعادة رسم خريطة المنطقة وظهور دول جديدة تقضي على نظام بغداد بشكل أو بآخر، وهذا سر الأزمات المتكررة التي تقبل الدول الكبرى تكريرها، وتتباحث أسابيع حولها، (ولا يستبعد المسؤولون الأمريكيون والبريطانيون حلا دبلوماسيا للأزمة الحالية، ورغم أن الحسابات قد تتغير فإن كبار المسؤولين يؤكدون أن ترجيح استخدام القوة لن يأتي قبل بضعة أسابيع)[1]، لن يأتي ترجيح استخدام القوة تجاه العراق المشاكس قبل مضي بضعة أسابيع، أما تجاه السودان وأفغانستان فإن استخدام القوة ضدهما يأتي قبل مضي ٤٨ ساعة على تفجير سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا.

(١، ٢) الشرق الأوسط ٩/١١/١٩٩٨م.

فلماذا كانت العجلة عند ضرب السودان وأفغانستان؟ ولماذا يتم الإبطاء المتعمد(عدة أسابيع) عند ضرب العراق، إن كان سيضرب؟!

(د) مبررات فاترة:

ومبررات التأجيل في كل مرة تحدث فيها أزمة موجودة، وأبرزها الإعلان عن نقل حاملات الطائرات من البحر الأبيض إلى الخليج، وأنها اليوم تقترب من قبرص، ثم في الغد في بورسعيد، ثم بعد ذلك تعبر قناة السويس. . .إلخ، هذه السلسلة التي صارت لكثرة تكرارها محفوظة، ومثلها سلسلة سير حاملات الطائرات التي تأتي من المحيط الهندي، والتي تحمل كذا وكذا. . . وكأن أمريكا ليس لها قوات ثابتة متمركزة في شرق أفريقيا!! وليس لها قوات ثابتة متمركزة في الخليج، وليس لها تواجد بحري واضح في الخليج، والبحر الأبيض والبحر الأحمر، وليس لها قاعدة كبيرة في شرق تركيا، وكلها تستطيع ـ لو لم يكن الموضوع كله للاستهلاك المحلي وتهيئة الأرض لجنين أو أجنة جديدة تولد بعد رسم الخريطة الجديدة ـ تستطيع بسهولة أن تصيب الأهداف القريبة أو البعيدة في العراق. فلماذا الأسابيع العديدة إن لم يكن إطالة أمد الأزمة متعمدا وشغل الناس بها ـ أطول مدة ممكنة ـ مقررا؟!

(هـ) رسالة إلى سوريا ولبنان:

ويبدو أن الأزمة الحالية المفتعلة مقصود بها أن تمس سوريا ولبنان بشكل من الأشكال لم يتبلور بعد، لإرغامهما على السير في نفس الطريق الذي سار عليه عرفات حتى وصل إلى (واي بلانتيشن) ثم عاد (صارما يحمل سوطا ـ على حد تعبير فهمي هويدي ـ ويشن حملة اعتقالات وملاحقات واسعة النطاق لم تتوقف حتى الآن، على حين أن نتنياهو عاد فاتحا تتقدم موكبه الجرارات لبناء مستعمرة جديدة في كريات عربة بمنطقة الخليل)[١]، عاد عرفات يحمل القهر والتضييق على الفلسطينيين، وعاد نتنياهو يحمل العمران والبناء والتوسع للإسرائيليين.

(١) الشرق الأوسط ٩/١١/١٩٩٨م.

(و) رفض الابتزاز والمساومة:

وبقيت سوريا على موقفها القوي تجاه إسرائيل، ترفض المساومة وتأبى الابتزاز بالتهديد والوعيد، وتعلن بتصرفها أن حقها في أرضها كامل لا تنازل عنه، وأن ما يطلق عليه السلام مقابل الأرض يمكن أن تنقضه إسرائيل في غمضة عين، فيصبح لا وجود له، فلا تبقى الأرض ولا يكون السلام.

إن سوريا التي خبرت ألاعيب السياسة وخباياها لا يخفى عليها مضمون هذه الرسائل، ولكنها لا تهز ثباتها أمام العدو وصلابتها في وجهه.

(ز) الحرص على بقاء نظام بغداد:

ولو وجهت ضربة عسكرية للعراق فلن تهدف إلى إزالة النظام حتى ولو أزالت صدام؛ لأن نظام بغداد ـ بشكله الحالي ـ جزء من المسرحية التي تمثَّل على المسرح العربي، ليس دور صدام فيها إلا دور الشرير الذي يستمطر عليه لعنات الناس وسخطهم لتصرفاته الحمقاء، وأفعاله الطائشة، دون أن يستغني عنه، اللهم إلا إذا وجد البديل الذي يؤدي نفس الدور، ويقوم بنفس الغرض، ووجود النظام بهيئته الحالية هو الذي ينبثق منه هذا الدور سواء مثله صدام أو مثله غير صدام.

وجود النظام الحالي في بغداد ضروري للذين يخرجون الأحداث في هذا الجزء من العالم ـ على الأقل ـ في الفترة الحالية، ولذا فإن ضربة عسكرية ـ إن حدثت ـ تؤدي إلى الضعف العسكري للعراق وإلى تقوية النظام سياسيا؛ بحيث يتمكن من إكمال المخطط الموضوع لهذا الجزء من الشرق الأوسط مع بداية القرن الحادي والعشرين، الذي من المقرر أن تدخله المنطقة خلف دولة قوية غنية تفرض على غيرها ما تشاء، وتفعل مع جيرانها ما تريد هي دولة إسرائيل، ومن بين العرب من يساعد على ذلك وفي مقدمتهم نظام بغداد، الذي أهدى في حرب الخليج الثانية عشرة مليارات من الدولارات عجلت بها أمريكا لإسرائيل، حتى لا ترد على بضعة صواريخ سكود أطلقها النظام لتسقط في صحراء النقب دون أن تخيف فأرا، أو تزعج طيرا.

(ح) تكتيك افتعال الأزمات ضروري في المنطقة:

إن الذين يظنون أن هذه الأزمات التي يفتعلها نظام بغـداد تحدث بعيدا عما يراد للمنطقة واهمـون، لقد أعلن (ريتر) الذي قدم استـقالته من لجنة التفـتيش على أسلحة الدمار الشامل العراقيـة أن أمريكا تغض البصر عما يفعله نظام بغـداد، فهل (ريتر) غير صادق فيما يقول: أم أن الشركات الأمريكيـة العاملة تحت علم الأمم المتحدة فيما يسمى بالنفط مقابل الغذاء قد استطابت الأكلات العراقية فأثرت في القرار السياسي الأمريكي.

إن التـدهور الاقتـصادي العـراقي الذي هبط إلى مـعدلات مـرفوضـة (الدينار العراقي= سنتا من الدولار الأمريكي)، هذا الـتدهور لا يشغل بال النظام في بغداد، وإنما يشغله التجهيزات العسكرية التي يمكن بها ـ في الوقت المناسب ـ أن يعتدي على جيرانه، وأن يساعـد في ضياع مقدرات المنطقة، ويزيد من تخلـفها وإهدار ثرواتها، في الوقت الذي تسـرح فيـه وتمرح القـوات التركـية في شـمال العـراق، دون أدنى اعتراض من نظام بغداد.

فلمـاذا إذن الحرص على الجـيوش وإحـراز السلاح مـا دام هذا لا يوجه نحـو إسرائيل ولا يوجه نحو تركيا التي تقطع شمال العراق بقواتها ـ كل حين ـ؟

الأمر كله في النهاية يصـب في سوق المنطقة نحو ما يراد لهـا من تخلف وفقر وقهر؛ لتبقى فيها دولة واحدة (إسـرائيل) ترفع أمام العالم شعار الحرية والديمقراطية، أما غيرها من الدول فليس لها حضور، بل ليس لها ـ إن شئت ـ حياة أو وجود.

تاسعًا: يريدونها تفتيتا ونريدها توحيدا

(١) أهمية التخطيط والاستراتيجية:

يكتسب التخطيط في البلاد المتقدمة كل يوم أهمية جديدة، تقوي مكانته، وتحفظ له الصدارة، وتجعل المؤسسات القائمة به إحدى مؤسسات الدولة، كما تجعل من القائمين عليه أعمدة الحكم، لا يستغنى عن رأيهم، ولا ترد لهم مشورة، وخاصة عندما يتعلق هذا التخطيط بصلات دولية بغيرها من الدول، وعلاقاتها البعيدة أو القريبة، التي ترسم الدولة من خلالها سياستها المستقبلية، وتصرفاتها الحاضرة في ضوء مصالحها الخاصة، وقوتها الذاتية، وقدرتها العسكرية والاقتصادية والبشرية بالنسبة لغيرها، ومدى تأثيرها في المحافل الدولية، وتطلعها إلى القيام بأدوار عالمية تفرض على الآخرين ـ بالترغيب أو الترهيب ـ وجهات نظرها، وتجمع من تأيديهم ما يوافق غرضها، ويحقق لها هدفها.

وكل الدول القوية أخذت نفسها بهذه السياسة، مستفيدة من كل تقدم عسكري أو ملاحي أو صناعي، أو كل كشف جغرافي أو فضائي، ولقد كان اكتشاف البخار ومعرفة طريق البحار، والتطلع إلى ما وراءها من بلاد غنية بمواردها، ضعيفة بقدراتها، كان ذلك ثورة في عالم التكتيك والاستراتيجية، أو التخطيط المبنى علي أسس واقعية، دفع البلاد الغربية إلى أن تسيطر على البحار، وتعمل على تقليص أساطيل غيرها، وبالتالي محاولتها محاصرة البلاد الأخرى أو السيطرة عليها، وأدى هذا التفكير إلى التخطيط المستمر للاستيلاء على هذه البلاد والاستفادة منها ـ في الحرب والسلم ـ بأقل الخسائر الممكنة ـ فكان الاستعمار القديم، النتيجة القديمة بدون خسائر تذكر، واستدعى هذا التحول وجود أجهزة ومؤسسات لها قوة كبيرة وميزانيات ضخمة مهمتها رسم سياسة البلاد تجاه غيرها، وبيان طرق تنفيذها مستفيدة من مخترعات العصر في وسائل الاتصالات والمواصلات وغيرها، بحيث تصنع هذه المؤسسات الأحداث، وتبرزها إلى الوجود في حالة طبيعية، ولا يبدو عليها التكلف أو التصنع، فيقبلها الناس على أنها أحداث تجري، وليس تدابير محكمة تساق لأغراض مبيتة، ويتعاملون معها على هذا الأساس، مما يمكن صناع الأحداث من

استثمـارها لصالحهم على أحسن الوجوه، ولا تأتي صناعـة حدث من الأحداث إلا بعد تهيئة النفوس لاستقباله بوسائل عديدة في مقدمتها تسريب بعض الأنباء، وافتعال بعض المشـاكل والخـلافات، وقـيام بـعض المعارك وتحـقـيق الانهزامـات فـيهـا أو الانتصارات، وإثارة العصبيات الطائفية أو العرقية أو المذهبية، واستصناع بعض الناس لخدمة هذه الأغراض بمعرفتهم أو بغير معرفتهم.

(٢) انعكاسات على الواقع العربي والإسلامي:

ولو أردنا إنزال هذا التخطيط الاستراتيجي على واقـعنا المعاصر في عالمنا العربي والإسلامي لوجدنا أحداثًا تمت أو تتم أو تتهيأ لها الأذهان، وتمهد لها الأرض لتصنع الدول القوية ما خططت له وتبنته بحيث يصب ـ في نهاية الأمر ـ في صالحها أو في صالح حلفائها.

فمنذ متى يتحدثون عن تقسيم العراق، وعن عدد الدول التي تكون فيه، ومذاهبها الدينية، أو أدوارها في مـستقبل المنطقة، ومـا يكاد يخفت الحديث عن هذا التـقسيم حتى يظهر من جديد مصحوبا بحـدث من الأحداث، تنشره أجهزة الإعلام العالمية، وتصنعه وترعاه الدول القـوية مثل الاتفاق الذي تم بين «البرزاني والطالبـاني» زعيمي الحزبين الكرديين في شمال العراق بمباركة أمـريكية... ثم تأخذ بعد ذلك مساراً آخر حيث تحشد تركيا جيوشها على الحـدود مع سوريا مطالبة بأوجلان، فيتحول في مدة وجيزة من رجـل نكرة لا يؤبه به إلى زعيم خطير تقوم من أجله الـدول، وتحشد من أجله الحشود وتتحدث عنه الأنباء وتتابع حركته وتردد اسمه الأخبار، وتتخاصم بسببه الدول.. ثم ماذا بعـد وجود شعب يقـاتل وزعيم مطارد، ومـشاكل دولية مـثارة.. وحديث يتـردد عن دولة كردية في شـمال العراق.. مـاذا بعد ذلك؟ تتهـيأ الأذهان لقبـول شعب وزعيم، ثم تقـتطع له قطعة من أرض العراق ليـقيم فيهـا دولة، ومثل ذلك يحدث في السودان، حديث يثار عـن محاولات لفصل جنوب السودان... ثم إيجاد بعض المتـمردين ومدهم بـالسلاح والمال، واشتـباكات هناك وهنالك وسـقوط بعض الأماكن في أيدي المتمـردين، ثم إيجاد زعامة لهم، فيتـحول «جون قرنق» من متمرد مجـرم مطارد إلى زعيم للمعارضة المسلحة ذات المطالب المشروعـة يستقبله في العلن زعماء الدول ويتباحثون معـه، وتنشر وكالات الأنباء العالمية والصحف الكبرى أنباء تحركاته وكأنه زعيم دولة، لا رئيس عصابة.

وإذا كان هذا يحدث في العراق والسودان فـإنه كذلك يحدث في أماكن أخرى بقدر، فأحداث الجزائر الدامية التي لم تستطع أي حكومة أن ترأب صدعها، وتضمد جراحها منذ حدثت حتى الآن، هذه الأحداث نزيف مـستمر لقوى الشعب الجزائري الذي هو في أمس الحـاجة إلى قوة ممكنـة لبناء الدولة الجزائرية والنهـوض بإنتاجـها واقتصادها وقدراتها حتى لا يجرفها تيـار الديون المتراكمة، وفي مصر تثار الآن قصة اضطهاد المسيحيين التي لا أصل لها؛ لأنها تهدف إلى تشويه الصورة الإسلامية فقط، وإن لم تعبر عن الحقيـقة، لأن المسيحيين في جميع الدول الإسلاميـة يتمتعون بكامل حقوقـهم، لا لأن المسلمين يريدون ذلك، بل لأن الشريعة الإسلامـية هي التي بينت ذلك وارتضته ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[1] فأين الاضطهاد؟ «وكيف كان يعيش هؤلاء النصارى مـحافظين على دينهم وأملاكهم وحقوقـهم وكرامتهم في وسط إسلامي ١٥٠٠ عـام إن لم تكن شريعـة الإسلام تقبل ذلـك، وتؤكد حرصـها على ترك الناس أحرارا» في اختيار ما يدينون به؟

ولكن السـاسة وأهلهـا يختـرعون كـل عظيمـة من الإفك ليحـققـوا أغراضـهم ومصالحهم، والأمر لا يعدو في النهاية أن يكون المقصود بهذا التشهير والتجريح تفكيك قوي التماسك في الجماعة الوطنية، وقد عـبر عن هذا الأستاذ/ فهمي هويدي في مقاله المنشور في الوطن بقوله: «إن خبرتنا وخبرة المنصفين من أهل النظر تدلنا على أن العبث بملف علاقات المسلمين والأقـباط في مصر لم يكن بريئا يوما مـا، وفي تاريخنا المعاصر كله، فإن محاولات تفـجير تلك العلاقة تحت أي مسمى لم تحـدث إلا حينما كان يراد الضغط على مصر أو تفكيك قوي التماسك في جماعتها الوطنية».

ولا تقف المؤامرة عند هذا الحد بل تثار أيضا قضية «حلايب» لتكون مصدر نزاع بين مصر والسودان، ولولا شيء من التعـقل والحكمة لكانت هذه المنطقة الآن إحدى المناطق المشتعلة.

وفي أقصى المغرب العربي تجد الصحراء الغربيـة وجبهة البوليساريو والنزاع قائم هناك منذ سنوات، بؤرة للتـفجر في أي لحـظة؟ إن النزاعات العرقـية أو الطائفـية أو المذهبية أو الإثنية القائمة بين البلاد الإسلامية الآن، لم تكن بارزة إلى وجود يوم كان

(١) البقرة: ٢٥٦.

الاحتكام لشريعة الإسلام التي تسع الناس جميعا، ولكل حقه المعروف وعليه واجب يؤديه نحو الجماعة، فإن قام به فقد ألزم الجماعة أن تقوم بحقه عليها حتى ولو خالفها في أعز ما تقوم عليه وهو الدين، وحين لم يحتكم الناس إلى الشريعة وضعف الوازع الديني كثرت مطامع الأعداء في البلاد الإسلامية، فوجدوا آذانا مصغية، ونفوسا متطلعة لإثارة المتاعب والقلاقل مقابل عرض من أعراض الدنيا، وما يزالون يجدون مثل ذلك، ويحاولون اليوم ما حاولوه من قبل مضيفين فتنة جديدة هي فتنة النزاعات الحدودية التي لا تكاد بلد في عالمنا العربي تسلم من شرها، نتيجة للتخطيط الاستعماري القديم الذي حرص على إيجاد هذه النزاعات القابلة للتفجر في أي لحظة، إن خلا الأمر من حكمة المسؤولين وحنكتهم وبصرهم بعواقب هذا الخطر في أي بلد من البلاد.

(٣) من مهام مجلس التعاون الخليجي:

ومجلس التعاون الخليجي مدعو ـ اليوم قبل الغد ـ إلى أن يضع في حسبانه أمثال هذه المخططات العالمية الكبري، التي تصنعها القوى المحركة، وتعمل على تصويرها وإخراجها في أشكال متنوعة وتقسيمات جديدة لعالمنا العربي، قد لا نسلم من الوقوع فيها مستقبلا، إن لم نأخذ حذرنا ونلم شعثنا، ونجمع فرقتنا، ونجعل من دول مجلس التعاون الخليجي نموذجا في التواصل والعطاء، والتكافل والنماء والعمل الموحد الذي يعود خيره على الجميع، وبه يأمن الجميع من مكر الماكرين وكيد الكائدين.

عاشراً: نحو تأصيل العمل السياسي الإسلامي

(١) الأحزاب في البلاد الإسلامية:

(أ) طبيعة الأحزاب:

الأحزاب والتوجهات والتجمعات المختلفة في أي وطن، لها مبادئ تؤمن بها وتنادي لها وتعمل في سبيل نشرها بين الناس، لعلهم ينضمون لهذا الحزب أو ذاك فتزداد بذلك قوة الحزب، فإن لم تكن هذه فليس أقل من أن ينشر الحزب فكرته، ويبين غايته، ويظهر وسيلته، التي قد يقتنع بها الناس فيختارون ممثلي هذا الاتجاه، ليكونوا معبرين عن آمالهم وطموحاتهم ومطالبهم عند أصحاب السلطان في الحكومة أو في (البرلمان)، ولابد لكل حزب من الأحزاب من مرجعية فكرية تستند إليها نظرته، ويستمد منها حركته، وبعض الأحزاب الناضجة في الفكر، الراسخة قدمها في الأرض تتفق على تقديم أمثل خدمة للجماهير أو بعبارة أخرى إعلاء شأن الوطن، وإن اختلفت وسائلهم في سبيل تحقيق هذا الهدف (هكذا الأحزاب في بريطانيا مثلاً).

(ب) الأحزاب في بلاد المسلمين:

وقد كنا ننتظر من الأحزاب في بلاد المسلمين أن تكون كذلك، بمعنى أن تكون مرجعيتها جميعها هي الإسلام، تستند إلى أصوله، وتستمد حركتها من توجهاته، وإن اختلفت بينها الوسائل للوصول إلى الغايات، واختلفت الأولويات، واختلفت سبل النهضة الداخلية وطرائق العلاقات الخارجية، وبمعنى آخر تختلف الوسائل وتتفق الأهداف والمقاصد دون خروج عن أن تكون المرجعية الإسلامية هي الركيزة وهي الأساس، لأن الله ارتضى لنا الإسلام دينا: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾[1]. وليس لمسلم إلا أن يرضى بما رضي به الله، وليس له أن يقدم شيئاً آخر ـ مهما علا قدره ـ على ما ارتضاه الله، لكن الأحزاب والتوجهات والتجمعات في بلاد المسلمين اتخذت لها وجهات شتى، وطرائق قددا، بعيدة عن الإسلام، توغل أحياناً في (الليبرالية) أو تغوص أحياناً في (الاشتراكية)، أو تحذو حذو هذا الحزب أو ذاك في البلاد الغربية أو الشرقية، وكلها تبتعد عن هدى السماء، وتأخذ من قوانين الأرض ـ وحدها ـ ما تشاء، فسار

(١) المائدة: ٣.

المقلِّدون في بلاد الإسلام على سننِ المقلَّدين في البلاد الأخـرى، فقامت في بلاد المسلمين أحزاب تنادي بما يخالف روح الإسلام، وتجعل مرجعيـتها شيئاً آخر، وتتذرع بكل وسيلة شريفـة أو غير شـريفة للوصول إلي مـا تريد، مما جعل الخلاف بين الأحـزاب يشعل نار العداوة والبغضاء؛ لأنه (يتعدى النظر في المصـالح العامة إلى المقاطعة في كل الشؤون عامة أو خاصة، وأدى إلى أن نرى الحق في جانب خصومنا الحزبيين باطلاً، والباطل في جانب أنصارنا الحزبيين حقاً ونصدر عن هذا الشعور في كل تصرفاتنا وصلاتنا)[١] .

(جـ) الأحزاب الإسلامية:

وأدى ذلك إلى محاولة بعض الغـيورين من أبناء الإسلام العارفين بمنهـجه إلى إيجاد أحزاب أو تجـمعـات ذات توجهـات إسلاميـة خالصـة في الغاية والوسـيلة، في السلوك والأعمال والأقوال، مرجـعيتها الكبرى أصول الإسلام التي ينبغـي أن يستمسك بها الناس أجمعـون، وأما الفروع ففـيها متـسع لأن يأخذ الناس منها أو يتـركوا ويقدموا بعـضها أو يؤخروا إلى غـير ذلك، ووجـدت في بلاد المسلمين أحزاب أو تجـمعـات تعلن المرجعـية الإسلامية وأحزاب أو تجمعات أخرى تعلن توجهات غير إسلامية، وشتان ما بين التوجهين.

(د) اختلاف الغايات:

فالأحزاب والتـجمعات غيـر الإسلامية تختلـف في هدفها عن الأحزاب والتجـمعات الإسلامية، فأفكار منظري الشيوعية (أيام أن كانت) هي أفكار الأحزاب الشيوعية (الاشتراكية) في بلاد المسلمين، وأفكار منظري الليـبراليـة هي أفكار أحزاب الليـبراليين، وتعـاليم الإسلام وأصوله هي التي تتبعها تجمعـات وأحزاب الإسلاميين؛ لأن غاية الأحزاب الإسلامية هي أن يسود في بلاد المسلمين (أن الله هو الحاكم الأعلى والسيد المطاع والملك، وأن شريعته هي التي تقرر للإنسان نظام السلوك، وتقرر للدولة القانون الذي يطبق على الأرض)[٢] .

تلك هي غاية الأحزاب الإسلامية، أما غير الأحزاب الإسلامية فغايتها منحصرة في (ألا يفكر المسلمـون بعـقل المسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسـلام ديناً وبالقـرآن منهاجاً وبمحمد رسـولا، بل بالعقل الذي صنعه لهم أصحاب مرجعـيتهم «غربية أو شرقيـة»، تلك التي همها زحزحة المسلمين عن الإسـلام والاعتداد به، والتكتل تحت لوائه، وذلك بالتشكيك الخفي في صـلاحية الإسلام لقيادة الحيـاة المعاصرة، وتنظيم

(١) انظر: الحلول المستوردة، د. يوسف القرضاوى.

(٢) الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة، للمودودى.

المجتمع المتحضر، وتوجيه الدولة الحديثة، وبتشويه صورة الإسلام ـ شريعته وحضارته وتاريخه ـ في أعين الناشئين وعزلهم عن الثقافة الإسلامية الأصيلة، مع إبراز وجه الحضارة الغربية جذاباً فاتنا، مبرأً من كل عيب، منعوتاً بكل جمال وكمال)[١] ثم هم لا يعنيهم في شيء أن تكون مرجعيتهم هي الإسلام، بل إنهم يرفضون هذه المرجعية علناً أو عملاً، وكل همهم أن يكون له في الساحة صوت، وفي الحكم أو (البرلمان) مقعد، ومرجعيتهم قوانين الغرب أو الشرق.

ولئن اشترك الجميع في الحزبية فإن وسائل الإسلاميين مختلفة عن غيرهم؛ لأنهم يدركون أن الغايات الشريفة لا يمكن الوصول إليها بالوسائل غير الشريفة، لأنهم ليسوا ميكافيليين يهمهم الوصول إلى الغاية من أي طريق، بينما غير الإسلاميين يرون أن الغاية تبرر الوسيلة، وأن الأهداف إن تحققت من أي طريق وبأي أسلوب، فقد تحقق المطلوب، وتمَّ الوصول إلى المرغوب.

(هـ) الاختلاف في الوسائل وأسلوب العمل:

وجميع هذه الأحزاب (إسلامية وغير إسلامية) تعمل في ساحة واحدة، هي دعوة جماهير المسلمين للانضواء تحت فكر حزب معين، أو تأييده ومعونته، ولكن أسلوب التعامل هو المختلف، فالأحزاب الإسلامية تتعامل من مراعاة واقع المجتمع في ضوء تعاليم الإسلام، وغيرها يحاول أن يتعامل مع الواقع وحده وافق الإسلام أم خالفه، ولتوضيح ذلك نذكر مثالاً واحداً في التعامل مع قضية عامة، تكاد تكون هامشية بالنسبة لغيرها من القضايا، وهي التي أثيرت قريباً على صفحات الصحف إنها قضية الحفلات الغنائية العلنية، تلك التي يؤيد الإسلاميون المطالبة بإلغائها لما لها من إفساد خلقي وتهتك اجتماعي، بينما غير الإسلاميين يطالبون بالإبقاء عليها ونشرها بحجة محاربة التجمد والعبوس والدعوة إلى (الوناسة).

إن اتفاق الشكل بين جميع الأحزاب لا يعني الاتفاق في المضمونك لأن لكلٍّ غايته ولكلٍ وسيلته، ولكلٍّ منهجه، ويبقى أن نقول: إن الأحزاب والتجمعات الإسلامية إنما تعبر عن أمنيات المسلمين أو كثير منهم على الأقل، الذين يودون أن تسود بلادَ الإسلام روحُ الإسلام، وأن ترفع فيها راية القرآن، وأن تكون شريعة الله هي المقررة لسلوك الأفراد ولقوانين الدولة على السواء: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢].

(١) انظر: الحلول المستوردة د. يوسف القرضاوى، بتصرف يسير.

(٢) المطففين: ٢٦.

(٢) نجاح المشروع الإسلامي:

إنما ينجح المشروع الإسلامي إذا وجدت التجمعات القائمة به تجاوباً عملياً واقعياً في ساحة المجتمع الإسلامي، بمعنى أن يشعر كل فرد وكل مؤسسة أن هذا المشروع يعبر عن أشواقه وآماله في الحياة، وأنه يحافظ على مكتسبات الأفراد والجماعات، ولا يضار من السعي نحو تحقيق هذا المشروع إلا ضال أو باغ، وأن هذا المشروع يفتح ذراعيه ليسع الناس أجمعين، الذين يقبلون مبادئه، ويرضون منهاجه ويشاركون في تحمل أعبائه بجهودهم المتعددة، ليعلنوا بذلك عن هويتهم الإسلامية السمات والتصرفات.

وقد كان هذا نهج رسول الله ﷺ حين تأتيه القبائل مسلمة، فإنه يقر من كانت له ولاية عليهم، ويقر ما هم فيه من عمل، اللهم إلا إن كان في هذا العمل ما يتناقض مع مبادئ الدين فإنه لا يقرهم عليه، ولا يقبل منهم إلا أن يتركوا الحرام ويتوجهوا إلى الحلال.

ونحن نعلم الفارق بين دعاة اليوم والمدعوّين وبين المدعوّين أمس والداعين، لقد كان ﷺ يدعو غير المسلمين، لكنه لم يترك - في أي لحظة - تذكير المؤمنين بواجبهم نحو هذا الدين، بحيث يصير السلوك والقول والتصرف في كل أمر خاضعاً لمنهج الدين، لا يشذ عنه أحد ولا ينحرف، وبحيث يصير كل مسلم متفاعلاً تفاعلاً إيجابياً مع دعوة الحق، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ، الذي كان خلقه القرآن، والذي جعل من مجتمع المسلمين في المدينة كتلة موحدة رغم التفاوت فيما بينهم، فقد كان في هذا المجتمع مهاجرون وأنصار وأعراب مخلصون، وأعراب غير مخلصين، ومنافقون مردوا على النفاق، ومؤمنون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

ولكن الدين له قداسته وله شأنه الأول في شؤون الحياة، لا يجاهر أحد بعداوته، وإن كان منافقاً معلوم النفاق.

ونحن ندعو اليوم مسلمين في مجتمع إسلامي، تسربت إليهم في غفلة من الزمن مناهج أرضية وتقاليد غير إسلامية، جاءتهم من الغرب أو الشرق، وحملها إلى ديار المسلمين أجانب ليسوا مسلمين، أو مسلمون لبسوا لباس الأجانب في تصرفاتهم وأخلاقهم وقيمهم، وأخذت هذه المناهج وتلك التقاليد تترسخ في

المجتمـع، حتى ظن كثيـر من الناس أنها غير منافـية للدين، وأنها ليست بعـيدة عن هدى رب العالمين، وساد ذلك بين كثير من المثقفين حتى إن أحدهم كتب عن الرقص في معـرض حديثه عن رقص الباليـه: (ليس في الرقص حرام وحلال، بل فـيه ترفع وتبذل وركاكـة وإتقان. . . أما تحليله وتحريمه فغـير مقبول حتى من وجـهة نظر دينية مستنيـرة؛ لأن الفن ليس أمراً من أمور الدين إن لم يتناقض معـه؛ إذ هو أيضاً نشاط روحي له قوانينه التي تنظمـه بعيداً عن الدين كما أن للعلم قـوانينه وللطب قوانينه، فليس لعلمـاء الدين سلطة على الفن كمـا لا سلطة لهم على العلم. . . إن الدين لا علاقـة له بالرقص أو التصوير أو التـمثيل أو الموسـيقى فلا يحق لأحـد أن يقيسـها بمقيـاس الحلال والحرام حتى لو صـورت أفعالاً لا تتـفق مع تعاليم الدين، لأن هذا التصوير ليس فعلاً بل هو فن يقاس بمقاييس جمالية).

وهذا الزيف الذي لا يقره الدين، ولا يقبله عـقل سليم شائع في بلاد المسلمين، ومثله زيف كثـير مستقر في البـيوت والشوارع والأسواق، وفي كثـير من المؤسسات القـائمة في بلاد المسلمين، وهذا مـا يحاول أصـحاب المشـروع الإسلامي أن يبـينوه للناس وأن يدعوهم إلى نبذه، سالكين في ذلـك ومن أجله كل السبل، ولن ينجحوا في ذلك بالقدر المرجـوّ إلا إذا تفاعلت معهم كثـير من القوى القائمـة في المجتمع، والتي هي محبة للدين تحن إليه إن زال من أمام عيونها وعقولها مثل هذا الزيف الذي ذكرنا نموذجاً له، وتلك مهمة صعبة أمام أصحاب المشروع الإسلامي الذين عليهم أن ينفـذوا إلى كل القـوى العاملـة في المجتـمع، وأن يجـعلوا منهم عـوناً لهم وسنداً لقضيتهم التي هي قضية جميع المسلمين، وهي العودة الحميدة إلى هذا الدين، وبهذا يصبح العمل السياسي الذي هو جزء من الدين قضية مجتمع لا قضية تجمع، تطالب به كل الجماهير وليس مـجموعة من الناس، وحينئذ تكون أمـام هذا العمل السياسي الإسلامي قـضية عظمى هي قـضية التـمكين لدين الله في قلوب الناس وأوطانهم، ويقوم بالتذكير بها في كل حين دعاة على منهاج النبوة، يرشدون إلي الحق، ويدلون على الخيـر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المـنكر، ويقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة بعد إيمانهم بالله، فـيكون الإيمان بالله هو محور حيـاتهم وقطبها، وأعـمال الإسلام

البارزة هي عناصر هذه الحياة وجزئياتها.

ويسود فيه الحق والعدل، وتزول منه غاشية الزيف والزبد: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾ (١).

(١) الرعد: ١٧.

الحادي عشر: أشجان مستقرة وآمال منتظرة
على هامش مؤتمر القمة

مشكلات العالم الإسلامي القائمة الآن تثير الأشجان، وتجمع القادة المسلمين في طهران يثير الآمال، فهل تتغلب الآمال على الأشجان فتزيلها، أو تخفف وتقلل من آثارها؟

ونحن نشير إلى بعض المشكلات التي نود أن يكون لها علاج حاسم في قرارات القمة الإسلامية، لترتاح النفوس من آلامها أو تخفف من بعض أحزانها.

(١) مشكلات شتى:

أمام المسلمين مشكلات شتى، منها العاجل الذي يتطلب الحل السريع، ومنها ما لا يمكن أن يحل في سنة أو في سنوات، بل إنه يحتاج إلى عقد أو عقدين من السنين، وربما أكثر من ذلك، وتعتبر مشكلة القدس في مقدمة المشكلات العاجلة التي تتطلب من قادة الدول الإسلامية حلا عادلا يتوافق مع الرغبة الإسلامية التي يحملها ملايين المسلمين في كل أرض، يودون أن يشدوا إلى المسجد الأقصى رحالهم، وأن يستشعروا أن القدس قد دانت لهم، وأن مسار عمر بن الخطاب لاستلام مفاتيحها لم يكن عبثا، فلئن ضاعت مفاتيح القدس كلها من يد المسلمين، منذ عام ١٩٦٧م، فإن قدرتهم على استعادتها، وقوتهم التي تمكنهم من فتحها وتعبيد طرقها لتكون مذللة تحت أقدام المسلمين، أمر في طاقة القادة الذين اجتمعوا في طهران، لو وحدوا جهودهم، وأخلصوا في عملهم، يبغون ثواب ربهم، ويطلبون منه النصر والأجر، وخلفهم ملايين المسلمين يؤيدونهم، ويدعمونهم ويدعون لهم.

فهلا عمل قادة الدول الإسلامية عملا يوقف التطبيع مع اليهود أولاً، ويمنع أمريكا من استخدام «الفيتو» في مجلس الأمن كلما كان هناك قرار إدانة لإسرائيل ثانيًا، ويعلن ثالثًا أن مصالح البلاد الغربية في بلادنا ـ نحن المسلمين ـ مرهونة بتأييدها لحقنا في القدس، واستخلاص المقدسات، واسترجاع الأراضي المغتصبة، فإن

هم أيدونا في ذلك ذللنا لهم الصعاب أمام مصالحهم، وقدمنا لهم ما يريدون وإلا فكيف نؤيدهم وهم يساندون اليهود، ونفتح الباب لمصالحهم وهم يغلقون في وجهنا كل مصلحة، ونقدم لهم ما يحتاجون، وهم يبخلون علينا بالعون السياسي والتأييد المعنوي في المحافل الدولية؟ فهل تكون القدس بداية التوحد الإسلامي في وجه الطامعين والمعتدين؟ وهل تكون الوقفة المنتظرة من قادة الدول الإسلامية هي البداية الصحيحة نحو الطريق إلى الأقصى؟

(أ) مشاكل قابلة للتفجر:

ومن المشكلات العاجلة مشكلة الحدود بين البلاد الإسلامية، تلك القنبلة المتفجرة الموضوعة بين كثير من البلاد الإسلامية، لتشتعل في الوقت المحدد فتشغل البلاد عن تنمية مواردها وتستنفد طاقتها، وتستهلك ما عندها، وتفقر مواردها بغير طائل حقيقي، وفي غير نفع جدي، فإن لم يصل الأمر لدرجة القتال وصل لدرجة السباب، وتبادل التهم والتهديد المستمر، وأثار الأحقاد وأوغر الصدور، فلا تصفو القلوب ولا تتحاب النفوس، فيظل التفرق قائما، والتمزق سائدا، والتوحد غائبا، والتعاون مفقودا.

(ب) مثال قريب:

والمثل القريب لذلك ما حدث بين مصر وقطر من مناوشات كلامية، وألفاظ عدائية لم تكن بسبب خلاف على حدود أرضية، ولكنها بسبب خلاف على حدود سياسية كانت إسرائيل ومساندوها عاملا من عوامل تأججها، بإلقاء الزيت فوق لهيبها، وقد قيض الله المملكة العربية السعودية لحل هذا الخلاف السياسي، وفض هذا الاشتباك الكلامي على أحسن وجه، مما يتيح لنفوس آملي الخير، ومحبي الحق أن تحل كل الخلافات بين المسلمين على هذا النحو الطيب والنهج السليم، فتسلم القلوب في الصدور، ويتآلف الناس بآمالهم وطموحاتهم وإن توزعت أجسادهم واختلفت أوطانهم فوق رقعة العالم الإسلامي الفسيحة، فجزى الله المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين خيرا على هذه الخطوة الموفقة، التي نود أن تكون الفيصل عند الخلاف والشقاق، دون أن يصل الأمر لأبعد من ذلك.

(جـ) اعتداء الجيران:

ولم تقف الفتنة في بلاد المسلمين عند حد الاعتداء باللسان وأجهزة الإعلام، بل إن الأمر ليصل أحيانا إلى حد القتال واقتحام الأرض والاستيلاء على البلاد وتشريد العباد كما حدث سنة ١٩٩٠م على يد الطاغية، الذي ما زال يزداد طغيانا وعتوا وجبروتا (صدام)، الذي أصبحنا على يقين أن أجهزة الاستخبارات العالمية تسانده وتدعمه، وقد ترسم له الخطط التي يسير عليها، وهي لا تعدم الإخراج المتقن، الذي تبدو فيه الأحداث وكأنها من صنع (الدمية) صدام، مع أنه هو لا يتقن السياسة ولا يعرف الكياسة، وقد بدأت أجهزة المخابرات الدولية تمهد لرحيله وتهيئ الجو لبديله، حين أعلنت منذ أيام أن أي بديل لصدام سيسير على طريقه، وسيتبع سياسته!!! (أبشر بطول سلامة يا مربع)، وإذن فاستنزاف الموارد باق، والتهديد قائم، والتمكن للقوى المهيمنة في الخليج مستمر، والتنافس على شراء الأسلحة على أشده، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية متوقفة أو متباطئة، ما دام خليفة صدام سيكون له في الشر مثيلا، وفي الإجرام زميلا.

ألا يعزز ذلك مطلبنا بإيجاد قوة إسلامية، يعمل قادة الدول الإسلامية على إنشائها مع مراعاة الظروف الدولية؛ لتكون هذه القوة سيفا مشهرا أمام البغاة تقف في وجههم، وتصد إفكهم، وتمنع شرهم وعدوانهم: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[1]، ومثل هذه القوة ـ إن وجدت ـ يمكن أن تكون عنصر أمان لكثير من البلاد الاسلامية، إن تحقق فيها ما يتطلبه الإسلام، من حرص على الحق والعدل وبغض للظلم والجور.

وإذا كان إيجاد هذه القوة متعذرا لبعض الأسباب فلا أقل من إيجاد «لجنة» مؤلفة من بعض السياسيين تقوم بحل المشكلات المعلقة بين الدول الإسلامية مثل مشاكل الحدود وغيرها من المشكلات.

(٢) الأقليات والجاليات الإسلامية:

(١) الحجرات: ٩.

إن المجاميع الإسلامية في بلاد غير المسلمين تحتاج إلى الدعم المعنوي، الذي به يزداد ثقلها ويبرز حجمها وتخف أعباؤها، ولن يتحقق لهذه المجاميع شيء من ذلك إلا إذا أحست بأنها تستند إلى مركز إسلامي قوي، قد يقف إلى جانبها إن احتاجت، ويقوي عزيمتها إن ضعفت، ويمنع عنها بعض ما قد يوجه إليها من أذى قد يصدر في صورة قانون جائر، وقد يظهر في صورة تعصب أعمى يكره الإسلام وأهله، أو في صورة حسد لنجاح اقتصادي أو فكري عند بعض المسلمين، فيسبب لهم خسائر جمة.

ووجود قوة إسلامية مؤثرة تساند هؤلاء المسلمين يدفع شرورا كثيرة، ويمنع عنهم آلاما غير قليلة، ولا نقول: إن هذه القوة الإسلامية ستتدخل في شؤون البلاد الأخرى، كبرى كانت أم صغرى، بل نقول: إن وجود هذه القوة وحده كفيل بتحقيق الأمن للمسلمين في عديد من البلاد، وكفيل باحترام حقوقهم، وإبعاد القوانين الجائرة عنهم قبل صدورها، وعدم الإساءة إليهم في مظهرهم أو سلوكهم وأعمالهم.

وتضامن الدول الإسلامية وإقرار ميثاق للتعامل مع غير المسلمين على أساس معاملة دولهم للمسلمين في بلاد الغرب والشرق يؤدي إلى تحقيق هذا الغرض، ويخدم المسلمين هناك كثيرا، ويؤدي إلى أن تتغير نظرة الناس للإسلام والمسلمين.

(٣) التنمية:

لا يمكن لأي دولة ـ في الوقت الراهن ـ إغفال الجانب الاقتصادي، الذي أصبحت تتحكم فيه ـ اليوم ـ عوامل كثيرة، من أهمها استخدام التقنيات الحديثة في مجالات الإنتاج المختلفة، وقيام تكتلات اقتصادية تتعاون فيما بينها وتنافس غيرها، وسن اتفاقات تجارية يتم على أساسها التعامل بين الدول.

والمسلمون لهم في العالم مكانهم ولهم تأثيرهم، وأرضهم غنية ـ بحمد الله ـ بالموارد الكثيرة العديدة، وعندهم من العقول المفكرة ما يستطيعون به أن يتفوقوا على غيرهم، وهم مستطيعون ـ إن أرادوا وعملوا ـ أن يحققوا فيما بينهم اكتفاء ذاتيا يسد حاجاتهم، ويغنيهم عن غيرهم، بل قد يجعل الآخرين هم المحتاجون إلى ما عندنا من مواد لا غنى لهم عنها، ولا تقوم حياتهم هناك بغيرها، فلماذا يسبقنا الآخرون

في ميدان نحن نملك أدواته وآلياته؟!

إن الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجـدها فهو أحق الناس بها، وهل التقنيـة الحديثة في مجال الإنتاج الزراعي والصناعي سـر من الأسرار؟ كلا، إن من يحاول أن يصل إليها قـد وصل، ودول جنوب شرقي آسيا نموذج جـيد للعمل على امـتلاك الوسائل العصرية في الإنتاج والتـسويق، والاكتفاء بمواردها، والاستغناء بهـا عن غيرها بقدر الإمكان، فهل بقية دول العالم الإسلامي أقل شأنا من دول جنوب شرق آسيا؟

إن الاستغناء عن الآخرين هو الخطوة الأولى في بناء صرح إسـلامي قوي يعتمد على قـدرته الذاتية، وإمكاناته المادية في إطـار تضامن إسـلامي يضمن فـيه الجمـيع حقوقا مكفولة على أساس من العدل والحق.

(٤) من الجلسات الدبلوماسية:

للمؤتمرات التـي يعقدها القـادة والزعماء ـ على المدى الـبعيـد ـ أبعاد في رسم الاسـتراتيـجيـة التي بها تحـقق الأمة أهدافـها، بـصرف النظر عن «التكتـيك» الذي تستـخدمه للوصول إلى هذه الأهداف، فـقد تتغـير الوسائل، وتتعـدد المراحل نحو تحقيق هذه الاستراتيجية بحيث تكون لكل مرحلة خصائصها المميزة، مع ثبات الهدف وعدم تغيره، أو التوقف عن السير نحو الوصول إليه.

والمؤتمرات الصهيونية التي عقدها زعمـاء اليهود منذ مؤتمر «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م وما تبـعه من مؤتمرات أخرى، وضـعت أمام الصهايـنة الهدف الأكبر لهم وهو قـيام دولة صهيونية على أرض فلسطين، وتقلبت الموازين الدولية أمـامهم وتغيرت وسائلهم للوصول إلى هذا الهدف الثابت الذي لم يتـغير ولم يتبدل، وكان أبرز الوسائل لتـحقيق هدفهم هو إصدار وعد بلفور الذي به تضمن انجلترا ـ كانت القوة الأولى في العالم آنذاك ـ قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وانتـهت الحرب العالمية الثانية ببروز الولايات المتـحدة الأمريكية كقوة أولى في العالم فغير اليهود تكتيكهم، دون أن تتغير استراتيجيتهم حتى حققوا هدفهم رغم تعدد المراحل وتنوع الوسائل.

والمؤتمرات الإسلامية لا تخـطط لعام ولا لأعوام بل إنها تضع استراتيـجية ثابتة

لهذه الأمـة تقوم ـ كما قـال سمو أميـر البلاد ـ على احترام المواثيق ونبـذ العدوان، وتحقيـق قدر لابد منه من التنسيق بين مواقف الدول الإسـلامية، لا تضارب فـيه مع تحديد الخطوات والمراحل لتحقيق هذه الأهداف.

إن الاستـراتيجيـة القائمة على هذه الأسـس كفيلة بإنهـاض الأمة من كبـوتها، وتحقيق اعتزازها بنفسها، وانتزاع مقدساتها من أعدائها، وتحقيق قدر كاف للأمان بين دولها.

وهذه الأهداف لا ينتظر أن تتحـقق بين عشية وضحاهـا، وإنما هي تتحقق على المدى البعـيد، ولا بأس بذلك ـ إن ظللنا متـمسكين بهذه الأهداف، تتـغير وسـائلها والأهداف لا تتغيـر، وتتعدد مراحل الوصـول إليها دون أن نتوقف، وحـينئذ تكون المؤتمرات قد أثمرت ثمرتها وآتت أكلها.

هذه بعض شـجون أسجلهـا قبل أن تنهي القـمة الإسـلامية أعـمالهـا وتصدر قراراتها، وأملي أن تأتي قرارات القمة الإسلامية مزيلة للشجون، باعثة للآمال.

الثاني عشر: أهمية المؤسسات الشرعية في العمل السياسي

المؤسسات الشرعية القائمة الآن في المجتمعات الإسلامية لا تؤدي دورها الكامل على النحو المطلوب؛ إذ يتطرق القصور لبعض أدائها لأسباب عديدة، يمكن السيطرة على بعضها وعلاجها من قِبل المؤسسة، وقد لا يمكن السيطرة على بعضها الآخر لأنها خارج نطاق المؤسسة، إذ تتعلق بغيرها من المؤسسات ويتوقف تنفيذها على عديد من الجهات.

ولا لوم ولا تثريب على المؤسسة الشرعية فيما يتعلق بالمعوقات التي تقع خارج سيطرتها، وإنما التثريب واللوم في المعوقات التي تنبع من داخلها؛ إذ ينبغي أن تسارع إلى إزالتها ليظهر دورها وعملها أمام الناس، فلا يوجهون إليها سهام الاتهام، ولا يسلقونها بألسنة حداد.

ومن أهم الأعمال التي ينبغي أن تقوم بها هذه المؤسسات التأصيل الشرعي لما يحتاج إليه المجتمع المسلم في شئون حياته ودنياه، ونشر هذا التأصيل بين الناس، بحيث لا يخفى على كل ذي لب ورأي وجهة النظر الشرعية البعيدة عن الخلاف، المستندة إلى النصوص المأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله، غير المتأثرة بهوى فرد من الأفراد أو فئة من الفئات، أو طائفة من الطوائف، وفي ضوئها، تتم مراقبة الأحداث الجارية المتصلة بالنواحي الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها مما يمس المجتمع، ويؤثر في حركة الناس فيه، فالانعزال عن أي حدث داخل المجتمع المسلم والامتناع عن إبداء الرأي الشرعي حوله ينتج عنه أوخم العواقب على المدى القصير أو الطويل، ولا نود في حديثنا هذا أن نطنب ونطيل في أثر غياب الرؤية الشرعية على الأحداث المستجدة بين الناس؛ لأن الناس يلمسون هذه الآثار ويعرفونها، ويكفينا أن نؤكد أن غياب الرؤية الشرعية عن عامة الناس يضر بالمؤسسات الشرعية القائمة، والعاملة، بل يضر الأمة كلها، وقد يحدث فيها جروحاً وندوباً يطول علاجها ويصعب برؤها، وهذا يجعل جهد القائمين علي أي مؤسسة شرعية يتضاعف مرات ومرات، منذ وضع أول لبنة في بنائها إلى أن تقف على قدميها، وتعمل على تحقيق أهدافها وأداء رسالتها، وتلك سنة الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم وبناء مجتمعاتهم لم يدخروا وسعاً، ولم يألو جهداً في سبيل أن ينشروا دين الله في الأرض، ومن بعد الأنبياء، وعلى منهجهم سار المصلحون،

يحاولون ـ بقدر استطاعتهم ـ أن يقدموا ما في استطاعتهم من جهد؛ ليحولوا بين الناس وبين الشَّر، وليفتحوا منافذ للخير والهدى والرشاد.

والمصلحون في عصرنا يسيرون كذلك على نهج السابقين، وقد يواجهون عوائق أكثر، ويبذلون جهداً أكبر ممن سبقهم نظراً لظروف العصر وتطور آلياته وكثرة مستجداته، التي لا تتيح لأحد من العاملين، الذين يحملون هموم الأمة أن يلتقط أنفاسه، أو يتباطأ في حركته الدعوية وقد يكون جهد بعض الأفراد عظيماً، ولكن هذا الجهد لا تبلوره المؤسسة الشرعية التي ينتمي إليها هذا الداعية أو غيره، فتضيع جهود الأفراد نظراً لضعف المؤسسات وعدم نهضتها بتبعاتها كاملة.

والمواقف المختلفة للدعاة والعاملين تجاه عديد من قضايا الأمة الإسلامية وفي مقدمتها أزمة الخليج وقضية فلسطين والقدس، والحرب الأفغانية، وكثير من البؤر المتأزمة فوق خريطة الأمة الإسلامية، كل ذلك يكشف عن ضعف المؤسسات الشرعية، والحاجة إلى تجديد دورها في الأمة، بحيث يصبح لقراراتها التي تتخذها قوة في النفوس وأثرٌ في القلوب، واحترام بين عامة الناس.

وهذا يستوجب منا تفعيل دور المؤسسات الشرعية وتقريب وجهات النظر بينها وإعلاء شأنها وشأن العاملين فيها على السواء، ويدفع بهذه المؤسسات إلى أن تقوم بدور أكبر تظهر فيه إمكاناتها في العمل الدعوي والسياسي على مستوى أشمل وأعمّ، ويعطيها القدرة على تخطي العقبات التي تعترض طريقها، وتمنعها من إبراز دورها في خدمة الإسلام والمسلمين.

(١) فاعلية الأداء الإسلامي في العمل السياسي:

(أ) دروس وعبر من واقع الحركات الإسلامية في العمل بالمجالس النيابية:

مرّ العالم الإسلامي بمرحلة شديدة الضعف بعد إلغاء الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م وبعد أن تمكن منه الاستعمار وشدد سيطرته عليه، مما جعل دعاة الإسلام يعملون جاهدين ليجددوا لهذه الأمة أمر دينها، فيعود لها عزها ومجدها، فقام حسن

البنا في مصر، ومصطفى صبري في تركيا، وأبو الأعلى المودودي في شبه القارة الهندية بواجب الدعوة إلى الله، وأخذوا يدعون الناس للعودة إلى ينابيع الدين الإسلامي الصافية.

وامتدت دعوتهم في كل مكان في العالم الإسلامي ووجدت صداها في كثير من البلاد، وجعلت أصحابها يدخلون أماكن كثيرة منها المجالس النيابية التي أخذنا من تجربة الإسلاميين فيها درسين حدثناك ـ أخي القارئ ـ عن أولهما في المقالة التي كان عنوانها: «نحو تأصيل العمل السياسى فى الإسلام»، واليوم نتحدث عن ثانيهما وهو: فاعلية الأداء الإسلامي.

وعن فاعلية الأداء الإسلامي في تميزه ومبدئيته ومصداقيته، يقول الدكتور فتحي يكن: «المهم أن يكون النائب منسجماً مع المبادئ التي يحملها، والنظريات التي يعتنقها محققاً الهدف من «نيابته ووكالته»، ولذلك أكد على ضرورة الاختيار من قبل الجماعات للعناصر التي تقوم بتمثيلها في المجالس النيابية، وذكر أموراً نلخصها فيما يلي:

١ـ أن يدرك المرشح أن العمل السياسي النيابي «لا يجوز أن يمارس خارج الأطر الشرعية والمبادئ الإسلامية».

٢ـ أن يعتبر النائب الإسلامي أن النيابة وظيفة تكليفية وليست تشريفية، وأن الوجيه من ﴿**وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾[١] باتباع أمره، والتزام شرعه.

٣ـ أنه في حمأة اللعبة السياسية على النائب الإسلامي ألاَّ ينسى أنه داعية قبل أن يكون سياسياً ونائباً.

٤ـ أن يتحاشى كل السقطات، فواقع المتربصين بالعمل السياسي الإسلامي، تعبر عنه القاعدة الجاهلية: «إنهم إذا سمعوا خيراً كتموه، وإذا سمعوا شراً أشاعوه وأذاعوه، وإذا لم يجدوا شيئا كذبوا».

٥ـ أن تتوفر فيه صفتا من يتولى شئون الناس ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ**

(١) الأحزاب: ٦٩.

الأَمِينُ﴾[١]»[٢].

وفي العموم فإن الناس يندهشون من حسن إعداد نائب الإخوان للموضوع الذي يتحدث فيه، والاقتراحات العملية البناءة التي يقدمها، حتى وصل الأمر بأن يتقدم الدكتور/ أحمد فتحي سرور وزير التعليم وقتها ورئيس البرلمان الحالي بالشكر إلى النائب الإخواني: مختار نوح على حسن عرضه لاستجوابه المدعم بالوثائق والمستندات، ويتعهد أمام المجلس بالاستفادة من كل الملاحظات والآراء التي طرحها السيد المستجوب، ولم يسمع المجلس إلا التصفيق بحرارة للطرفين.

ويقول سيف الإسلام العضو البارز في الهيئة البرلمانية لـ «الإخوان المسلمون» من سنة ١٩٨٧ ـ ١٩٩٠م: قامت سياستنا على امتداح المواقف الجيدة للحكومة ونقد ما نراه خاطئاً، ويقول: عن أثر هذا المنهج: وقد أكسبنا ذلك احترام الكثيرين إلى الدرجة التي قال فيها الأستاذ إيهاب مقلد وكيل مجلس الشعب: إنه لأول مرة نرى هذه الموضوعية الوطنية الجادة، الحريصة على مصلحة الوطن أولاً وأخيراً.

ويقول الشيخ سيف الإسلام: كنا دعاة إلى الإسلام قبل أن نكون نواباً معارضين وبالتالي كان تأثيرنا الفكري والمعنوي يفوق عددنا بشكل كبير.

ونفس المعاني ذكرها الأستاذ محمد مهدي عاكف عضو حركة الإخوان[٣]، وفى هذا الإطار يقول الأستاذ عبدالرزاق شمس الدين عن أسلوب العمل في المجلس النيابي الكويتي من قبل الكتلة النيابية الإسلامية: «إن أسلوب الممارسة يتراوح ما بين المعارضة المتزنة وما بين المعالجات الموضوعية، والتي لا تخلو من أسلوب المعارضة الحادة في بعض القضايا، التي تتطلب معالجتها هذا النوع من القوة، وللأسف الشديد هناك من يدفع بالنواب الإسلاميين إلى عدم الانضباط في العمل السياسي باعتبار أن هذا هو طريق الاحتراف، وبهذا يقول رئيس تحرير صحيفة السبيل الأردنية الأستاذ حلمي الأسمر: إنه رغم الأداء الجيد لنواب الحركة الإسلامية فإنه قد شاب

(١) القصص: ٢٦. (١) من كتاب: أضواء على التجربة اللبنانية في لبنان، للشيخ فتحي يكن ص ٣١ ـ ٣٨.

(٣) انظر: تحقيق المجتمع عدد ١١٧٦ وما يليه .

هذه الصورة الجيدة بعض الشوائب، حيث أظهرت التجربة قصر باع الإسلاميين في الحقل السياسي، فقد تعاملوا معه بكل ما يحملونه من شفافية وصدق وبراءة، مع أن هذا الوسط يخلو إلى حد كبير من الأخلاق، وقد كلفت هذه المفارقة الإسلاميين الكثير، إلا أن التجربة جديرة برفع مستوى الأداء السياسي الإسلامي، بشكل يوائم بين أخلاقيات السياسة والأخلاقيات الإسلامية.

وهذا الطرح[١] بدأ يزحف حتى إلى منطوقات السياسيين المنتمين للحركة الإسلامية، وذلك في دفع محموم يريد من الإسلاميين أن يتخلصوا من أخلاقياتهم وقيمهم، من أجل أن يطلق عليهم أنهم محترفون في العمل السياسي، وكأن السياسة ليس لها إلا وجه واحد، وهو الذي خرج من عباءة النظم العلمانية.

وهذا منهج مرفوض تماماً من الناحية الإسلامية التي يقوم فيها كل عمل ـ بما في ذلك العمل السياسي ـ على النظافة والطهارة والصدق وسلامة الغاية والوسيلة على السواء، من كل الآفات التي تناقص تعاليم الإسلام وقيمه.

(ب) الإسلاميّون والآمال المنتظرة:

بعدما يقرب من شهرين هدأت الأصوات، وخفتت الأضواء المتلألئة في سماء الكويت بمناسبة عرسها الديمقراطي، الذي شهد به القاصي والداني، وأخذ كلٌّ مكانه كعضو بارز في الحكومة، يشارك في السلطة التنفيذية، أو عضو بارز في مجلس الأمة يشارك في السلطة التشريعية، أو مواطن يرتقب ما تتمخض عنه أعمال السلطتين مما يعود عليه وعلى أبناء الوطن بالخير والنفع، وإذا كان كل عضو في أي سلطة يدرك أن العيون ناظرة إليه، وأن أعماله وآراءه يحللها المواطنون ويباركونها أو ينقدونها، فإن الإسلاميين في الحكومة أو في المجلس هم أول من يطبق عليهم هذا الأمر.

ولا أعني بالإسلاميين أولئك الذين ينتمون إلى جمعية معينة أو إلى اتجاه معين يجعل الإسلام له شعاراً، لا أعني بالإسلاميين هؤلاء، ولكني أعني بهم أولئك

(١) وهو إلزامية ممارسة اللعبة السياسية من الإسلاميين بنفس أدوات الآخرين .

الذين يحبون للمــشروع الإسلامي أن يظهر للعــيان، وأن يبرز مكانه بين الأنام، وأن يأخذ طريقه إلى كل ميدان ومجال بصرف النظر عن انتماءاتهم.

الإسلامــيّون هؤلاء عليهــم أمانة نحو الله أولاً، ثم نحــو الوطن ثانياً، إنهــا أمانة إعلاء دين الله بجــعل تشريعه فوق كل تشــريع، والعمل على (أسلمة) القــوانين كلها، وطبع الحياة بطابع إسلامي، بحيث لا يزاحــم قوانين الإسلام في الكويت المسلمة قانون روماني أو فــرنسي أو غربي أو شــرقي، ولا تزاحمُ تقاليــدنا وعاداتنا المســتندة إلى ديننا بتقاليد مستجلبة، وعادات مستغربة، تتناقض مع الدين والقيم الأصيلة والمبادئ السليمة.

الإسلاميون هؤلاء عليهم ألا يفرطوا فيمــا يعرض عليهم من تشريعات، أو فيما يفعلونه من سلوكيات تتعدى أشخاصهم إلى غيرهم، وربما بلغ أثرها أبناءهم أو أبناء أبنائهم، إن حاجات أبنائنا إلى التربية الرشيدة ومسالك الحياة السديدة، وإيجاد فرص للعمــل عديدة، وبناء جيل جــاد يحمل أعــباء الوطن وينهض به، ويحــقق له الأمن والأمان في كل المجالات.

إن هذه الحاجات ينبغي أن يعنى بها كــل مواطن، وأن تأخذ حق العناية الأكبر من كل عضو في السلطة التنفيذية أو في السلطة التشريعية، وفي مقدمتهم الإسلاميون الذين يحملون على كواهلهم أعباء المشروع الإسلامي، ليجعلوه سلوكاً عمليًّا بين المواطنين لا فكراً نظرياً، ولا معنى غيــبيًّا، ويحومون حوله ثم لا يكون لهم فــيه نصيب، وإن أملنا كبير في أن يتحقق ما قلناه على يد الإسلاميين حتى إذا ما حلّ موعد العرس الديمقراطي القادم كانت الكويت تنعم بحياة يظلها الإسلام في كل جانب.

(٢) الجرأة في اتخاذ القرار:

إن ما يشغل الصفحات الأولى والأحاديث الســياسية عند الكبار اليوم هو الواقع التركي وهويته الإسلامية، والذي دخل دائرة الأهمية منذ الانتخابات البرلمانية والتشكيل الأول للوزارة ثم التشكيل الثاني، وإلى هنا فالأمر داخلي، إلى أن بدأ رئيس مجلس الوزراء «نجم الدين أربكان» في التــحرك الخــارجي ـ و«نجم الدين» له من اسمــه حظ

كبير، فهـو نجم متألق في العمل الإسلامي السياسي، وصـاحب مشروع إسلامي في إرجاع العـزة والمكانة لتركيا، فـهو في الحقـيقة نجم إسلامي، وهكذا رجـالات الأمة الكبار لهم من أسمائهم في حياتهم نصيب.

ونرجع إلى تحرك نجم الدين الخارجي لنقف عند التحرك ونلقي نظرة على تاريخ المنطقة، وهل يعتبر تحرك أربكان جديداً أم أن الماضي مكرر يختلف فيه الزمن والأشخاص والأدوات المستخدمة؟ يقول الأستاذ/ سمير عطا الله: «خلال الحرب اللبنانية كنت أضع على طاولتي بصورة مستمرة كتاب «تاريخ لبنان» للدكتور فيليب حتى، وكلما وقع أمر رئيسي، أفتح فصلا في الكتاب فأرى أن شيئين فقط تغيرا، الاسم، والزمان نعم كما قـيل: اقرأوا التاريخ ففـيه العبر، ولكن قليـل من يعتبر!!»، وتحرك الـسيد نجم الدين اليوم على محـور العالم الإسلامي، وكذلك محـور المنطقة التي حوله (إيران، العراق، سوريا، الأكـراد)، كلا المحورين قد يؤديان في نهـاية المطاف إلى صورة مما سبق «حول الجـامعة الإسلاميـة» التي نادى بها المفكر «جمال الديـن الأفغاني» والتي أجهضت في أول أمرها، ولعل مـن أسباب إخفاقها التي يجب الانتـباه إليها في أي تحرك مماثل هي:

أ ـ أن جمال الدين لم يحسن بيان مراده في «الجامعة الإسلامية» وأنها صيغة من صيغ الاتحاد اليوم والتي هي أشبه بما يسـمى «بالفدرالية» أو «الكونفدرالية»، فالبلدان الإسلاميـة ظنّتها صورة الخلافـة العثمانية التي تـعرفها، والـتي مركـزها في الأستانة وأذرعها في العـالم الإسلامي وتسيطر كسيطرة الرئـيس على أفراده؛ ولذلك رُفضت من الكثير من البلدان الإسلاميـة العربية، وواكب ذلك المكر الإنجليزي والفرنسي في تلك الفترة التي يقول عنها جمال الدين الأفغاني: «إن الإنجليز ملكوا ثلث العالم بلا سفك دماء ولا حرق أموال، وإنما ملكوه بالحيلة».

ب ـ أن السلطان عبـد الحميد كان يعـتمد في الجانب الديني علـى ابن الصيادي الذي جاء من الشـام في لباس الصـوفية وادعى الرفـاعية، وكـان عامـلا في تشويه

الصورة الإسلامية للسلطان عبد الحميد باعتباره شيخ الإسلام عنده، وقد قال محمد رشيد رضا عن ابن الصيادي بأنه أساس الفساد في الدولة العثمانية.

جـ ـ أن السلطان عبد الحميد مع جمال الدين الأفغاني لم يسعيا لنشر الفكرة وإقناع الناس بها قبل طرحها، والكثير من مشاريعنا العربية والإسلامية والمحلية تفشل لأنه لم يسبقها عملية إقناع لمن لهم علاقة بالمشروع!! ونجم الدين مدعوّ اليوم وهو يتحرك من أجل إحياء روح التعاون والتنسيق بين أبناء الأمة الإسلامية أن يتحرك بكامل الحذر، وأن يكون دقيقا في حساباته كلها حتى لا يجهض المشروع الإسلامي الذي يتحرك فيه، وخصوصا أن فكرة اللقاء الرباعي (بين إيران وتركيا والعراق وسوريا بشأن الأكراد) بدأت تنتهي ونجم الدين لم يرجع لبلده بعد، فإيران تحفظت، ووزيرة الخارجية التركية وشريك التحالف الحكومي «تشيلر» صرحت بأنه «من غير الوارد عقد قمة رباعية حول شمال العراق، إن هذه المسألة ليست في برنامج تركيا». كما أن تركيا لا زال يحكمها جيش علماني قوي تعوّد العالم على إجهازه كل عشر سنوات على كل الحكومات التي لا تلتزم بخطته، إن تركيا لا زالت الحليف الإسلامي الأقوى مع أمريكا، وهذا واضح في كلام وزير الخارجية الأمريكي «وارن كريستوفر» عندما قال في مؤتمر صحفي في بروكسل: «إننا قلقون جداً لدور إيران في الإرهاب ولمعارضتها لعملية السلام في الشرق الأوسط، إننا نريد أن نبلغ ذلك الى أصدقائنا وحلفائنا، وإلى حليفنا التركي».

كل هذه الأمور تجعل القرار بالنسبة للحركة الإسلامية في تركيا بزعامة «نجم الدين أربكان» في غاية الدقة والحرج، ولكن لابد أن يتخذ القرار، فالقائد الذي يحسن اتخاذ القرار في الوقت المناسب هو الذي يستطيع أن يصنع الأحداث، والتأخر عن اتخاذ القرار سيجعل القائد متابعاً للأحداث ولاهثاً خلفها.

والله أسأل أن يجعلنا ممن يوفق في قراراته فيما يحب الله ويرضى.

الثالث عشر: من ضوابط العمل السياسي الإسلامي

أولاً: شرف الغاية والوسيلة مع العدل والإنصاف:

إن العمل السياسي في ظل الإسلام محكوم بالضوابط الأخلاقية المستمدة من روح الشريعة الإسلامية، فالغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، بل إن الوسيلة والغاية كلتيهما لا قيمة لهما إذا انحرفتا أو انحرفت إحداهما عن ميزان الشريعة، والعمل السياسي الواقعي الآن في كثير من بلدان العالم، يعتبر الوسيلة أداة موصلة إلى الغاية يستوي في ذلك شرف الوسيلة أو عدم شرفها ما دامت الغاية قد تحققت.

وكثير من غايات الدول تتحقق في عالم السياسة بوسائل قد تكون شريفة حينا وغير شريفة كذلك في معظم الأحيان، وتاريخ الاستعمار الذي كان يغطي كثيراً من سطح الكرة الأرضية حافل بالمثالب التي ديست فيها الوسيلة ومرغت في الأوحال من أجل الوصول إلى الغاية، وفي سبيل هذه الغاية تقتل نفوس، وتزهق أرواح وتنهب أموال، وتنتهك أعراض، وتضيع كرامات، إلى غير ذلك مما لا صلة له بدين ولا خلق، والعمل السياسي الإسلامي بينه وبين هذه الوسائل الخسيسة حواجز وسدود مهما بلغ الاحتياج إلى تحقيق الغاية، ففي فتوح الشام اضطر المسلمون للتراجع عن بلدة كانوا قد فتحوها وأخذوا من أهلها الجزية مقابل الحماية لهم، فلما تراجع المسلمون عن البلدة ردوا لأهلها أموالهم، وقالوا: إنما أخذناها منكم مقابل حمايتكم، وقد اضطررنا للتراجع فنحن نرجع لكم أموالكم، وكان هذا سببا في إسلام أهل هذه البلدة بعد ذلك، وحين فتح الجيش الإسلامي مدينة (سمرقند) بعث أهلها إلى الخليفة يقولون: إن جيش المسلمين لم يلتزم بالقواعد الإسلامية حين استولى على المدينة وهي تخيير أهلها بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، وإنَّما دخل المدينة محاربا من أول الأمر، فما كان من الخليفة إلا أن أصدر أمره إلى الجيش بالانسحاب من المدينة والخروج منها، وكان تنفيذ أمر الخليفة سببا في دخول أهل هذه المدينة الإسلام، الذين بهرهم التزام العدل، والتمسك بالوسيلة المشروعة في سبيل تحقيق الغاية المشروعة كذلك، التي تنأى عن الهوى والرغبة، وتلتزم العدل والقسطاس، ولذا كان العدل والإنصاف من أول الضوابط التي لابد منها للعمل السياسي الإسلامي.

يقول الإمام ابن تيمية: «الأمة العادلة تبقى وإن كانت كافرة، والأمة الظالمة تفنى وإن كانت مسلمة».

فالعدل هو ميزان بقاء الأمة وتماسكها إن وجد فيها، وهو سبب انهيار الأمة وهلاكها إن غاب عنها، ولذا أمر الله به في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(١) وجاء الأمر به في آية المائدة مع النهي عن الجور الذي قد تدفع إليه ضغينة من الضغائن قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾(٢).

ويوم يسود العدل تتلاشى كثير من المشاكل التي تواجه الأمم، وتذوب العصبيات العرقية والمذهبية، وتختفي امتيازات بعض الناس على بعض بدون سبب عملي واقع، ويقبل الناس الأحكام بالرضا والامتثال، وإن كانت لغير صالحهم اليوم فستكون لصالحهم غدا، حين يحاول شخص ما أو جماعة ما، أو طائفة ما الاعتداء عليهم فيجدون في رحاب العدل من يكف شر المعتدين، ويزيل الظلم عن المظلومين، وينتصف للضعفاء المستذلين من الأقوياء المستكبرين، فتبقى الأمة، ويقوى بناؤها المبني على أسس متينة من الحق والخير، أو بالعبارة الإسلامية المبني على أسس متينة من التقوى، قال عامر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: عظني، قال: أوصيك بتقوى الله، ودعوتين ترجو إحداهما وتخاف الأخرى، دعوة لهفان تعينه بالشيء فيدعو لك، ودعوة مظلوم، وهي أوشك صعودا إلى الله وأسرع كرة، وهذا الذي قال عمر قد بين به أساس العدل في الأمة وهو تقوى الله، وبين جانبي العدل المتمثلين في معونة المحتاجين ورفع الظلم عن المظلومين بكف يد الظالمين.

وهذا بعينه هو ما فعله ذو القرنين الذي مكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببا حين كف الظالمين فقال ما حكاه القرآن الكريم عنه: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾(٣) وأحسن إلى المحسنين فقال ما حكاه أيضا القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾(٤)

وندرك نحن من قصته التي ذكرها الله في سورة الكهف أن من لوازم العدل نصرة

---

(١) النساء: ٥٨.
(٢) المائدة: ٨.
(٣) الكهف: ٨٧.
(٤) الكهف: ٨٨.

المستضعفين حتى يأمنوا بطش أعدائهم، فحين وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قولا ولا يحسنون عملا قالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾(١) فصنع معهم وبهم سدا ما استطاع الأعداء أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا، حينئذ رد الأمر كله لله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾(٢).

وللقصة ظلال عديدة وحواش وفيرة كلها تمت إلى العدل بسبب، ولكننا نعرض عن تفصيلاتها لنذكر أن دعائم العدل ثابتة البنيان، راسخة الأركان، ولذا تبقى الأمة العادلة، وتزول الأمة الظالمة وقد فهم المسلمون الأولون هذه الحقائق فقاموا بالعدل خير قيام، وحرصوا على تنفيذ أمر الله به، دون نظر إلى من يطبق عليه، وقصة القبطي المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص والي مصر قصة مشهورة معروفة، حيث اشتكى هذا القبطي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذي جاء بعمرو وابنه، وأمر القبطي أن يضرب ابن عمرو بن العاص فضربه ثم أمره أن يضرب عمرو بن العاص، معللا بقوله: لأن ابنه ضربك بجاهه، لولا أن القبطي اكتفى، وقال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني، وقد سجل التاريخ مقولة ابن الخطاب في ذلك: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟».

ثانياً: الحــريــة:

تشكل مقولة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟) جوهر الحرية حيث يولد الناس جميعهم أحرارا، فهم على الحرية يشبون، وفي جوها يترعرعون، ولا تزال تظلل حياتهم حتى يفارقوا الأرض ومن عليها.

وبطبيعة الحال فليست هناك حرية مطلقة بغير ضوابط وإلا كانت هي الفوضى بعينها وانحط أصحابها إلى درك البهيمية التي لا هم لها غير ملء البطون، وقضاء الشهوات.

وما من دولة من الدول أو فئة من الناس تحتكم إلى قوانين أو عادات أو أعراف إلا وهناك ضوابط ملزمة للفرد وللجماعة حتى لا تتعارض الحريات فتتصادم، **فتكون الفتن والفوضى والفساد ومن هذه الضوابط**:

أ ــ مراعاة أصول الإسلام:

تختلف الدول والأفراد في فهمهم ووضعهم لضوابط الحرية بحسب معتقداتهم، وما به يدينون، والحرية عندنا نحن المسلمين ضابطها العام ألا تخرج عن العقيدة الثابتة،

---

(١) الكهف: ٩٤.
(٢) الكهف: ٩٨.

ولا عن الشريعة المقررة التي يدين بها جماهير المسلمين وتأخذ في قلوبهم المكان الأسمى فليس من الحرية في شيء مهاجمة الإسلام وأصوله الثابتة؛ بل إن هذا خروج من كل الضوابط التي تصون الحرية الى الفوضى.

والدول على اختلاف أديانها ومعتقداتها لها ثوابت يقف أفرادها عند حد معين لا يتجاوزونه؛ لأن الدستور والقانون يأبيان ذلك، فمن تجاوز هذا الحد حوكم وعوقب، وأدانه الناس، فلماذا يغص الناس حين نقول نحن المسلمين: إن حدود الحرية ينبغي أن تقف عند أصول الدين الثابتة، ومعتقداته الراسخة، ونظمه المقررة التي تلقاها الناس بالقبول عقودا بل قرونا وقرونا، وأجيالاً وراء أجيال، وإن أي تخرص في القول يمتهن هذه المقدسات ينبغي أن يوقفه حاكم المسلمين، وأن يحول قائله إلى القضاء ليرى فيه رأيه .

ب ـ حرية الشهوات مرفوضة:

إن حرية غير المسلمين في بعض جوانبها لا تلائم المسلمين، فالانطلاق الشهواني، الذي انفلت عقاله في كل مكان خارج بلاد المسلمين بحجة الحرية الشخصية غير مقبول في بلاد المسلمين التي تدين بقول الله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[١]، وقبل أن يصل الناس إلى الاعتداء على الأعراض وضع الإسلام حواجز تصون وتمنع: منها غض البصر ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[٢] ومنع الإسلام إبداء الزينة من المرأة إلا أمام الزوج والمحارم: ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾، ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ . .**﴾[٣]، ومنع الدلال والتكسر في الكلام: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾[٤] إلى آخر السدود والحواجز التي وضعها الإسلام ليحافظ على الأعراض، وكلها لا أثر لها ولا وجود في غير بلاد المسلمين، فانطلقوا في الشهوات بصورة تجاوزت الحيوانات بحجة الحرية، وما هي بحرية، وإنما هي الفوضى التي لا تراعي نسبا ولا صهرا، ولا رحما ولا قرابة.

إن الحرية في الإسلام حرية ملتزمة بما أرسته الشريعة، فليس من الحرية الاعتداء على أموال الناس، وليس من الحرية الاعتداء على أعراضهم، وليس من الحرية الإرجاف بالشائعات، وقذف المحصنات، وليس من الحرية الإضرار بالناس بأي لون

---

(١) المؤمنون: ٥ ـ ٧. (٢، ٣) النور: ٣١. (٤) الأحزاب: ٣٢.

من ألوان الإضرار بناء على القاعدة المتبعة: (لا ضرر ولا ضرار).

إن الحرية في الإسلام حرية البناء لا الهدم، حرية النظام لا الفوضى، حرية الإصلاح لا الفساد والإضرار، حرية ملتزمة بالضوابط الشرعية الخلقية لا تنفك عنها، فمن خرج عن ذلك قلنا له توقف إنك تخطيت حاجز النظام فعد إليه مرة أخرى، وإلا أصبت الناس بالأضرار وأصابوك بها.

وليست تقف الحرية في الإسلام عندما قررناه وحده، بل إنها لتتجاوز ذلك إلى كثير من جوانب الحياة التي يعيشها الإنسان فلا يظلم ولا يظلم، ولا يهان ولا يذل، ولا يضيع له حق بين المسلمين، ولا يقصر في واجب نحوهم، فيأمن على ماله ونفسه وولده وعمله وكسبه فيسعد في مجتمعه وبين إخوانه، فأين من هذه الحرية ما يطلق عليه «حرية» عند الآخرين؟

ثالثا: مفهوم المعارضة في الإسلام:

للمعارضة في الإسلام اعتبارها، لا حبا في المعارضة وإلا كانت جدلا مذموما لا قيمة له، وإنما هي بيان لأفضل السبل وأحسن الآراء التي تحقق مصالح الناس، وهي بهذا المفهوم منهج للعدل قويم يلتزم به المسلمون، فلا يأنف كبير من أن يقال له: أخطأت، ولا يخشى صغير من أن يقال له تجرأت، فالحق رائد الجميع، والصواب في الأعمال والأقوال هو المبتغى، وهو الوسيلة لبيان الأخطاء دون تعرض للأشخاص بتجريح أو إساءة، وانما التعرض للأعمال والأقوال حيث توزن بميزان الشرع مع الالتزام بالضوابط اللازمة لذلك ومع الأخذ ـ في الحسبان ـ بتقاليدنا الأصيلة والعادات القويمة التي لا تحيد عن الدين.

نقول هذا لعلمنا أن منهج المعارضة الإسلامية يقوم على قواعد شرعية:

أ ـ المنكر يزال:

وهل يرضى أحد من الناس يحب الخير للمجتمع، والناس أن يعيش في عفة والناس من حوله يكتوون بالمنكر؟ إن إزالة المنكر أمر فرضه الشرع لينفي عن المجتمع خبث الشر والإثم والبهتان، وليبقى عنصر الصلاح فيه قائما، والأخلاق فيه سائدة.

والقرآن الكريم قرر ذلك قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ**﴾(١).

---

(١) التوبة: ٧١.

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)].

وقد بين رسول الله ﷺ أن إزالة المنكر قد يدفع الإنسان ثمنها حتى يصل به الأمر إلى حد أن تزهق نفسه وهذا غير مانع من العمل الجاد على إزالة المنكرات؛ لأن من يقتل في سبيل الله هو من الشهداء بل هو سيد الشهداء، قال ﷺ «**سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[(٢)].

ب ـ درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة:

إذ لا قيمة لمنفعة تقوم بجانبها مفسدة، وإلا لأودت المفسدة بالمنفعة في النهاية، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فإنكار المنكر يجب ألا يترتب عليه ما هو أكبر منه أو يضيع على صاحب الفضيلة من الخير ما هو أكبر من أثر إنكار المنكر.

جـ ـ الأخذ بأخف الضررين واجب:

المنكر لا يزال بمنكر أشد منه وإلا عم الضرر وساد الفساد، فدور اللهو التي تأخذ من وقت الناس وأموالهم ما لا طائل وراءه، ولا جدوى منه ولا نفع له في خلق ولا دين منكر ينبغي أن يزال، ولكن إزالته بالاعتداء على العاملين فيه قد يكون منكرا أشد، ولا يزال المنكر الأخف بالمنكر الأشد لأن ذلك يترتب عليه أضرار قد تلحق بالكثيرين من الناس، فيكون الضرر أشد والمنكر أعم.

د ـ الأصل في العلاقة مع الحاكمين المناصحة لا المنابذة:

فالدين النصيحة، ونصيحة الحاكم مقدمة على نصيحة غيره، لأن في صلاحه صلاح الأمة كلها، وأولى بنا أن نبتعد عن المنابذة مهما كانت المغريات من حولها، وأن نبدأ بالمناصحة، وأن نحرص عليها حتى تثمر ثمرتها وتؤتي أكلها.

هـ. اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية:

وهذا يتحقق إذا انتفت الذاتية الشخصية، وبرز الصالح العام فصار هو المهيمن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩)، والترمذى (٢١٧٢)، وابن ماجة (٢١٧٥)، والنسائى (٥٠٠٨) عن أبى سعيد الخدرى #.

(٢) أخرجه الحاكم (٤٨٨٤) وصححه، وتعقبه الذهبى بقوله: «حفيد الصفار لا يدرى من هو»، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٧٥).

والمحرك، حينئذ يبقى الود رغم ظهور الخلاف؛ لأن النيات سليمة، والرغبة في الإصلاح العام هي أساس القول والعمل على السواء.

رابعاً: مهمة المجالس المنتخبة:

إن المجالس المنتخبة ليست عصا موسى التي تحل بها كل المشكلات، بل هي منهج للوصول إلى القرار الصحيح ثم متابعة هذا القرار ومراقبته، بحيث تتوفر له عوامل التنفيذ الكفيلة بالإصلاح وتنفي عنه الموانع الكفيلة بالإخفاق.

خامساً: التغيير لا ينصب على فئة دون أخرى:

التغيير إلى الأفضل والأحسن أمر يشترك فيه النظام بجميع مؤسساته وأفراده على اختلاف توجهاتهم، بحيث يكون التغيير عميقا نابعا من أعماق النفوس فتعلو الهمم، وتغير الأداء من الفتور إلى القوة، ومن قلة الإنتاج إلى غزارته، ومن التغافل والأثرة، إلى اليقظة والإيثار، ومن هنا يحدث التغيير الحقيقي الذي جاء في كتاب ربنا ﴿إنإِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(١)]، وفي هذا الإطار فإن الهواجس القائمة بين القوى بعضها وبعض وبين المفكرين بعضهم وبعض ينبغي أن تتغير لتحل محلها الثقة والاحترام المتبادل، في ضوء الأخلاقيات التي لا تمتهن المقدسات ولا تعتدي على الحرمات، ولا تسخر بالأشخاص أو الهيئات.

وإن بعض الأنماط التي بدأت تظهر في مجتمعنا مما يخالف عاداته وتقاليده، ومما لا يرتضيه شرع ولا دين ينبغي أن تتغير، فلا يكاد يمر يوم دون أن تقرأ في الصحف عن جريمة هنا، أو سرقة هناك، أو اعتداء على أعراض الناس أو إهمال للمصالح التي بها يتقدم المجتمع ويرقى، وكل ذلك يجب أن يلحقه التغيير، حتى يقوم البناء الحضاري للأمة على أساس سليم.

بهذه الضوابط الكلية والقواعد العامة، تكون المعارضة منهجًا للحياة الرشيدة القويمة، التي يعلو فيها صالح المجموع على صالح الفرد، والتي تختفي فيها الذاتية والأثرة ليحل محلها المجموع والإيثار فيتحقق بها الرشاد والخير .

---

(١) الرعد: ١١.

سادساً: هل ننافسهم فيعادوننا؟

(أ) رسالة عامة:

كلما أدرك المسلم أبعاد رسالته وأهدافها، كان أقدر على التفاعل والتجاوب مع محيطه، والقرآن الكريم وفر على الناس الكثير من العناء في بحثهم عن غاية الخلق، والدور المعين على المخلوق بقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[(١)]، فالعبادة هي المطلوبة من البشر.

وتعبيد الناس لله هو الدور الرسالي الذي كلف به الأنبياء والرسل والمؤمنون من بعدهم، حيث إن جوهر العبادة لا يقف عند حدود الذات، بل يتعداها إلى الآخرين لتحويل المجتمع بأسره إلى مجتمع عبادة، من هنا جاءت الآيات القرآنية الكريمة تدعو المؤمنين إلى القيام بالدعوة، بإطلاقها إلى كافة الميادين وخارج كل الحدود، فجاءت للناس أجمعين، لا يحدها جنس ولا لون ولا تاريخ، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[(٢)]، وقال أيضا: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[(٣)]، إنها رسالة سماوية يقوم بواجبها الرسل والمؤمنون بهم، تكليفا وليس منة.

(ب) حركة رائدة:

فالإسلام هو الحاضن لأبناء المجتمع يعيشون في كنفه، والحركة الإسلامية هي الحركة التي ندبت نفسها للقيام بهذا الدين وإعلاء شأنه، وهي في ذلك حركة طليعية نبتت في المجتمع وانطلقت من خلاله، رافعة لواء الإسلام لكي يعم، وأيقنت الحركة الإسلامية أن قيام الجو الإسلامي والحكم الإسلامي الذي يرعى هذا الجو ويحافظ عليه، إنما يتأسس على جهد جماعي منظم، جهد مؤسسي يتجلى فيه مفهوم الطاعة والجندية والقيادة.

هذا الاتجاه المتقدم لم يكن اتجاها متفردا أو متعصبا، بمعنى أنه يحتكر الإسلام والعمل له، إنما هو اتجاه تعاوني مع جميع العاملين والخيرين داخل الحركة وخارجها من أبناء المجتمع الإسلامي، لذلك كان السعي الدائم لتحقيق الإسلام قبل تحقيق ذاتية الحركة، وبقيت الحركة وسيلة ناجعة وناجحة للغاية المطلوبة، وقد عبر الإمام

---

(١) الذاريات: ٥٦. (٢) الأنبياء: ١٠٧. (٣) سبأ: ٢٨.

البنا مؤسس الحركة الإسلامـية في القرن العشرين عن انفتاح الحركـة ووحدتها مع كافة العاملين للإسلام، وبذلها كل الجهود للوصـول إلى الهدف الإسلامي الكبير عن طريقها أو عن طريق سواها، قائلاً: «فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإن وجدوا من الأمة من يستـعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهـاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأعوانه»[1]. إذن، فالحـركة هي الروح التي تسري بهذه الأمـة، وهي جزء منها تتجاوب وتتفاعل معها، وتحمل قضاياها وهمومها وتستوعب طاقاتها.

هذا هو الهـدف من وجود الحركـة الإسلامـية، وهو النهـوض بمهام الإسـلام ما استطاعت، والذود عن حـماه، وحمله للناس، وتوحيد الكـلمة ورص الصف، ضمن جو إسلامي حميم مبني على الأخوة والروح الإسلامية العالية، على هذا نشأت الحركة الإسلامية.

(جـ) انحراف عن النهج:

لكن تعدد أشكال هذه الحركـات، واستمرارية الحركة الدعـوية العامة داخل هذه الحركات وخارجها أدى إلى نوع من التعصب والحزبية عند البعض، مما أساء للحركة وجعلها في تنافس والتـحام مع عامة المسلمين ومـثقفيهم والعاملـين منهم بالتحديد، وفي هذا المضمار يحدثنا المفكـر الإسلامي الدكتور فتحي يكن فيقـول: «في اعتقادي أن الحركة الإسـلامية تأثرت إلى حد ما بالجـو الحزبي الذي تعيشه البـلاد العربية في هذه الحقـبة من الزمن. .حتى كـادت تتلوث طبيعة العـمل الإسلامي وأساليـبه ـ في بعض الأحيان ـ بالروح الحزبية الضيقة التـي لا تتفق بحال ونزعة الانفتاح والإنسانية في الإسلام»[2]، مما يعني أن وجود هذه النزعة وتأثر البعض بها أمر مستشر إلى حد ما، إلا أنه ـ وهذا ما يجب أن يفهمه الجميع ـ بعيد عن الإسلام وغريب عنه.

هذه الروح الحزبية الضيقـة تذكي روح الصراع والتنافس بين أبناء الحركة، وبين من يعمل للإسـلام خارج إطار الحركة، وهذا ما يتنـافى تماما مع هدف الحركة وبرنامـجها وقيـمها، فـالأخوة التي جمـعت أبناء الحركة هي ذاتهـا الأخوة التي تجمع بين عـموم المسلمين، ومنطق الأخوة في الإسلام منطق ديني مـرتبط بالمستوى الإيماني للفرد المسلم، وكذلك هو منطق اجتماعي يتكرس ممارسة وتطبيقا وصـفاء للعلاقات الاجتماعية بين أفراد

(١) حسن البنا: مجموعة الرسائل. المؤسسة الإسلامية. بيروت ـ ص١٣٧ .

(٢) فتحي يكن: مشكلات الدعوة والداعية ـ ص١٣٢ .

المجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١)، وهذا ما يعلو فوق الحزبية لأنه تقرير إلهي لا محيد عنه.

(د) معالم الأخوة وأمارتها:

ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه، وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردوهم إلى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة، وهو إجراء صارم وحازم كذلك(٢).

فالرحمة واللين والعفو كلها سمات لازمت رسول الله ﷺ في علاقته مع صحابته، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣).

والرسول ﷺ قدوة، وعلى نهجه يجب أن تسير الطليعة المسلمة لتحقيق غايتها في تعبيد الناس لله. .ولا ينجح مسعاها إلا بالكلمة الطيبة، والدفع بالتي هي أحسن، وبمحبة الناس والتقرب إليهم، لا بمنافستهم وصراعهم، طالما أن الجميع هم أبناء الإسلام.

(هـ) استيعاب المسلمين:

من هنا كان دور الحركة الإسلامية دورا حساسا؛ لأن لها كيانها الخاص الذي يجب أن تحافظ عليه كوسيلة متقدمة من وسائل نشر الإسلام ونصرته، ولها أيضا مجتمعها الإسلامي وعليها استيعابه والاستفادة منه ومن طاقاته، وحيث إن طبيعة العمل المنظم قد لا تستهوي الجميع أو لا تتناسب مع طباع الجميع، كان لابد للحركة أن تجد طريقة تفاهم وتعاون مع المسلمين العاملين خارج إطارها، وهذا أمر طبيعي وغير منكر، حيث إن العديد من الناس غير مؤهلين للعمل المنظم بطبيعتهم

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) سيد قطب في ظلال القرآن: ٦/ ٣٣٤٣.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

ونفسيتهم، إلا أنهم يحبون الإسلام ويعملون له وربما يبدعون في عملهم الدعوي الفردي، أضف إلى ذلك أن هنالك فئات عديدة ومتنوعة في المجتمع مؤمنة مسلمة قد تعجز الحركة عن استيعابهم، وفي كلتا الحالتين ومن أجل الاستفادة من كامل طاقات المجتمع كان لا بد من تواد وتراحم بين كل تلك الفئات التي تعمل تحت مظلة الإسلام، تعاون وتعاضد لا خصام وصراع يضيع الطاقات، ويشغل العاملين للإسلام ببعضهم البعض ويخلق فيما بينهم البغضاء والعداوة، فإن الرابط بين الجميع هو الاجتماعية والروابط المتينة بين أبناء المجتمع الإسلامي، ليتحول إلى مجتمع الإسلام ونعمة أخوته، وعندما تتخلخل هذه الأخوة تتخلخل كل العلاقات ينهش بعضه بعضا، وهذا ما لفت إليه القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[1] إنها الأخوة في الله، تلك التي تجعل من الجماعة المسلمة بنية حية قوية صامدة، قادرة على أداء دورها العظيم في الحياة البشرية، وفي التاريخ الإنساني: دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إقامة الحياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر[2].

(و) البعد عن التمزق والضياع:

إن سيادة روح الأخوة في المجتمع الإسلامي هي الضابط لإيقاع هذا المجتمع والبعد به عن التمزق والضياع، والحركة الإسلامية بطبيعتها ودورها، حليف لكل المسلمين تعمل معهم ولأجلهم، أما من وجد في الحركة ممن يتقوقع وينعزل عن باقي المسلمين ويحصر الإيمان والإسلام في جماعته، فهذا إنسان مريض لا يفقه الإسلام بل يعمل على إجهاض مشروعه وتشتيت وفرقة أبنائه، فالعلاقة المفتوحة والودية مع المسلمين مطلوبة بغض النظر عن انتمائهم الحركي التنظيمي؛ لأن الشرع يطالبنا بامتثال الأخوة مع جميع المسلمين، وليس العامل التنظيمي سوى خطوة أساسية للأمام لمزيد من القوة والتراص في صفوف المسلمين، هكذا نفهم الإسلام وهكذا نفهم العمل الحركي والتنظيمي الإسلامي وندعو له.

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن ٢/ ٢٣.

(ز) اتساع واقع العالم الإسلامي:

فالعالم الإسلامي اليوم يعج بالحركات الإسلامية منها الأصيل ومنها الوليد، منها العالمي ومنها المحلي، منها المتفاهم ومنها المتعارض... وهذا الواقع يزداد اتساعا وربما يخرج أحيانا عن سيطرة المعنيين به، ومن هنا نرى أهمية تصدي الحركة لتلك المقتضيات من حيث تقريب وجهات النظر وتطبيق القاعدة الذهبية، نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وطالما أن الجميع يعملون للإسلام، فإمكانية التلاقي تبقى مفتوحة وضرورية، وفي هذه الحالة لا يجوز أن يسود منطق الصراع والمنافسة العدائية لأن الجميع سيخسرون، والمشروع الإسلامي سيتراجع.

أما على مستوى الأفراد فمنهم من لا ينسجم مع العمل المنظم، وتلك طباع مختلفة لدى البشر، ومنهم من ينتمون إلى الحركة ثم يخرجون منها لأسباب خاصة وربما عامة، وفي كلتا الحالتين يجب ألاَّ يتم الخلط بين الخروج من الحركة والخروج من الإسلام، وتلك الحالات منتشرة: فهنالك أشخاص قد يجتذبون إلى الحركة في ظرف من الظروف وبسبب من الأسباب، ثم يتبين أنهم غير قادرين على التكيف وفق سياسة الحركة وعلى السمع والطاعة لها.. إن من هؤلاء من يرفض (الذوبان) في البنية الجماعية ويحرص على أن يحافظ على شخصيته... وعندما يشعر بما يعرض شخصيته للذوبان، ورأيه لعدم القبول، يولي الأدبار خلف ستار كثيف من المبررات والمعاذير[1]، هذا الخروج يجب ألا يترتب عليه صراع، ونكران جميل، بل كل يعمل من موقعه في تنافس جميل يحمل في طياته الحب والبناء وليس الضغينة والعداء.

(ح) تنافس نافع:

فنحن وجميع الحركات والأفراد الملتزمون بالإسلام والمحبون له، إنما نتفاضل بالخير، ويصح لنا أن نتنافس فيه، أما المنافسة التي تؤدي إلى الخروج عن نطاق الشريعة، حيث ينتشر الحسد والبغضاء والتدابر، فإنها وبال على الجميع لأننا في وقت اشتدت فيه الهجمة على الإسلام وأهله، وتنازع المسلمين لم يعد يساوي إلا الخسران في الطاقة والوقت، وعلى الحركة الإسلامية أن تعمل وتصبر على استيعاب كل الطاقات والأشخاص، فإن لم يكن استيعاب عناصر وعضوية، فليكن استيعاب أنصار ومؤيدين،

(١) فتحي يكن: المتساقطون على طريق الدعوة، ص: ٧٨، ٧٩ مؤسسة الرسالة.

وهذا لن يتحقق إلا من وراء سلوكيات رفيعة وقيادية تجسد الأخلاق الإسلامية التي تشد الناس إليها، كما أخبرنا القرآن الكريم عن سيرة المصطفى ﷺ بقوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾(١).

(ط) أمامنا جهود وجهود:

فضلا عن الإسلام الذي يجمعنا، هناك العديد من القضايا الاجتماعية والعديد من الأوضاع الاقتصادية والسياسية تستدعي جهودنا المشتركة: فهناك الغزو الثقافي والفكري الزاحف إلينا، وهنالك الفقر والعوز، وهنالك الاقتتال الداخلي، والعدوان الخارجي، وتسلط الحكام، و. . . و. . . . ومقابل ذلك لنا طلبات كثيرة نتعاون عليها ونحشد لها الطاقات: كالعمل على تقوية الإعلام الإسلامي؛ ليكون على مستوى المواجهة، والوصول إلى المشاركة في وضع البرامج التعليمية وإدارة مؤسسات التربية والتعليم، والحض على الفضيلة ونشر الأخلاق وبذل الجهود الإسلامية، وإنشاء المؤسسات الاقتصادية والتجارية الإسلامية غير الربوية، وبذل الجهود والطاقات المادية والعلمية للتنمية. . .

إذا فهنالك قضايا متراكمة يمكن أن نتعاون عليها، بل من الواجب أن نتعاون عليها، ويبقى التنافس والتفاضل في الخير والإنابة إلى الله ـ سبحانه وتعالى.

(ي) الإسلام دعوة للتضامن والتعاون:

إننا نحمل رسالة، ونقدم دعوة عنوانها التوحيد ومضمونها التعاون والإخاء مع كل من ارتضى الإسلام دينا ومنهج حياة، إننا نتنافس، نعم نتنافس في الخير فقط من أجل مزيد من العطاء وإعلاء لكلمة الحق، والإسلام الجامع لهذه الأمة دعوة للوحدة والتضامن، وإذا أمعنا النظر في الإسلام شريعة ومبادئ ونظما وسعة أفق، نجد فيه مكانا واسعا يستوعب الجميع ويضفي عليهم جوا من الحياة الأخوية المتآلفة المتكاتفة. . . كما عاشت العصور الإسلامية الأولى، على المحبة والتضحية والبذل المشترك، نتنافس على الخير، والميزان بيننا ميزان العمل الصالح والتقوى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(٢).

---

(١) آل عمران: ١٥٩.
(٢) الحجرات: ١٣.

الرابع عشر: الساحة الخليجية... إطلالة من قريب

(١) الشخصية الحقيقية:

فى مسرح العرائس تتجمع الخيوط التى تحرك الدمى فى يد شخصية خفية تعمل كل شىء من وراء ستار، بحيث تبدو الحركة للمشاهدين طبيعية لا افتعال فيها، ولا محرك لها، والناظرون لحركة العرائس يقبلون ذلك ويرضون به، مع يقينهم بأن وراء هذه الحركات محرك غير مرئى، هو الذى يفعل كل شىء دون أن ينسب إليه شىء، ومع هذا اليقين فإنهم يقبلون الرؤية القريبة أمامهم، يتفاعلون معها وقد يضحكون من حركة أو يرتضون موقفا، أو يعارضون فكرة، لكنهم لا يفكرون أبدا فيمن وراء هذه الحركة أو تلك لاتفاق جميع المشاهدين على الاكتفاء بما هو مشاهد والاستغناء به عمّا وراءه.

وهذا بعينه ما يحدث على مسرح الحياة بعد بروز القطبية الواحدة والدولة الواحدة فى النظام العالمى الجديد، منذ تفتت الاتحاد السوفيتى، ومنذ الغزو العراقى للكويت، الذى كان إيذانا عمليا بإشهار هذا النظام الجديد أو قل (تدشينه)، حيث تجمعت خيوط الدول وخاصة ما كان منها فى عالمنا الثالث فى يد الدولة الواحدة، تحرك من شاءت، وترفع من شاءت وتخفض من شاءت، ولها فى الأمم المتحدة سند شرعى دولى ترتكز عليه قانونيا فى أدائها وأعمالها.

(٢) حركة إعلامية:

لأن حديثنا إنما ينصب على الرؤية الآنية للساحة الخليجية التى تعج بالأحداث وفى مقدمتها ما جرى ويجرى فى العراق، حيث يتربع الطاغوت صدام على سدة الحكم فيه بمعونة خفية من الدولة القوية، التى تشده إلى كرسى الرئاسة بخيوط لا تنقطع، لأنه ينفذ أغراضها بدقة، ويؤدى الدور المرسوم له بإتقان تام حتى يبدو أمام الناس وكأنه يتصرف من بنات أفكاره، وحتى يؤدى لإسرائيل خدمات جليلة، بتصرفات رعناء لا تخدم فى النهاية غير إسرائيل، ويكفى أن نذكر أن بضعة صواريخ أطلقها ـ أثناء حرب الخليج ـ نحو إسرائيل، سقطت فى الصحراء دون أن تصيب شيئًا، أو تخرب أرضا، أو تدمر حصنا، أو توقف حتى حركة للمرور، نالت عليها

إسرائيل(١٠) مليارات دولار. نعم عشرة مليــارات دولار لتطور بها سلاحها النووى والتقليــدى، وتبنى مستــوطنات وتحاصر القــدس بعدد من القلاع؛ لضــمان أن تظل العاصمة الأبدية الموحدة لإسرائيل، وفى المقابل خسرت الأمة العربية ومازالت تخسر من جراء فعلة الطاغوت صدام عشرات المليــارات، وتوقفت أو تباطأت حركة التنمية والعمران فى البلاد العربية.

فمن الذى استــفاد من وراء صدام؟ ولصالح من يعمل؟ يعــمل لصالح إسرائيل ومن يساندون إسرائيل، ولذلك فإن له فى كل عام أو عامين حركة يؤديها أمام أجهزة الإعلام المختلفة، التى تتلقف كلمته وترصد حــركته، وتنقلها للعالم فى صورة جدية مصحــوبة برد الفعل عند الدولة (القوية) بأنهــا لا تسمح له بتجــاوز الحدود، وأنها مستعدة لــضربة ـ إن لزم الأمر ـ وأن عليه الرجوع فى حركته، والابتــعاد عن فعلته، وسرعان ما يتــراجع، بعد أن يكون المسرح الخليجى قد هيئ تمامــا لقبول أى مطلب، وعدم رفــض أى مغرم، وإن كــان مناقضــا للسيــاسة العــامة أو لا يتــوافق مع هوى الشعب، أو يتم تنفيذه حتى على حساب مقدراته وحقوق أبنائه من الأجيال القادمة.

(٣) دور له ثمن:

هذا الدور هو الذى يقــوم به صدام، ولذا فنفعــه للدولة الكبرى عظيم، وفــقده غرم جسيم، فمن يستطيع أن يتقن دوره أو يصنع صنعه؟

ولذا فالحفاظ عليه واجب، والحرص على بقــائه ممدود موصول، وكلما تجمعت المعارضة ضده واتفقت على عمل مؤثر يزيله من الحكم أجهض عملها، وفشل سعيها وخاب تقديرها، لماذا. . .؟ لأنها تطلب المعاونة من أمريكا ضد صدام دون أن يقدموا بديلا يؤدى دوره. . . ودوره لا يســتــغنى عنه فــى المرحلة الحــاضــرة ولا فى السنين القادمة، ولذا فــهو باق تزول المعارضة ولايزول وتغيب عن الســاحة ولا يغيب، وأى نفع فى المعارضة يفيد منه النظام الأوحد؟ إذًا فليــبق هذا الدمية صدام يتحرك بإجرام وعنف حين يأتيه الأمر، ويتوقف حين يأتيه الصَد، تخبره أمريكا بحركة كل معارض فيقمعها ولا يتركها.

وهذا الذى نقوله عن الأفاك صدام قاله خبراء الاستراتيجية فى الداخل والخارج، منذ اعتــدائه على الكويت فى ٢/٨/ ١٩٩٠م سواء منهم الــعرب أو غيــر العرب فى

الشرق والـغرب، وقد جـاءت حركـته الأخـيرة، حين أعلن منع الأمـريكان من أن يستقبلهم كأعضاء فى لجنة التفتيش الدولية على أسلحة الدمار الشامل، والزوبعة التى أحدثتهـا جاءت هذه الحركة منه لتـدفع الساحة الخليجيـة دفعا قويا، سـاعدت عليه الضغوط الـدولية نحو المشاركـة فى مؤتمر الدوحة، دون النظر إلى سلبيـاته العديدة، حيث يظهر فى الساحة الشمالية صدام صـائحا مزمجرا، وتنبرى أمريكا للضغط على الدول الخليجـية لحضور مـؤتمر الدوحة، والالتقاء بالسـيدة أولبرايت وزيرة الخـارجية الأمريكية للتباحث فى أمر الخليج بعد صـدام، فيتفق صياحه المزعج مع الدعوة التى تحمل أمل التـخلص منه ويذهب الجمـيع إلى هناك دون نظر فيـمن يستفـيد من هذا المؤتمر، لقد عبر الأسـتاذ عدنان زيد الكاظمى عن حقيقة هـذا المؤتمر أبلغ تعبير حين قال: وسوف يكون من الغباء الاعتـقاد ولو لحظة واحدة أن الكلام عن مؤتمر الدوحة وأثره فى عملـية السلام يمكن أن يدخل فـى حسابات العـقل أو التاريخ. . إن عـقد مؤتمر الدوحة قـرار أمريكى يطلب إلى الآخرين تنفيذه، دون الحق فى مناقـشة أبعاده السلبية على الدولة المضيفة أو على الآخرين[(١)] .

(٤) هل المؤتمر إيذان ببدء مرحلة جديدة؟

إن الدول الكبيرة فى المنطقة (جمهورية مصـر العربية والمملكة العربية السعودية) قد عرفت مغزى المؤتمر وسلبياته ولذا أعلنت عدم المشاركة فيه، رغم ماقد تتعرض له هذه الدول من ضغوط تختلف بحـسب ظروف كل دولة، وتبقى الدول الصغرى فى المنطقة لتقبل تحت وطاة الضغوط، وسداد الديون والاشـتراك فى مؤتمر لا يستفيد منه غير إسرائيل. . . ومتى يعقد هذا المؤتمر؟

إنه يعقد فى ذكرى وعد بلفور، الذى زفت فيه بريطانيا نبأ استحقاق بنى إسرائيل لوطن قومى لهم فى فلسطين على حساب العرب المسلمين.

فهل يكون مـؤتمر الدوحة إيذانا ببدء مرحلة جـديدة تزف فيها (أولبـرايت) نبأ إخضـاع منطقة الخليج بما فيـها من ثروات للهـيمنة الإسرائيليـة بمباركة سـيدة النظام العالمى الجديد؟ وعند هـذه النقطة الفاصلة يكون محرك الدمى خلف السـتار قد أدى دوره، أراد أن يستعد لعـرض جديد، فترك الخيوط من يده، فاسـتكان صدام، وتهيأ للمنام استعـداداً لطارئ قد يجد، فيصحـو مهدداً ويصيح مزمجرا؛ ليـدفع بالساحة الخليجية من جديد فى أحضان السيد الوحيد ذى القلب الحديد، الذى يتلقى الهدية،

(١) الوطن ٧/ ١١/ ١٩٩٧م.

ويقبل التـحية، ويرد عليهـا بأحسن منها حين يحمى نظام صـدام، ويبلغه أولا بأول عن حـركـة المعارضـين اللئام، الـذين يدبرون أمـرهم ويمكرون مكرهم، وتدبيـرهم مكشوف، ومكرهم مرصود معـروف، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، وينطبق على المعارضين فى هذه الحالة المثل المشهور «على أهلها جنت براقش».

لماذا تشارك الكويت؟

ويبقى فى جعبتنا لهذا اليوم سؤال: لماذا تشارك الكويت فى هذا المؤتمر؟

نعم إن الكويت تشـارك فى هذا المؤتمر لا عن رضا به، ولا عن حب فـيه، ولا عن جهل بـسلبياته على دول المـنطقة، أو جهل بإيـجابياته لإسـرائيل، ومن المعلوم المعروف أنه سيـحمل المنطقة أعباء ماليـة جديدة، إلى جانب الأعباء النفـسية المعنوية العـديدة، والكويت حين تشـارك فـيه إنما ينطـبق عليهـا قـول الشـاعر أبى فـراس الحمداني:

وَقَالَ أُصَيْحَابِي ٱلفِرَار أَوِ الرَّدَى   فقُلْتُ: هُمَا أَمْرَانِ أَحْلاهُمَا مُرُّ

إن لغة الواقع أقوى من كل تعبير، ولغة الواقع تقول: إن الكويت بمقدراتها دولة تسعى إلى السلم، والحفاظ على الأمن، وتحرص عليه وتبذل فى سبيله الكثير، ولكن إذا ابتليت بجار السوء صدام وهى لا تملك ما يملك، ولا تقدر على ما يقدر عليه من الجور والبـغي والعدوان، مـاذا تستطيع أن تفـعل؟ وكيف يمكن أن تمتنع والضـغوط الدولية عليـها من كل جانب وجار السـوء يهددها فى كل وقت، ولذا فإنهـا بالفعل تشارك، ولكن مشاركـة الكاره بقلبه، غير المادح بلسانه، مشـاركة المضطر الذى قال الله فى حقه: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾[١].

وهذا الاضطرار يكون بمقـدار الحاجـة الملحة، ومـا زاد فهـو حرام كـما يقـول الفقهاء. ولذا فإنى أقترح إن كان ولا بد من المشاركة ـ أن يمثل دولة الكويت فى هذا المؤتمر سفيرها فى قطر، وألا يسافر وكيل وزارة التجارة من أجل هذه المهمة.

(٥) السلاح الفعال:

ولئن كانت هذه المـشاركة نضطر إليـها فراراً من ظلـم وطغيان جـار السوء فى

(١) البقرة: ١٧٣.

الشمال، وتحت وطأة الضغوط الدولية، التى لا نملك منها فكاكاً، ولا نستطيع عنها حولا ـ على الأقل فى الظروف الحالية ـ لأن الكويت كما عبر عنها الكاتب خليل حيدر «أضعف من أن تحمى نفسها إلا بمقدار، وأغنى من أن تترك لحالها فى هذه المنطقة دون تهديد».

مشكلة الكويت الداخلية الكبري أن اقتصادها وثراءها يضعانها ضمن الدول المتقدمة، بينما تجرها أوضاعها البشرية، وتركيبتها الاجتماعية، وكثير من قوانينها ومشاكلها الإدارية إلى المجتمعات المتخلفة [١].

والسلاح الفعال الذى أعنيه هو فى تركيبة الكويت الاجتماعية التى إن تآلفت وتعاونت على البر والتقوى، وتباعدت عن الإثم والعدوان، وأدركت أن الجميع تحملهم سفينة الكويت وسط العباب، فلا بد أن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً فى الحفاظ على سلامة هذه السفينة الكويتية من أن يصيبها عطب أو غرق أو خرق؛ لأن أى ضرر يصيبها ينال جميع أبناء الكويت، فلن يلحق الضرر فئة دون أخرى، ولا طائفة دون طائفة، ولا أصحاب مذهب معين دون الآخرين، فالكوارث والمصائب لا تفرق بين الناس على أى أساس، فلنحسن قراءة الأحداث، ولنتصرف فى ضوء الواقع المقدور حتى يأذن الله بالفرج ويزول العسر، ولنقرأ قول الله: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾[٢]، ولن يغلب عسر يسرين، وحتى يتحقق ذلك ففى الصبر دواء، وفى التجمع شفاء، وفى قراءة الأحداث والتعامل معها على الوجه الصحيح سلامة وعافية.

---

(١) الوطن ٧/ ١١/ ١٩٩٧م.

(٢) الشرح: ٥، ٦.

الخامس عشر: مصر الرائدة القائدة

(١) دور مرفوض:

لم يعد من المقبول فى عالم القطبية الواحدة أن تستقل دولة فى قرارها، ولو كانت بذلك تراعى مصلحتها، إذ كيف تجرؤ على مخالفة رأى الدولة الواحدة وهيمنتها؟ وكيف يتسنى لدولة من الدول أن تمتنع عن تدليل إسرائيل ربيبة الدولة الواحدة التى تعيش فى حجرها، ولها من عناصر الدلال والهيلمان ما تخضع له الدولة الواحدة فى قبول وإذعان؟ كيف تمتنع دولة عن قبول رغبة إسرائيل، فتغضب أمريكا للغضبة الإسرائيلية، وتنبرى بالسلطة الهمجية؛ لتؤدب المخالفين، وتلقى عليهم درسًا فى السياسة الحاضرة، إن كانوا يحاولون تجاهل دورها ورفض أمرها، والخضوع لسطوتها وسلطانها، بحجة مصلحة بلادهم؟

وهل تقدم مصلحة بلادهم على مصلحة إسرائيل التى تساندها وتساعدها وتؤيدها ـ بالباطل ـ أمريكا؟ وكيف يقف هؤلاء هذا الموقف؟ أما رأوا كيف وقفت أمريكا وحدها فى الأمم المتحدة متخذة حق (الفيتو) أو قل:(باطل الفيتو) حتى لا تلحق الإدانة إسرائيل؟ أما اتخذ الكونجرس الأمريكى قراراً بنقل السفارة الأمريكية فى إسرائيل إلى القدس، وأعد التدابير المالية من أجل ذلك، مساعدا بهذا القرار إسرائيل التى تعد العدة لأن تكون القدس هى العاصمة الأبدية الموحدة لإسرائيل؟ أفبعد هذه الدلائل البينات على التأييد المطلق لإسرائيل من جانب الدولة الواحدة تأتى دولة فى المنطقة فترفض طلبا، وتأبى حضور مؤتمر من أجل مصلحة بلادها؟

(٢) تأديب وتأنيب:

إنها إذًا دولة تستحق التأديب والتأنيب، ألا فلتعلم أنَّا قادرون على أن نرسل عليهم هجوما خارجيا، وأن نبعث لهم عذابا من تحت أرجلهم، وأن نرسل عليهم اللطمات، وأن ننزل عليهم الصفعات، حتى يفيقوا من وهمهم وينسوا مصلحة بلادهم، فلا يعودوا بعد ذلك لمثل هذا الموقف أبدا.

وهذا ما حدث مع مصر الدولة الكبرى فى عالمنا العربى والإسلامى، حين وجدت أن مؤتمر الدوحة الاقتصادى تصب مصالحه كلها فى إسرائيل، وتحمل تبعاته كلها الدول

المشاركة، وكلها أو معظمها دول عربية وإسلامية، فأبت الحضور والانسياق لهذا المصير المزرى، وأعلنت رفضها للحضور، مظهرة استقلال قرارها، وانفرادها بتسيير مصلحتها. فما كان إلا أن سيق إليها العذاب فى صورة مذبحة بشعة تتم فوق أرضها هناك فى الأقصر، حيث يموت عدد من أبنائها وآخرون سائحون فى ساحتها، فى جريمة منكرة استخدم فيها الرصاص والخناجر، وطيرت وكالات الأنباء أخبارها، وفى نفس اليوم يقوم بالهجوم الخارجى على مصر وسياستها وزير خارجية إحدى الدول الخليجية، ويتهمها بتهمة مرفوضة لا يقبلها صغير أو كبير فى عالمنا العربى والإسلامى، ويتم ذلك أمام المؤتمرين، وعلى مسمع من العالم الذى يتابع عبر أجهزة الإعلام المختلفة، ليرى العالم أخا ينهش لحم أخيه، وصغيرا يتجرأ على كبير، ودولة متواضعة فى تاريخها ومقدراتها وآلياتها، تتطاول على دولة كبرى فى المنطقة بغير وجه حق.

(٣) دور مصر الريادى:

وقبل أن نضع الأمور فى نصابها، ونرد الموازين إلى اعتدالها، ونبين سبب الصفعات التى انهالت على مصر، أحب أن أشير إشارة عابرة إلى دور مصر فى العالم العربى والإسلامى، لعلى بهذا أذكر ناسيا، أو أعلم جاهلا، أو أقيم الدليل على جاحد منكر.

لقد بدأ هذا الدور منذ دخل عمرو بن العاص مصر فاتحا، فاستقر الإسلام بها، وعرف هذا القائد الملهم لمصر دورها المستقبلى، فأوصى خلفاءه من بعده على مصر قائلا:

«واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة؛ لكثرة الأعداء حولكم وتشوق قلوبهم إليكم وإلى داركم» فكانت وصيته هذه إرهاصا بما يحمله المستقبل لمصر من دور تؤديه حسبة لله، وخدمة للإسلام، وصيانة وحماية للعربية وأهلها، فلا يعتدى على الأمة معتد إلا قصمه الله، ولا يريدها أحد بسوء إلا أذله الله، على يد جند من مصر يريدون إعلاء كلمة الله فى الأرض.

لقد كان أبناؤها من حملة الرسالة تحت القيادة العربية فى فتوح الشمال الإفريقى، وظل لهم دورهم فى أحداث العالم العربى مشاركين غيرهم حينا، ثم انفردوا بهذا الدور أمام الهجمة العاتية التى جاء بها الصليبيون، فعاثوا فى الأرض فسادا، وقتلوا فى القدس وحدها ٧٠ ألف مسلم حتى سالت الدماء فى الشوارع،

وقطعوا طريق الحجاج، ومالأهم من مالأ، ودخل تحت نفوذهم من خاف على ملكه، فكان حربا على غيره من أبناء العروبة لصالح الصليبيين. فمن تصدى لهم وأزاح كابوسهم وأضعف شوكتهم، وانتزع البلاد من تحتهم وخلص العباد من شرهم وأمنهم فى أوطانهم؟ إنه صلاح الدين الذى قاد جند مصر، ورمى بهم المعتدين، فكان النصر الذى ظنه كثير من الناس عزيزا على المسلمين، ورحل التجمع الصليبى عن بلاد العرب والمسلمين حين برزت له القوة، وأعدت له العدة، وأيقن أن ليس له بقاء فى أرض يجاهد أبناء الإسلام من أجلها، ويقودهم المخلصون الذين يخافون ربهم لاستخلاصها.

ويوم جاءت جحافل التتار تنقض على بلاد المسلمين، وتعيث فى الأرض فسادا، فتخرب العمران، وتهلك الحرث والنسل، وتقضى على تراث العقل وثمار الفكر، من تصدى لهم وأوقف سيلهم ورد كيدهم؟ إنهم جند مصر تحت قيادة قطز وبيبرس فى معركة «عين جالوت» التى أخذت مكانها فى سجل الخالدات من المعارك التى أبعدت عن الأمة خطر السقوط النهائى تحت سنابك خيل التتار، وحولت التتار ـ من بعدها ـ إلى جند للإسلام، يعملون على حمايته ورعايته.

وكانت معركة العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ «السادس من أكتوبر ١٩٧٣» فى تاريخنا القريب إيذانًا بأن دور مصر القيادى لم يتحول إلى غيرها، وأنها مازالت بالعزيمة الصادقة، والزعامة المخلصة، والتعاون المؤيد لها، قادرة على تحقيق النصر على أعداء الأمة واستخلاص القدس مرة أخرى.

وإذا كان هذا دور مصر أمام الأعداء فإن دورها فى خدمة الحركة العلمية، وعطاءها المستمر فى الحفاظ على علوم الدين والعربية أمر ذائع مشهور، فمنذ أن نشأت الحركة العلمية فى مسجد عمرو بن العاص وإلى اليوم والعطاء العلمى لمصر فياض، وعلوم الدين تمتد وعلوم العربية تنتشر، وكم عاش فيها من أعلام الفكر فى كل فن، فأثروا نشاطها وكانوا مددا للحركة المزدهرة فى ربوعها.

وقبل بضعة عقود من السنين كانت مصر وحدها منارة الإسلام والعربية، يأتى أبناء المسلمين من كل فج إلى الأزهر فى قلب مصر فيحملون نور الإسلام عن بينة، ويتكلمون العربية بفصاحة، ويعودون إلى بلادهم ليكونوا حماة الدين والعربية، وليدفعوا

شبه الغـزو الفكرى الذى يغرس سهامه فى جـسد الإسلام ولغته مـا استطاعوا إلى ذلك سبيــلا، ناهيك عن البعثـات العلمية التى كانت ترسلهـا مصر هنا وهناك من أندونيـسيا شرقـا إلى الجزائر غربا، وكان كـثير من أعلامـها زعماء للإصـلاح فى ميادين كثـيرة، تشرئب إليهم الأعناق فى مناطق عديدة للسير على نهجهم، والاقتداء بهم فى أعمالهم.

وكثـير من مـشاهيـر العلماء العـرب فى غيـر البلاد العـربية فى مجـال الطب والهندسة والفـضاء وغيـرها ممن يعملون فى بلاد الغرب ينتـسبون إلى مـصر وطنا، ويعتزون بالعروبة نسبا، وينشرون بعلـومهم وجدهم صورة للإنسان العربى حين يجد ويعمل ويبدع ويرقى، ويزاحم بمنكبيه أعظم عقول الغرب، وتعلو هامته على هامتهم ويفوز بالسبق بينهم ـ لولا الدعاية والإعلام.

فهل ينكر أحد هذا الدور الذى تمتد جذوره فى تـربة التاريخ أحقابا متطاولة من السنين والعقود والقرون؟

(٤) عمل استخبارى أهـوج:

ولأن هذا الدور لمصر مـشهور ومعـروف ومعهود، وأثرها على غـيرها من دول المنطقة مذكور غير مجحود، فإن الأعداء يـعرفون مركزها ويعرفون قدرها، فيركزون عليها قبل غيرها... وإلا فإن عـددا آخر من الدول قد رفض حضور مؤتمر الدوحة فلماذا مصر وحدها تختص باللطمات؟ حتى لا تتخذ قدوة، وحتى يكون فى موقفها عبرة، وحـتى لا تجرؤ دولة أخرى على أن تفـعل فعلها أو ترفض رفضـها، ولذلك سيقت إليها الأحداث بتدبير محكم لا يـقدر عليه إلا أجهزة الاستخبارات التى تحكم العالم اليـوم وتتصرف فـيه بعلم السيـاسيين ورغبتـهم، متخـذة المذابح والجرائم بابًا لإرهاب القادة حتى يقبلوا فى الظروف الاستثـنائية ـ وتحت وطأتها ـ ما يرفضونه فى الظروف العادية، وفـضيحة الموسـاد الأخيرة فى محاولة اغـتيال خالد مـشعل، تدلنا على ما لأجهـزة المخابرات من يد طولى فى عالم الإجرام والقتل والاغتـيال بوسائل متنوعة ومتعددة، وبأحدث وسائل التقنية فى عالم السلاح، الذى يفتك بالضحية من غير أن يهشم عظما أو يخرق لحما، أو يترك أثرا يذكر.

وجـريمة الأقصـر التى حـدثت فى مـصر تدخل فى هذا الـباب، باب الجـرائم الاستخـباراتية التى تفرغ لهـا جهاز حلف (الناتو) بعد أن فرغ مـن الانشغال بالحلف الذى تمزق (حلف وارسو) فما عاد أمامه إلا أن يســخر جهوده لخدمة الدولة الواحدة

فى عالم القطبيــة الواحدة، وإلا فليس فى مصر من يجرؤ على هذه البـشاعة ويطلق الرصاص عـشوائيا على المتواجـدين، فيصيب مـصريين وغير مـصريين إلا أن يكون عمـيلا مدربا، أو مجـنونا أبلها، ولـم يكن المهاجـمون الذين انتحـروا قبل أن تطلق عليهم الشـرطة الرصاص إلا عملاء لجهـات استخباراتـية أرادت أن تزعزع الأمن فى مصر [١]، وأن تبعث برسالة للنظام المصرى تخبره فيها أنها قادرة على إثارة الفتن فى البلد ولو كان ذلك بأيد مصرية (وكل لبيب بالإشارة يفهم)، ولن تنطلى حيلة أجهزة المخابرات الأجنبية علىً أحد، فتدبيركم مكشوف، وسعيكم للفساد معروف ودعمكم ضد صـالح البلاد والعـباد واضح بيّن، وإلا فلمـاذا يبقى صدام حـسين فى كرسـيه مستقـرا رغم الشدائد والعوادى التى يعانى منها الشعب العـراقى؟ لأنه يعمل بأمرهم ضد مصالح شـعبه وضد مصالح دول المنطقة، ولذا فـإنه يبقى، وإن ثارت من حوله الزوابع، وعصفت بغيره العواصف.

إن رسالة أجـهزة الاسـتخـبارات المشـبوهة قد وصلت إلـى مصر، ولا نشك فـى أنها مرفـوضة مـن كل فرد مـصرى وكل فـرد عربى وكل فـرد مسلم، سـواء أعلن ذلك أم لم يعلنه. . . وإن هذه الجريمة البشعة التى قتل فيها مصريون وغير مصريين لا يرضى عنها أحد، مخلص لدينه ولوطنه، ولا يقبلهـا إنسان فى قلبه إحساس بسيط بمعـانى الإنسانية، وهذا كله ينطبق أيضا على الهـجوم الخارجى الذى شنه وزير خارجيـة دولة خليجية أُمرت فـائتمرت، أمرت باستضافة المؤتمر فائتمـرت، وأمرت بالتطاول على مصر ففعلت، وساعدت بذلك على تمزيق الصف العربى بأكثر مما هو ممزق، وصنعت ذلك باتهـام زائف، وكلام مفتعل، وهجوم غيـر مبرر، جاء فى غـير وقته، وفى غـير مكانه؛ لأن علاقة الدول الخليـجية بمصر عـلاقة حميمة، وإن دور مـصر فى بناء التوجهات الفكرية والثقافية والعلـمية والتربوية فى عديد من بلاد العالم العربى والإسلامى، دور أبرز من أن ينكر، وأكبر من أن يهضم أو يجحد.

وقد عـرف لمصر هـذا الفضل المنصـفون من زعـماء الخليج من قـديم، فكانت وصيتهم لأولادهم دائما: أن تظل صلتهم بمصر مـوصولة غير مقطوعة، وما ذاك إلا لإدراكهم بأهمية دور مصر وحركتها على العالم العربى، وقد أثبتت الأحداث صدق هذه النظرة، فيوم أن تصدت مصر للعدوان الثلاثى الصـهيونى تصدى معها العرب، ويوم أن تعود إلى سـاحة المواجهة الجـادة الحتميـة مع العدو الصهيـونى فلا شك أن

---

(١) الوطن: ١٩/ ١١/ ١٩٩٧م.

العرب سيكونون معها فى عملها ويشدون أزرها.

وقد أثبتت مصر صدق نظرة رؤساء الخليج يوم أن وقفت بجهودها السياسية وجهودها العسكرية، وأرسلت جنودها ليكونوا جزءا من عقد التحالف العالمى الذى عمل على استخلاص الكويت من براثن الطاغية صدام، والعارفون بالأمور العسكرية المعنيون برصد حركات الجنود يذكرون أن الجنود المصريين فى عاصفة الصحراء كان لهم دور غير مسبوق فى متابعة زبانية صدام وإخراجهم من أرض الكويت.

والدول الخليجية مستهدفة كغيرها من البلاد العربية، والأحداث التى تجرى من حولنا دليل على أهمية دور مصر فى درء الشر والعدوان عن الأمة العربية، ومنع كثير من الفتن من أن تظهر برأسها فى أماكن شتى.

إن إحسان العلاقة مع مصر من أكبر عوامل الأمن والاستقرار فى هذه البقعة من الأرض على المدى القريب والبعيد، وإن إهمال العلاقة بين مصر وغيرها من شقيقاتها العربيات هو استمرار لاتساع الشقة، وإثارة الخلاف الذى لا يستفيد منه غير الأعداء.

ولقد كانت أحداث التطبيع التى قامت بها مصر مع الصهاينة، يكتنفها ويحيط بها عوامل داخلية اقتصادية، وضغوط خارجية سياسية، وأحداث دولية، تضغط عليها لتسير فى طريق التطبيع راغبة أو كارهة.

ولن تزول هذه العوامل الضاغطة إلا إذا التف العرب حول مصر فخلصوها أو عملوا على تخليصها من الضائقة المالية الى كانت أهم أسباب كثير من الظواهر التى شابت دور مصر القيادى فى العقود الأخيرة.

إن دور مصر هو دور القائد، وماذا يفعل القائد إن ابتعد عنه الأتباع وانصرف من حوله الأشياع، وأمسك عنه الغنى ماله وواجهه اللئيم بالسيف واللسان؟ أى قيادة لهذا القائد؟ وأى غناء ينفعه؟ وأى جهد يفيد من ورائه؟ إن الأمة العربية تبدأ قيادتها من مصر، وليس هناك ما يسد مسدها ويغنى غناءها؛ لأنها رأس الجسد العربى فلماذا يحاول البعض تنكيس هذه الرأس؟ ولماذا لا يحاولون أن يرفعوا هذا الرأس بما يملكون ليبقى للأمه شموخها وتبقى لها مكانتها، وتستعيد مقدساتها من أيدى الصهاينة.

إن هذه الدعوة كفيلة إن تحققت أن تثمر ثمرتها فى القريب قوة فى البناء، ووحدة فى العمل، وأمنا للجميع، وحفاظا على المؤسسات ووقوفا فى وجه الأعداء.

السادس عشر: مستجدات الساحة الإسلامية

تأتي الأحداث كل يوم بجديد، قد يكــون في ذهن الناس توقعه وقد لا يكون، ولكنه حين يظهر إلى الوجود يفــرض إعادة الحسابات، ويجعل الإنسان يعيد تقــييمه للأمور، ويزنها بموازين جديدة قد تتفق في نتيجــتها عما قدره، وقد تختلف، بل لا تكاد تمر ساعة إلا ويظهر جديد يغير التفكيــر أو التوجه نحو غاية معينة، وصدق الله العظيم إذ بيّن لنا هذه الحقــيقة في كتــابه بقوله ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾[1] قال العلماء شؤون يُبديها ولا يبتديها، أما نحن فشؤوننا نبتديها وقد نُبديها أو لا نُبديها.

ومع تغيــر الأحداث والحوادث فإن هناك أموراً ثــابتة لا تتغير ولا تــتبدل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هل يتغير النهــار أو الليل؟ هل تتغير السماء والأرض؟ لا يتغير شيء من ذلك، ولكن يتغير ما يحدث فيهما من حرارة أو برودة أو عواصف أو صحــو أوغير ذلك، هناك إذاً ثوابت لا تتــغير أبداً، وهناك مــتغيــرات تلحق بهذه الثوابت وتتغير من حين إلى حين.

ومن الأمور الثــابتة أن الدعاة إلى الله، حــملة الإسلام وهم يقــدمونه للناس لا يريدون بذلك منصباً ولا كرسياً، ولا جاها بين الناس ولا سمعة عندهم، إنما يريدون أن يتحــقق المنهج الإسلامي في المجتــمع، وأن تكون مرجعيــتهم الكبرى كــتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن تكون الشريعة الإسلامــية مظلة يحتمي الناس في ظلها من الجور والظلم والبــغي، دون نظر إلى أشخاص الدعــاة وذواتهم، فالفكرة هي الأصل وهي الأبقى، وهي المحــور الذي يلتف من حــوله المسلمــون، ولا تتــأثر فكرة ـ وإن عظمت ـ بغيــاب شخص ما وإن عــلا قدره بين الناس، «من كان يعــبد محمــداً فإن محــمداً قــد مات ومن كــان يعبــد الله فإن الله حيّ لا يموت» هذا إن كــانت الفكرة صحــيحة، أمــا إن كانت غــير ذلك فإنهــا تذهب بذهاب الداعين إليهــا المتحــمسين لنشرها، كمــا ذهبت الشيوعية من قاموس الحــياة الواقعية، ولم يبق منهــا غير ألفاظ مسجلة في كتب التاريخ.

ونحن ندعو إلى تحقــيق المشروع الإسلامي في مجتــمعنا، وهذه هي غايتنا التي

---

(١) الرحمن: ٢٩.

نسعى من أجلها، أما على يد من يتحقق ذلك فليس ذلك ما نبحث عنه أو نفكر به، لأن الأشخاص زائلون، والإسلام باق محفوظ بحفظ الله له، الأشخاص يتغيرون والإسلام لا يتغير، الأشخاص قد يتخلى بعضهم ـ في بعض البلاد ـ عن موقعه الدعوى نتيجة ترغيب أو ترهيب، وهذا لا يضر الإسلام في شيء **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾**(١)، وقد تتجه بعض الحكومات في عالمنا الإسلامي إلى التضييق على العاملين للإسلام نتيجة الضغوط العالمية القوية التي تتعرض لها هذه الحكومات، مما يجعل موقف الدعاة غير واضح القسمات في بعض الأوقات إلا أن دعوة الحق لا ينطفئ نورها، ولا تخمد جذوتها **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**(٢)، ولسوف يبقى صراع الحق والباطل أبداً، ويأبى الله إلا أن يحق قوله: **﴿وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾** (٣).

وهذا يدخل بنا إلى طبيعة الصراع بين المسلمين وبين اليهود ومناصريهم في الغرب أو الشرق، إن هذا الصراع صراع حضاري وهذا الصراع الحضاري، يتطلب منا ـ نحن أنصار الحق ـ أن نعي الحقائق من حولنا، وأن ندرك المخاطر التي تحاك للأمة على أيدي اليهود، الذين يودون أن يأخذوا الأرض والأمن والسلام لأنفسهم ولا أرض لغيرهم ولا أمن ولاسلام.

إن القضية بيننا وبين اليهود ليست الأرض المغتصبة فقط، إنها قضية الكيد للإسلام منذ ظهوره، ولكننا للأسف لا ننظر إلا تحت أقدامنا، فنحصر هذه القضية الكبرى التي تهم كل مسلم في الأرض بين اليهود وبين الفلسطينيين، ونغفل عن جوانب عديدة هي في ذاتها عناصر قوة لنا إن أحسنا استخدامها استطعنا أن نفوت الفرصة على أصحاب الضغوط الدولية على بلاد المسلمين من أجل السلام والتطبيع، ليس الصراع بيننا على أرض صغيرة حدودها فلسطين نتقاتل عليها أو على نهر الأردن أو مرتفعات الجولان، إنما الصراع بيننا وبينهم هو صراع حضاري قديم بدأ قبل مولده ﷺ، وهم يريدون أن يولد النبي عندهم، ولكن الله أكرم العرب بهذا الشرف العظيم، ومن هنا بدأ المكر اليهودي، وبدأت محاولات اغتيال هذه الحضارة الجديدة، وهي مازالت في طور المهد لم تتبلور في البعثة، ومن ينظر إلى البعد

---

(١) فصلت: ٤٦. (٢) التوبة: ٣٢. (٣) الزخرف: ٣٥ ـ ٣٧.

الحضاري بهذه الصورة يعرف كم هي المعاناة التـي يعانيها أصحاب الفكر عندما يرون أن الأمة الإسلامية ما زالت تعتـقد أن الحوار هو مجموعة من المتطرفين في هذا البلد أو ذلك تريد أن تغتال جندياً إسرائيلياً أو تغتال سائحاً أو كذا. . وكذا. .

والحقيـقة أن هذا الفهم هو مـا يريده اليهود، يريدون البقـاء على هذا الفهم في نظرة الصراع بيـننا وبينهم، ويجب أن تعي الأمة الإسـلامية أن المعـترك هو معـترك حضاري، وليس هو في إزالة المادتين الأولى والثانية من قـانون المقاطعة مع اليهود، أو في التطبيع وغيره، إنما القضية أكـبر من ذلك بكثير وعلى المسلمين أن يعوها وعياً كامـلاً، وحين ذاك ستنحصـر قضيـة التطبيع في عـملة ـ في البنك، ومبنى تحـرسه الدبابات، لن يزيد دعم الغـرب وأمـريكا للتطبيع عـلى ذلك، وهنا تكون الأمة قـد وعت حقيقة المعركة، ونتيجة لضياع مفهوم الصراع الحضاري تعامل العرب والمسلمون مع الانتخابات الإسرائيـلية تعاملاً سطحياً، فرأيناهم يـعرضون رئيس وزراء إسرائيل السـابق «بيـريز» على أنه حـمامـة سـلام، وكأنه لـم يحدث في زمن ولايـته قـتل للشقـاقي، ويحيى عيـاش، واجتيـاح جنوب لبنان ومجـزرة «قانا»، والمدقق يلاحظ بوضوح أنه لا فرق بين العمل والليكود إلا في درجـة الإجرام والإفصاح عن مخطط تدمير الأمة الإسلامية وببيان جدولي تتضح الصورة:

فلا فرق بين الاثنين إلا بدرجة الظهور والتعـبير عن العداء باللاءات الثلاث التي أطلقها اليهودي الجديد:

١ ـ لا للانسحاب من الجولان.

٢ ـ لا للدولة الفلسطينية.

٣ ـ لا للتنازل عن القدس.

مع رفض مـبدأ الأرض مـقـابل السلام، ورفـع شعـار السـلام مقـابل الأمن، وللأسف ولطبيعة فـهمنا للصراع العربى اليهودى، كانت المواقف العـربية ردود أفعال لم تدخل في دائرة صناعة الحـدث، وصياغة الاسـتراتيجيات، وبعـد هذا الاستطراد نؤكد على أنه يجب على الأمـة أن تعي جيداً أنه لا عزة ولا مـفخرة إلا بالاعـتصام بحبل الله المتين، ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾(١)، وأنه بمقدار ابتعادنا عن

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

هذا الحبل المتين تكون انتكاساتنا.

ثم يجب أن تأخذ الأمة الحياة في طور الجدية، فيكفي هذه الأمة هزلاً وميوعة، ويجب أن تربى أبناءها على الجـدية، تربى الصغار والنسـاء والرجال والشيـبان على الجدية الكاملة، ونحن للأسف الشديد نرى الطفل يهزل والمرأة تهزل، والشاب يهزل والرجل يهزل، بل وفي بعض الأحيان نجد حتى الحاكم يهزل.

وهنا لابد من التأكيـد على أهمية الوعي والمعرفة للمداخل العـجيبة التي يدخل فيها أعداء الأمة لتدميرها، فهؤلاء لهم من الوسائل ما يذكرني بحديث للشيخ حسن طنون ـ رحمه الله ـ يصـور فيه لقاء بين عيسى ـ علـيه السلام ـ وإبليس ـ لعنه الله ـ وكان مـعه الكثير من الأدوات التـي يضل بها الناس، فقال لـه عيسى: هل لي فيـها شيء؟ فقال إبليس: أتظن أني أتركك لأنك نبي؟ قال عيسى: ومـالي فيها؟ فرد عليه إبليس قائلاً: لك فيها الطعام أشبعك فتثقل فتنام فلا تقيم الليل.

نعم فالـيهود عندهم من الوسـائل الكثيـر الكثيـر، حتى أنهم يقـولون في أحد بروتوكولات صـهيون أنه ليس بالضـرورة أن يكون كل مفسـد من اليهود كمـا يقول أصحابنا العرب، ولكننا ننظر فيمن يقوم بخدمتنا فنتبناه إلى حين الانتهاء من غرضنا! وهنا يجب التنبيه إلـى قضية هامة جداً، وهي أنه قـد تستخدم حمـاسات الدعاة إلى الله ـ سبحانه وتـعالى ـ في تدمير ما تبقى من خيـر في الأمة، وأذكر في هذا الإطار قصة حقيقـية تبين هذا الأمر، فالشيخ محمد عبده ـ رحـمه الله ـ كان في البقاع في وقت كانت نفوس المسلمين تحوي ثورة على الفساد الموجود في الدولة العثمانية فخرج إلى مفتي بيروت وقال له: أريد أن أسافر إلى مصر ـ أم الحرية ـ فقال له: لم لا تكتب في صحيفتنا، فرد عليه قائلاً: إن صحيفتك تقوم بتمجيد السلطان وأنا أريد أن أنتقد السلطان، وهذا نفـسـه ما كـان يريده الغرب وتـريده الماسونيـة في تحـقيـر السلطان عبدالحميد.

سافر الشـيخ محمد عبـده إلى مصر وأخذ يكتب ويكتب، ومن غيـر أن يشعر ساهم الشيخ مـحمد عبده بقلمـه في تحقيق أهداف الغرب، وعندما انتـبه إلى الأمر سارع بالعودة إلـى البقاع حيث ألقى الفـرنسيون القبض عليـه لتدريسه تفسـير القرآن الكريم.

لقد سمح له الإنجليز والفرنسيون بأن يكتب ويقول ما يشاء عن الدولة العثمانية، ثم ألقـوا القبض عليـه لمجرد تدريسه القـرآن الكريم وتم إدخاله السـجن؛ ذلك لأن

الدور الذي كان الغرب يريده منه قد انتهى!!

أقول: يجب أن ينتبه الجميع حتى لا يكونوا معولاً في تحطيم ما تبقى من خير في بعض دولنا الإسلامية، وهذه قضية في غاية الأهمية، وللأسف تتكرر المآسي دائما في عالمنا الإسلامي.

ونحن نعيش زماننا هذا نرى أن المسلمين الآن في حالة استضعاف، والعالم تحكمه دولة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تريد هذه الدولة حتى لفرنسا أن تنافسها، فهي الدولة الوحيدة التي حاولت في اتفاقية الجات أن تحافظ على هويتها، وذلك على الرغم أنه لم يتبق من هويتها شيء.

هذا هو واقع الأمة الإسلامية، حتى في مجالات قوتها عندما كنا نحلم في أفغانستان، اليوم الوضع تغير وأصبح صراع الغرب وأمريكا يجعل منا مهزلة ولعل البوسنة والشيشان وأفغانستان وغيرها خير دليل على ذلك، كل هذه الأمور تستدعي ضرورة أن نعيد ترتيب الأوراق بشكل يظهر مع وضعنا ومع العالم الجديد، خاصة أن هناك ترتيباً جديداً للأوراق الغربية تظهر ـ من ناحية الشكل ـ الوفاق مع الإسلاميين، وتعمل في الخفاء على تحجيم العمل الإسلامي والقضاء عليه، ويساعد في ذلك بعض الدعاة من غير أن ينتبهوا إلى المنزلق الخطير الذي يدفعون إليه الناس من حولهم.

وفي الختام نقول: إنه رغم ما يبدو في الأفق من اعتكار في الجو بعد فوز الليكود في الانتخابات الأخيرة، ومن إعلان للتشدد من قبل رئيس وزراء إسرائيل الجديد، أقول ذلك لأني أظن أن اليهود يحاولون أن يكسبوا كل ما يستطيعون، فإن لم تُجدِ وسيلة ناعمة الملمس كالحية الرقطاء، والتي اتبعها بيريز في الشهور الماضية في زيارته لبلدان عربية أهديت له فيها خيول عربية وسيوف ذهبية وعقدت من أجله مؤتمرات، أقول إن لم تجد تلك الوسيلة الناعمة، ظهرت اليد الغليظة التي تبطش بهذا وذاك ممن يقف في وجه تحقيق الغاية، وهذا ما استعمله بيريز نفسه قبل أيام من هزيمته حين هاجم لبنان هجوماً مستمراً طيلة ستة عشر يوماً، وأعتقد أن نتنياهو سيفعل العكس يبدأ متشدداً فإن لم يُفد هذا التشدد ألان قليلاً بعد أن يتنازل الجانب المقابل عن القليل أو الكثير من المطالب.

وواجب الدعاة إلى الله وواجب الشعوب والحكومات الإسلامية أن تدرك دورها، وأن تعمل على حشد قوتها المعنوية التي لا تتحقق إلا بالإسلام ورد المكائد

الموجهة إليه وإلى الدعـاة وإلى الأمة الإسلامية كلها، حتي تبـقى في النهاية حضارة الإسلام، لا يؤثر فيها كيد الكائدين ولا مكر الماكرين، ولأنها من الأسس الثابتة التي لا تتغير، وإن تغيـر من حولها هذا أو ذاك، فهادن من غير مهـادنة، وسالم في غير مسالمة، وفرط حيث لا يجب التفريط، وأعطي الكثير حيث يغني القليل. ورغم هذا الكيد والمكر اليهودي، فإني أرى أن الغـد المرتقب هو للمسلمين الصادقين، وأن وعد الرسول ﷺ قادم لا محالة: «**لتُقاتلنَّ اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعـال فاقتله**»[1]، ونحن في انتظار الرجال الذين يحـققون بأيديهم هذا الوعد.

(١) أخرجه البخارى (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١)، واللفظ له.

السابع عشر: حوار في ظلال القمة العربية

بداية أنوه بتلك الموهبة الفذة التي أبداها الأستاذ الأديب غسان الإمام في عموده بجريدة الشرق الأوسط بعنوان (الشيخ والمارد)، وأستسمحه في هذه المداخلة مع المارد المنتظر في ثوب ناصح ليكشف له حقيقة الشيخ:

قال الناصحُ: أيها المارد في قنينته... كيف أنت ؟

لقد ساءنا فراقك... وغاظناً حبسك !

وقلوبنا معك... ودعاؤنا يشملك !

فكيف تَجُدك ؟

المـــاردُ: بعدما غرر بي البرغوثي بوعوده الزائفة !

هددني الشيخ بدحلان... وصفدني رجوب !

وجردوني من حَجَري... وهو ظلي وعدتي !

ولازال دم أبي ينهمر...

وجرح أخي يسيل...

ودموع أمي تسح ...

وعويلها لا ينقطع...!

الناصـح: عِنْـدِي مِـنَ الأَنْبَـاءِ مَـا ... لاَ قَـدْ يَسُرُّ وَقَـدْ يَضُرْ

عَنْ شَيْخِكُـمْ فِي الشَّـرْمِ أَوْ ... فِي قِمَّـةٍ عُقِدَتْ بِمِصْـر

المـــارد: ماذا عندك أيها الناصح ؟

إني أستبينك الخبر... وأستكنهك الحدث

فحدث ولا حـرج... وأفصـح عمـا كان

الناصح: أَرَادَ يَوْمـاً شَيْخُكُمْ أَنْ يَتَجُـرَا بِالْقُدْسِ وَالَشّعْبِ وَلَكِنْ مَا دَرَى

أَنَّ الشُّـعُوبَ نَوْمُـهَا مُـؤَقَّتُ وَالْقُـدْسُ بَيْتُ الـلَّهِ نِعْمَ بَيْتُ

فَـرَاح يُلْهِي شَـعْبَـهُ بكَازينُـــــوا يُنْسِـيهُـمُ الْهُمُـومَ أَوْ أَنْ يَحْـزَنُـوا
وَدَارَ فِي الْبِلَادِ كَـيْـمَـا يَجْـمَــعُ ضَـرِيبَـةً للْقُـدْسِ مِـمَّنْ دَفَـعُـوا
وَيَجْـمَعُ الْعَـتَـادَ وَالسِّلاحَـــا وَالْقَـوْسَ وَالْـنِّبَـالَ وَالرِّمَـاحَـا
لِكَيْ يُقَـوِّي جَـيْـشَـهُ الْعَـرَمْرَمَــا لِيَـحْمِ عَـرْشَـــهُ فَـلا يُهَـدَّمَـــا
وَكَيْ يُؤَدِّبَ مَـارِداً مُـسْـتَـبْـسِــلاً عَنِ الْجِـهَـادِ وَحَـمَـاسٍ وَالْعُــلا

المـــــارد: ليت شعري...!

أينوى الشيخ بي ذلك !

إذن لسان حالي وحال لساني يقول:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أَضَاعُوا... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

هات ما عندك يا ناصح وبيّن لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف ؟

الناصح: إسرائيل تهيئ جيوشها لحماية شعبها ومستوطناتها...

وشيخك يهيئ حرسه لحماية نفسه والقيام على راحته !

إسرائيل تدق طبول الحرب...

ويُعزفُ لشيخك موسيقى سلام دُويلته المزعومة.!

باراك يبارك إرهابي شاس.

ويلعن شيخك حركة حماس...!

قتل اليهود أطفال الحجارة...

وبادر شيخك بالقُبُل الحارة !

وصفقّ الإسرائيليون لشارون

وقبّل شيخك مادلين وأرملة رابين !

لقد قتلوا محمد الدرة

وقدم شيخك التنازلات مرة تلو المرة..!

المــــارد: هات ما عندك يا ناصحي.

هاتِ... هاتِ

الناصح: لقد مـزق شيخـك ميثـاقاً غليظاً قـوامه (الله ـ الرسـول ـ حطين ـ صـلاح الدين القـدس ثالث الحـرمين الإسراء ـ الجـهـاد ـ البنا ـ القسام ـ ياسين ـ مشعل...).

مـزق (مرارة ـ نكسـة ٤٨، ٦٧، انتفـاضة، حـجر، خـيانة أمـة، خشية الله، الأمانة، حساب، آخرة، جنة، نار ، جهنم).

ورأيته يـفتح ميـثاقـاً يستـفتح به لفتـح ويفتتح قـراءته بـ (دولة إسرائيل ـ مـائدة ـ طاولة ـ اجتماع ـ سـلام ـ استسلام ـ قـمة أو لقـمـة ـ شـجب ـ تنديد ـ اسـتنكار ـ أوسلو ـ كـامب ديفـيـد ـ مصافحة ـ ابتسامة ـ قبلة ـ كازينو ـ رجوب ـ دحلان ـ البرغوثي ـ دولار ـ جنيه ـ ريال ـ دينار ـ يورو ـ سها ـ زهوة).

المارد: وأين ذلك... وكيف؟ ولم؟ أين ؟ ومتى؟ ولماذا...؟!

الناصح: في ليلة من ربيع... وفي مصيف الشيخ المشروم

وفي قاهرة المفاوضات... بدا شيخك يتلألأ

كأساور سها... وبراءة زهوة...!

لا به ولا عليـه، وكـأن لا قدس ضـاعت... ولا ذرف دمع، ولا سال دم.

يزهو برجاله... ويحملونه في حِلّه وترحاله

فأُملِي عليه... وأَمَلي عليهم... وحاله كما وصف الواصف

يا حبذا من راقصٍ ... وقمة فيها رقص

أخذ العهود نهاره ... وعدوُّه منها مَلَص

متذبذب متخابث ... في نبذ عهد قد خَبَص

يبيعنا بقولنا ... وقوله بيع الرَّخَص

وينتوي إهلاكنا ... ما إن تلوح له الفُرَص

لاءات باراك اللعين... تقول إني ذو مَصَص

المـــارد: ثم ماذا هل دقت طبول الحرب بعد القمة... ؟

الناصح: نعم.. دقدقدت طبول الاستسلام.. وعزفت موسيقى الأنغام في أريحا وهرم القاهرة معاً...!

وبدا شيـخك كالـنعامـة (أم رئال) في قـول الحـارث بن حلزة اليشكري:

آنست نبأة وأفزعها القنا... هي عصراً وقدنا الإمساءُ

فترى خلفها من الرَّجعِ والوقـ... ـعَ منيناً كأنه أهباءُ[(١)]

المارد: لقــد سـمــعت أن شــيـخي نجــمـاً ثاقـبــاً وسط جـمــوع القـمــة (لا يهش ولا ينش!)

الناصح: نعم كان كالنجم الثاقب، في الشرم الناجب، للشيخ الخائب...!

يقال له... ويقال عنه

ويقال فيه... ويتقول عليه

وحاله كما قال طرفة بن العبد مع اعتذارنا له:

نَدَامَايَ بِيضٌ كَالنُّجُـــومِ وَقَيْنَةٌ ... تَرُوحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بَرْدٍ وَمُجْسَـــدِ

رَحِيبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ ... بِجَسِّ النَّدَامَى بَضَّةُ الُمتَجَـــرِّدِ

إِذَا نَحْـنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا انْبَرَتْ لَنَا ... عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوقَةً لَمْ تُشَدَّدِ

الناصح: بل نزيد على قـول طرفة ما قاله عن شـيخك أحد قـادة العسكر في دولة عسكر: «إنه كالراقصة...».

غـير أنهـا تتـحرى أن تكشف عن صـدرها الفـضي، وجسـدها اللؤلؤي...!

(١) انظر: المعلقة السابعة للحارث بن حلزة اليشكري (مجموع أمهات المتون ص٥٧٢)، ط الشئون الإسلامية قطر ١٩٨١م.

وشيخك يتحـرى أن يلملم شعثه، ويستر مـا انكشف من جسده وقد تجعدت أخاديده، ونجلت ساقاه، وجفّ ثدياه...!

وطالت مشافره... وفاح (نتن ياهو) منه

وحق عليـه وصف الشـاعـر الجـاهلي لأشـامـيط عـجـائز بُغت برؤيتهن فجأة فقال:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً مُذْ أَمْـــسِ

عَجَائِزاً مِثْلَ السَّعَالَى خَمْسِ

يَأْكُلْنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسِ

لاَ تَرَكَ اللَّهُ لَهُنَّ ضَـــرْسِ

وَلاَ لَقِينَ الدَّهْرَ إِلاَّ تَعْـــسِ

المـــارد: قل لي يا نصيحي هل قاطع الشيخ أوربا ؟

الناصح: معاذ الله... أيقاطعها وفيها سويسرا...!

وجيبه تقول: «إن مع العُسرَى سويسرا ».

تذكر أيها المارد عندما قال لك الشيخ: «هُوب»«هُوب»

لإرغامك على دخول القنينة...!

لقد أثمرت لديه «هوب.. هوب» .... «حَب... حُب»

أولاهما: (حَب) بالفتح حيث فُتح عليه ولملم

النقوط في رقصة الشرم، ورقصة القمة القاهرية.. !

وهي حَب من الحبوب والحصاد لمليار دولار... عرفت

طريقها اليسرى إلى سويسرا... جاهزة ليوم العسرى.

وثانيتهـما: (حُب) بالضم (للضم) والقـبل لأيادي السفـيرات والوزيرات أو لوجوه وأجسـاد الموسات في أريحا من حاشـيته وزبانيته فافهم أن «هوب هوب» أورثته «حَب حُب»

المـــارد: هل قاطع الشيخ أمريكا ؟
الناصح: على رسلك أيها المارد...
أتريدُ أن تحلّ بنـا اللعنات... ويتكدّر أنس شـيـخك عـرفـات!
وتقلقله بصـراخ زهوة على فـقـد لعبـها مـن «سيـاتل» وتأخـر
إحضار تساليها من «ديزني لاند».. !
أم تقلقله بتنكيد سها... ذات الجمال والبها...!
فمن لها إذن بالألماسات البارقات...؟
والألماظات اللامعات...!
تتحلى بها في كل المناسبات...!
وتبدلها مع ثيابها الفاخرات وجواربها الناعمات...!
لعمـري لئن قاطعهـا، فإنهـا لأمّ المأساوات، وكبـرى الطامات..
وذنب لا يغتفر..
ولكن الله سلم...!!
المـــارد: أما لنا من نقطة من بحر دولارات النقطة...
أو هل لنا من فتات لقمة من مائدة القمة.؟
الناصح: أما مال القواد فالقواد يعرف طريقه اليسرى إلى بنوك سويسرا..
وما كان للشعوب فقسمة شيخك العدلى... غير الضيزى..
فهي لأمك الثكلى... وعمك الجريح... وخالك الأسير...
ولإخوتك في سجون غزة..
وقـد اقتـصدوا الشـيخ فـوهبكم تفضـلاً بضـعة أبضـاع مئـات
الجنيـهـات تـقـيم أودكم وتدفع عـساركـم... وترفع من قـدر
شيخكم.
المـــارد: ماذا فعل قادة العرب لنا ؟
الناصح: لقد فعلوا الكثير والكثير..
صـاحـوا... وأبـرقـوا... وأرعــدوا.. وأزبدوا... وطنـطنوا...
وجعجعوا... ثم شجبوا إسرائيل وأدانوها
بألفاظ مـنتقاة بليـغة نقلتـها الفـضائيات سُـوّدت بها صـحائف

العالم العربي... وطبع منها آلاف النسخ بعدد الجيش الإسرائيلي.... !!

المارد: أيها الناصح لقد رأيت في منامي القدس تستصرخني وتقول:

دَنَّسَنِي شَيْخُكَ يَا مَارِدْ فَانْهَضْ فِي الحِيْنِ وَقُمْ جَاهِدْ
وَاكْسِرْ قِنِّينَةَ شَيْطَانِ وَادْحَرْ عَهْدَ الشَّرِّ الْفَاسِدْ
فَالشَّيْخُ يُجَنِّدُ حُرَاساً يَحْمُوهُ مِنَ الشَّعْبِ السَّاهِدْ
وَالشَّيْخُ يُزَكِّي أَشْبَاحاً لِلْحُكْمِ الْفَرْدِي الْفَاسِدْ
وَالشَّيْخُ يُهَادِنُ مَنْ عَادَى وَالشَّيْخُ يُسَامِحُ وَيُعَاهِدْ
مَادْلِيْنُ تُؤَيِّدُ يَاهُوداً وَالشَّيْخُ يُهَادِنُ وَمَنْ كَايَدْ
رُجُوبُ يُكَمِّمُ أَفْوَاهاً وَيُصَفِّقُ مَنْ لَيْسَ بِصَافِدْ
وَيُكَبِّلُ طِفْلَ الأَحْجَارِ وَيُجَاهِدُ مَنْ كَانَ يُجَاهِدْ
وَالْقِمَّةُ بَاعَتْ مَقْدِسَنَا بِالْبُخْسِ وَلَمْ يَحْزَنْ قَائِدْ

الناصح:

عذراً أيها المارد هلا غنيت أبي البراطم :
جاد الزمان لقد سناضل بأبي البراطم والقبل
سيحرروا الأقصى غداً يا للأمل يا للأمل
قد صاحبته حفنة من النفاق والدجل
دحلان يهتف حوله أعل هبل أعل هبل
عاشت كلوديا في أريحا والسكار في العسل
باراك بفعله ورجل فئول ذو عمل
والشيخ في شرم بمصر لعود مشروم الأمل
في خيبة في هيبة ورهبة وبالزلل

الناصح: أيها المارد اكسر عنك القنينة وادحرها واسحقها.

المـــارد: لا أستطيع، لقد سحرها وأحكم سرها، وحرزها وجهزها من الموساد الإسرائيلي.

الناصح : لا عليك باسم الله... وحول الله وقوة الله... ومع حماس وعلى الحماس وبالجهاد نكسرها.

اكسرها

دمرها

(يا مسلم فجر كالشهب

يا مسلم فجر باللهب

فجرها واكتب تاريخك

بدمائك واكتب للوطن).

الثامن عشر: رسالة إلى من يهمه الأمر.. عن وأد الأمة

أي رسـالة تلك التـي أرسل بهـا . . . أم أي هذا الذى هو المرسـل أم المرسل إليه . . . وعم أرسل وفيم أرسل وأي رسول . . . ؟ !!

أأرسل رسالة عن دمـاء المسلمين في فسلطين من أجنة تجـهضهم أمـهاتهم على الحدود رهبة من اليهود ، أم عن الأطفـال الذين يسقطون بالعشرات، أم عن الأرامل اليتامى والعجزة والمرضى والمصابين والمعدمين والأيتام . . . هناك .

ـ أم أرسل مكتوباً عن بعـض من تلكم الجثث المسلمة الزكية المتفحمة فى الهند قرباناً لراما حـيث حرقها المتطرفون الوثـنيون الهندوس عبدة الأوثان والبقـر والشجر والأنثى والذكر . . . . حرقوها عياناً جهاراً مستلذين بها . . . مبتهجين بصراخها . . .

ـ أم أرسـل تقريراً عن مسلمـي أفغانستان ممن تقتلهـم القنابل الحارقة التى تزن إحداها آلاف الكيلو جرامـات وتدك الجبال على رؤوس ساكنيها ثم تفـرغ حقدها على أشلاء منثورة فوق اليابسة المنبسطة، حتى اختلط الحابل بالنابل هناك وهلك سعد وسعيد وأسعد . . . !!

مـن مـقـاتل ومـدنى وطـفل وامـرأة وكهل وقطعـان ماشـيـة هي كل ميـراث أولئك . . . المطحونين .

ـ أم أبعث بتحليل عن مسلمي الفلبين الذين حوصروا بطائرات (إف ١٦) الأمريكية وبالأقمـار الاصطناعيـة الغربية لكى يحـسروا ويبـادوا وهم يمثلون ثلث الفلبين . . باسم مكافحة الإرهاب، كما سلخت الكنيسة الكاثوليكية بروما ثلثيها بتبشيرها فاستجالتهم عن إسلامهم إلى قبلة الفاتيكان . . . واسألوا إيمان الله بل مانيلا حاليا عنهم .

ـ أم أخط أسطرا عن مصير مسلمى چورچيا ومـسلمي حدودها مع الشيشان حيث چورچيا تعد العدة مع القوات الأمريكية لإبادة وسحق مسلميها ومسلمى حدودها .

ـ أم أبث أخباراً عن مسلمى الشيشان الذين يأكلون أوراق الشجر ولا يجدون معينا ولو بالدعاء، وقـد استعدى عليـهم الدب الروسي ثعالب أوربا وأسود وصقـور أمريكا لدكهم بمناسبة موضة الحرب على الإرهاب .

أم أحدث عن مسلمى الصين الذين يمنعون من أقل الحقوق؛ لأنهم مسلمون فيفسد حرثهم ويقطع نسلهم ويحجب صوتهم عن العالمين. . . بل وصل الحال إلى اعتقال من كان يضبط متلبساً بالصيام فى رمـضان الفائت. . . ومن كان منهم ذا سعة فإنه يمنع من ارتياد الطائرة باسم الإرهاب. . . واسألوا الأخبار تغنيكم وتقنيكم. . . !!

أم أبوح بالمكنون عن مسلمى كازخستان وأوزباكـستان الذين ذبح منهم عشرون ألفاً ودكت قراهم بكـاملها فى العقـد الماضى ويسكنون المعتـقلات والسجـون إلا القليل ممن رضى بالخوف ونعم بالحيف فبقي خارجاً عنها؛ لأنه حالف الشيوعيين من حكامها.

ـ أم أحدث عن الإسـلاميين فى كل أوربا وأمريكا وإغـلاق مؤسساتهم الخـيرية، ومصادرة أموال الكثير منهم باسم دعم الإرهاب. . .

وليـس إسلاميـو دولنا العربـية والإسلامية بأحسن حال منهم فى كثير منها. . وللحديث مقام آخر. . . !!

استجواب إلى الخاصة والعامة... «بأى ذنب قتلت أمتنا»:

أهتف وأنادي. . . قد يجدي الهتاف، وقد يسمع النداء. . . !!

يا حكام المسلمين بأي ذنب قتلت أمتنا ؟

يا أولى الأمـر. . . يا أهـل الحـل والعـقد من أمـة محـمد بأي ذنب تقـتل أمتنا. . . ؟ !

يا رجـال الأعمال. . . أيـها القـائمـون على المؤسسـات. . . أيها العـابرون للقارات. . . أيها المديرون. . . والعاملون بأي ذنب قتلت أمتنا؟!

أيها الأثرياء من أصحاب الأرصدة غير المرئـية وغير المعروفة عدداً، أين أنتم من وأد أمتنا. . ؟! أين أنتم من أثرياء عهد النبوة ؟ !

عثمان من جهز جيشاً واشـترى بئر رومة للمسلمين، وأين أنتم من عبد الرحمن ابن عوف وقادة وسادة أغنياء المسلمين ؟ !!

أيهـا الوزراء والنبـلاء والخـاصة أين أنـتم من وأد الأمة أيـن أزركم ونبلكم من خصاصة ومصاب أمتكم ؟!

أين ثم أين. . . ؟!

بيان إلى علماء وأجناد المسلمين ؟؟؟

أيها العلماء. . . يا أهل الفضل والمجد بأي ذنب تقتل أمتنا؟

أين الفكر. . . أين الذكر. . . أين درب الهدى. . . أين أنتم من علماء قدموا أعناقهم وسكبوا مدادهم فى سبيل افتداء أمتهم. . . ؟!

أين أنتم من سلطان العلماء العز بن عبد السلام بائع الملوك والسلاطين. . . .

أين أنتم من شيخ الإسلام ابن تيمية وجهاده وجهاره بالحق فى حضرة سلاطين الجور؟!

أم أين أنتم من السعيدين سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير قدم أحدهما جهده وعلمه وماله لاستنقاذ أمته، وقدم الآخر عنقه فذبح ذبح الشياه دفاعاً عن أمته إذ وقف فى وجه طغيان الحجاج.

يا أجناد المسلمين أجيبوا علي بأي ذنب قتلت أمتنا ؟!

أين العتاد. . . أين الجهاد. . . أين المنادي؟!

أين الصحوة والنفرة. . . والدفاع و. . . والارتياع والشجاعة. . . والشهامة أين . . . وأين وأين. . .

لماذا توأد أمتكم. . . ؟!

لقد عطبت ذخيرتكم من تخزينها. . وصدأت أسلحتكم من توقفها. . . وهلا أعملتموها فى استنقاذ أمتنا الموؤودة المسلوبة المرهوبة. . . ؟!

أين أنتم من بدر والأحزاب وحنين. . . ومؤتة أم أين أنتم من حطين واليرموك والقادسية. . . أين وأين وأين ؟!

« كيد بليل ومكر فى النهار للوأد المرقوب»:

لم تشهد أمة من الأمم ولادة ظافرة كتلك التي شهدتها الأمة الإسلامية، منذ أن اختلى الحبيب محمد ﷺ في غار حراء يتأمل في الليالي المقمرة حال البشرية، وما وصلت إليه من زيغ وضلال وانحراف عن منهج الله، فاستعبدتها الشهوات وأسلمت

نفسها إما لعبادة الحجارة أو النار، أو تخبطت في دياجير ما بقى من الأديان السماوية المحرفة، ومن أجل هذه الولادة تحمل رسول الله ﷺ أذى كفار قريش، ونالوا منه ومن أصحابه ما يناله أصحاب الدعوات التجديدية والتغييرية التي تبحث عن واقع أفضل لكل البشرية، فسال دمه الطاهر ﷺ، ورموه الأطفال بالحجارة في الطائف، وأوكلوا من يتبعه ويصفه بالجنون والسحر والكهانة، وتكالبوا وتآمروا على قتله في فراشه، ثم لحقوه إلى مدينته المنورة، أملاً في إجهاض ولادة جديدة للأمة والبشرية ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (١).

وكم اجتمعت قوى الكفر مع اليهودية للنيل من الدولة الإسلامية الوليدة، حتى وصلت الأمور في لحظة من لحظاتها، أن بلغت القلوب الحناجر وظن المسلمون الظنونا، ودفع المهاجرون والأنصار من أنفسهم ودمائهم وأموالهم وذراريهم الكثير من التضحيات؛ ليحافظوا على هذه الأمة الوليدة الصغيرة في صحراء الجزيرة العربية التي كانت في تلك الأزمان مليئة بالأصنام وعبادة الأوثان وقطع الطريق، والعرافة والكهانة والربا والقمار والزنا وكل رذيلة.

وقدرت إرادة الله لهذه الدعوة أن تستمر وتشب، فاستطاعت في أقل من مائة عام أن تنتشر في أنحاء المعمورة في الشرق والغرب والشمال والجنوب حتى تخطت أسوار الصين وجنوب فرنسا ودخلت أدغال إفريقيا وثلوج أوربا وآسيا، وحققت في أقل من قرن واحد ما عجزت عنه أمم أخرى في قرون، وقدمت للبشرية مواءمة رائعة للروح والمادة وللدين والدنيا، فأثمرت نماذج بشرية وأسلوب حياة، ظل مثالاً نادراً على المدينة الفاضلة التي تكلم عنها الفلاسفة، مما يجعل اليهودي يسلم عندما يرى عدل المسلمين، حتى وإن كان خصمه زوج ابنة رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورسول كسرى يتعجب عندما يرى ابن الخطاب ينام تحت شجرة بلا حرس ولا أبواب ولا حجاب، وترى المال الذي يتقاتل عليه الناس، ويذبح بعضهم بعضاً يفيض في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما ينادي عامله على أموال الزكاة فلا يتقدم أحد لأخذها فقد أغنى عمر الناس، وهذا ما لم تقدمه حضارة أخرى، حتى رأينا الرشيد وهو في بغداد يحادث السحابة ولا يبالي أين سيسقط خيرها؛ لأنه واثق أن خراجها سيأتيه.

(١) الأنفال: ٣٠.

هذه الأمة التي كـتب الله لها أن تكون شاهدة على الأمم الأخـرى، وأن تحمل رسالة الإنسانية الأخيرة الكاملة الشاملة بكل القيم والمبادئ الرفيعة، كان لا بد لها أن تتربص بها الأمم الأخرى؛ لأن التنافس العادل كـان سيقصي تلك الأمم لما تحمله من بذور فنائها بسبب مناهجـها القاصرة، واعتداءاتهـا المتكررة على حق الله في التشريع وتعبيـد البشرية له سبـحانه، وانحرافهـا عن الفطرة والطريق السليم، وكان من أجل تحقيق هذه الغاية لا بد من بناء تحالفات تصل في بعض الأحيان إلى حد التناقض من أجل هدف واحد وهو القضـاء على الأمة الإسلامية وقتل هذه الأمة، ومـنع رسالتها من الوصول صافية نقية إلى البشرية المعذبة بالمناهج الأرضية القاصرة.

أيها التاريخ قل.... واشهد «بأى ذنب قتلت ؟! »:

وقد حدثنا التاريخ عن تحالفات حاقدة وعبر عصور مختلفة أرادت التخلص من الأمة الإسـلامية كـياناً وحضـارة، فكان التحالف الأول مـا بين كفار قـريش ويهود المدينة، يدعمهم المنافقـون الذين كانوا جزءاً أساسياً من التحالف ضـد الإسلام مهما كانـت أطرافه، ثم بدأت تحـالفات أخـرى من النصرانيـة والتتـار والمغـول والمجوس واليهودية واللادينية وحـركة الزندقة والإلحاد والنفاق، واستمر الصـراع يشتعل أحياناً ويخبو أحياناً أخـرى، وينتقل من بقعة إسلامية إلى منطقة جغـرافية أخرى، وتسربل هذا الصراع بعدة أوجه ونظريات، فأشعلوا نار الفتنة في عهد الخليفة الراشدي عثمان ابن عفان، ثم ابتلوا المسلمـين بمحنة خلق القرآن، ثم جاء التتار والمغـول والصليبيين وأخذت هذه المعارك زمناً تاريخياً امتد لقرون وأقاليم جغرافية شملت الشام والأندلس وبلاد فارس والهند والسند وغيرها، وكانت الأدوار على اخـتلافها، تهدف إلى غاية واحدة هي وأد الأمة الإسلامية.

وقد استخدمت أسلحة كثيـرة لتحقيق هذا الهدف الدنيء، فشملت الدرع والسيف والرمح والسهم والمنجنيق والفـرسان، ثم المدفعيـة والقلاع والحصون والمســدسات، ثم الرشاشـات والطائرات والدبابات والسفن، ثم الغـواصات والبوارج البحـرية والقنابل النووية والجرثومية والكيماوية، ومثلما استخـدمت في السابق، الطعن والهمز والشعر والعقيدة والرسالة والـتزوير والغش والتحـريف، استـخدمت في هذا العـصر القنوات الإذاعـية والفضائية والإنترنت وسطوة الأعلام، وكل تقدم تقني وتكنولوجي لهذا الهدف.

ولا يمكن أن تنسى الأمة الإسلاميـة مفاصل أساسية في تاريخها كـادت أن يعلن فيها

المؤرخون نجاح أعدائها في قتلها ووأدها، فهناك معارك الردة، والفتنة، وخلق القرآن، والحملات الصليبية على القدس، والجنون المغولي والتتري على شرق العالم الإسلامي، ثم الضربات المتوالية لدولة الخلافة حتى أصابها المرض، وسقطت بالضربة القاضية؛ ليحقق الاستعمار انتصاراً ساحقاً قسمت فيها الأقاليم الإسلامية كما تقسم الأشلاء والغنائم.

وأد على الطريقة العولمية:

وقد شهد القرن العشرون أحداثاً جساماً، لا زالت الأمة الإسلامية تدفع ثمنها حتى الآن، وإن كانت ولا تزال أبية على القتل والوأد بفضل الله ثم الحركات الإصلاحية الفردية والجماعية التي نشأت هنا وهناك.

ويمكننا بكل وضوح أن ندرك أن أخطر حدث كان في النصف الأول من القرن الماضي هو سقوط الخلافة الإسلامية، وما تبع ذلك من انفراد المستعمر بالأقاليم الإسلامية واستعمارها ونهب خيراتها على المستوى المادي، والقيام بسياسات التغريب والتخريب وتذويب الهوية، وتأسيس أجيال تنوب عن المستعمر في فكره وسلوكه، وكان هذا على المستوى النفسي والروحي.

ثم جاء النصف الثاني من القرن الماضي، فكان أخطر أحداثه تنكيل العالم الإسلامي وتجزئته، وتقسيمه إلى وحدات منفصلة، فجعلنا المستعمر نغرق في هذه التفاصيل الدقيقة، وغيبنا عن النظر إلى الصورة الكاملة للعالم الإسلامي وأحواله وأحوال أهله، وزرعها فينا إقليمية وقومية حتى استطاع تفكيك اللحمة التي كانت تربط شعوبنا ببعضها البعض، وإن لم يستطع القضاء عليها قضاء نهائياً.

من التكامل إلى التجزئة:

ولو تركنا ما حدث للأقليات المسلمة التي كانت تعيش على أطراف دولة الخلافة حيث نالها من الأذى والتذويب ما نالها، فدفع المسلمون في البوسنة وألبانيا وكوسوفا والشيشان ومسلمي الصين ما دفعه قبلهم مسلمو الأندلس، نقول: لو تركنا هذه المآسي التي دفعت ثمن سقوط الخلافة لوجدنا أن المستعمر وضع يديه على أخطر منطقتين في العالم الإسلامي ولعب لعبته الاستعمارية المفضلة: فَرِّقْ تَسُدْ، كانت المنطقة الأولى هي بلاد الشام، ولا يخفى على أحد ما لهذه المنطقة الجغرافية من أهمية تاريخية ودينية واقتصادية وسياسية، فسلخها أول ما سلخها من الخلافة الإسلامية، ثم أصبحت تعرف

بإقليم بلاد الشام، فلم يكتف بذلك فقسمها إلى أربع دول سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، ولم يقنع بهذا التقسيم نظراً لما تتمتع به هذه المنطقة من تكامل بشري واضح، فقسمها إلى استعمار فرنسي لسوريا ولبنان واستعمار بريطاني للأردن وفلسطين، ثم جاء بخطوته الأخيرة فأقام كياناً في وسط تلك الدول وجاء بقطعان اليهود من روسيا وأوكرانيا وبولندا وألمانيا وأسس لهم دولة سمَّاها «إسرائيل» ولا زالت كالشوكة في خاصرة الأمة الإسلامية تمتص دماءها وتستنزف جهودها وتستهلك قواتها، وتشغلها عن التنمية والتقدم والعودة إلى التكامل والوحدة.

أما المنطقة الثانية التي اختارها الاستعمار فكانت شبه القارة الهندية التي تمتد على مساحة تزيد على أربعة ملايين كيلو متر مربع، وهي بذلك تعادل مساحة أوروبا عدا الجمهوريات الروسية، فبعد الاستعمار البرتغالي الذي بدأ في القرن الخامس عشر الميلادي، عندما اكتشف فاسكودي جاما رأس الرجاء الصالح، جاء الاستعمار الإنجليزي عن طريق شركة الهند الشرقية التي باشرت نشاطها التجاري في الهند عام ١٠٢٠هـ/ ١٦٠٠م، وظلت الشركة تتوسع بحجة حماية مصالحها التجارية حتى أصبحت القوة السياسية والعسكرية الأولى في الهند بعد ١٢٩ سنة من دخولها إلى الهند، ففي سنة ١٧٢٩م أرغمت الشركة آخر أمراء ميسور على التنازل عن نصف أراضيه لإنجلترا، وهكذا دخل الإنجليز دلهي، وعملوا على محو الطابع الإسلامي من دلهي ومدن الهند، وشهروا بالعداء ضد كل ما هو إسلامي في الهند، حتى إنهم حاولوا غزو أفغانستان لكنهم فشلوا، ثم تنازلت شركة الهند الشرقية عن أملاكها للحكومة البريطانية، التي جعلت من الهند إحدى مستعمراتها، وتنازل آخر سلاطين المغول من المسلمين «بهادر شاه الثاني» عن عرشه في عام ١٣٧٤هـ/ ١٨٥٨م، واستمر الاستعمار البريطاني في الهند حتى شعر بقرب زواله فقام بنفس اللعبة التي لعبها في بلاد الشام وفي نفس الوقت الذي تم فيه تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة لليهود وأخرى للعرب حسب قرار التقسيم الشهير، تم في سنة ١٩٤٧ إصدار قرار تقسيم آخر لدولتين واحدة للمسلمين في باكستان، وأخرى سلمت فيها الحكم لغير المسلمين في الهند، ثم توالت الانقسامات فظهرت دولة البنغال سنة ١٩٧١م، كما أن قضية كشمير لا تزال معلقة منذ عام ١٩٤٧م وحتى الآن.

قصة الإسلام في الهند:

ولأن الأمة الإسلامية كانت في أوقات صعود منحناها الحضاري للأعلى حريصة على القيام بمهمة الشهادة على الأمم الأخرى، فقد اهتمت مبكراً بنشر الإسلام في السند والهند منذ أيام الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب #، كما كانت هناك بعوث استكشافية لأحوال الهند والسند في عهد الخليفتين عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب ٪، وفي عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، نجح المسلمون في فتح أجزاء من غرب البنجاب، حيث استطاع القائد محمد بن القاسم أن يرفع راية الإسلام عالية على جميع بلاد السند في العصر الأموي، ودخل معظم أهلها الإسلام، كما كسب الإسلام في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أفواجاً جديدة من شعوب جديدة من شعوب الهند عندما دخل إقليم كشمير تحت راية الإسلام.

وتعد الدولة الغزنوية من أكبر الدول في تاريخ الإسلام والتي وسعت رقعة الإسلام فى الهند خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين ثم خلف الغوريّون الغزنويين في الحكم (٥٧٠ـ٦٠٢هـ/ ١١٧٤ـ١٢٠١م)، ثم جاء من بعدهم الخليجيون، الذين استكملوا فتح الهند خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، ثم فتح الخليجيون الهند إلى البنجاب غرباً، ومن جبال الهملايا شمالاً إلى تلال الوندهاي جنوباً، فأقروا السلام في الهند، وألزموا الناس بالشرع الإسلامي، وعنوا بالمساجد والعلماء، وشمل سلطانهم شبه الجزيرة الهندية كلها، وجاء من بعدهم آل تغلق الذين نظموا الإدارة وأنشؤوا نظاماً للبريد، وردوا المغول عن الهند بعد أن عاثوا الفساد فيها، وخصوصاً في إقليم السند، ويذكر التاريخ أن ابن بطوطة الرحالة الشهير تولى مسؤولية القضاء لمدة ثمان سنوات إبان حكم آل تغلق في دلهي.

كما شهدت الهند رجالاً عظاماً وقادة فتح من الطراز الرفيع أمثال الحارث بن مرة العبدي الذي وجهه الخليفة علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى السند، بعد أن كان الخليفة عثمان بن عفان #، قد وجه حكيم بن جبلة لنفس الغرض، وهناك أيضاً وجَّه عمر بن عبد العزيز البهاري، ومحمد بن القاسم الثقفي فاتح السند

وواليها، وجلال الدين أكبر الذي وصلت دولة الإسلام في الهند في عهده إلى غاية الاتساع والنظام والحضارة والرخاء والتقدم، وهناك شهاب الدين الغوري حيث يبدأ تاريخ الهند الإسلامية بعهد الغوريين، وهناك فيروز تغلق، الذي أنشأ ديوان الخيرات لتزويج الفتيات الفقيرات، وأنشا المستشفيات، وأنفق على روابط المجاهدين على حدود بلاد الإسلام، وأقام المساجد والرباطات، وألغى عادة «الساتي» التي كانت تفرض حرق الأرملة حية مع جثة زوجها المتوفى، وهناك محمود الغزنوي وغيره من القادة الفاتحين الراحمين الذين مروا على الهند.

وقد أضاف الإسلام الكثير والكثير لحضارة الهند مما لا يمكن إنكاره، وفي مذكرات «بابر» التركي معلقاً على الوضع في الهند قبل وصوله الإسلام يقول: لم يكن هناك في الهند وجود للخيل، ولم يكن يسمع عن العنب والبطيخ فالثلج مفقود، والماء البارد قليل، والحمام لم يعرف، والشموع لا وجود لها وكذلك الفوانيس، كان الظلام يغطي كل شيء، ظلام حقيقي.. وقد كان من عادة السيدات الهنديات أن يحرقن أنفسهن بالنار حداداً على وفاة أزواجهن، فحاول الحكام المسلمون إبطال هذه العادة...

ولقد وصلت حضارة الإسلام من التمكن والعز ما ترويه هذه الواقعة، عندما أرسل ملك إنجلترا جيمس الأول أحد سفرائه لمقابلة الإمبراطور المسلم «جانهجير» لخطب وده وإقامة علاقات دبلوماسية معه، فبقي السفير الإنجليزي عامين يحاول فيها مقابلة الإمبراطور المسلم فلم يتم له شرف المقابلة حتى توسل السفير الإنجليزي إلى الوزير الأول في البلاط لكي يعطيه رسالة يحملها إلى ملك إنجلترا ليتأكد من حضور سفيره إلى الهند على الأقل، فقال له رئيس الوزراء: «إنه لا يليق بملك عظيم أن يكتب رسالة إلى حاكم جزيرة صغيرة... يسكنها صيادون بائسون»...!!

لعبة الاستعمار:

وبعد أن حكم المسلمون الهند سبعة قرون كاملة، جاء الاستعمار البريطاني ليعيد الهندوس إلى التحكم في رقاب المسلمين والاقتصاص منهم، وبعد أن حكم الإسلام الهند، جاء دور الهندوسية لتحكم وهي عبارة عن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا

الحاضر حيث تطورت الهندوسية على أيدي الكهنة البراهمة، ثم تطورت في القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق قوانين «منوشاستر»، والهندوسية كتبها المقدسة مثل: «الفيرا» و«قوانين منو» وغيرها، ويلتقي الهندوس على تقديس البقرة ولها تماثيل في المعابد والمنازل والميادين، ولها حق الانتقال إلى أي مكان، ولا يجوز للهندوسي أن يمسها بأذى أو يذبحها، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية، كما يعتقد الهندوس بأن آلهتهم قد حلت في إنسان اسمه «كرشنا» ولهم نظام طبقي يقسم الناس إلى أربعة طبقات: طبقة البراهمة وهي الطبقة التي تقدم النذور للآلهة وتعطي الصدقات، وعندهم ابن البرهمي الذي يحفظ الكتاب المقدس هو «رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله» ولا يجوز للملك أن يجبي الضرائب منهم، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن يموت جوعاً، ولا أن يقتله الحاكم حتى ولو كان مستحقاً للقتل بل يحلق رأسه فقط.

أما الطبقة الثانية فهي طبقة الكاشتر أو الشنري وهي طبقة رجال الحرب، ثم طبقة «الويش» وهم التجار والزراع، ثم الطبقة الرابعة المحتقرة، وهي طبقة الشودر أو المنبوذين، وهي طبقة لها قصة عجيبة.

أين حقوق الإنسان عن هؤلاء؟

قد لا يوجد في العالم المعاصر طبقة ينالها من الاحتقار والأذى ما ينال طبقة المنبوذين في الهند، وهي الطبقة التي تقع في أسفل السلم بالنسبة للطبقات الهندوسية الأربعة، فهي طبقة حسب معتقداتهم أحط من البهائم وأذل من الكلاب، وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزاً، وإذا مد أحد المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصا قطعت يده، وإذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهمياً فعلى الحاكم أن يكويه وينفيه من البلاد، وإذا ادعى منبوذ أنه يعلم برهمياً سقوه زيتاً مغلياً، كما أن كفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء، كما أن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق المنبوذ الذي ناهز المائة كما يفوق الوالد ولده.

وقد كتبت رئيسة الوزراء الهندية السابقة أنديرا غاندي في كتابها «حقيقتي» عن هؤلاء المنبوذين فوصفت ماذا كان يفعله الطبيب الهندوسي إذا ذهب للكشف على أحد المنبوذين، تقول أنديرا غاندي: «كان الطبيب يضع بينه وبين المنبوذ حجراً، فإذا

أراد أن يسأل المنبوذ عن سبب علته وجه السؤال إلى الحجر!! وطائفة المنبوذين في الهند بالملايين وتقترب من مائة مليون أو أكثر؛ ولذلك وجدوا في الإسلام العز والمساواة فاعتنقوه، وقد انتبه الهندوس لذلك، فكان يصل الأمر في بعض الأحيان إلى حرق قرى بأكملها لمجرد أن أهلها قد أعلنوا إسلامهم، في الوقت الذي يطالبون فيه بالبقاء عبيداً أرقاء حسب المعتقد الهندوسي الذي يلاحظ هبوط المستوى الاقتصادي لأتباعه بسبب الطبقات التي لا تعمل، والنظام الطبقي الذي يعطل مبدأ تكافؤ الفرص.

وكشمير مأساة أخرى:

ولا زالت كشمير منذ عام ١٩٤٧م وحتى الآن وهي تحت الاحتلال الهندي الذي قام بممارسة العنف والاضطهاد لمنع الشعب المسلم من المطالبة بحق تقرير المصير وفقاً لتقرير الأمم المتحدة الصادر في يناير ١٩٤٩م، وقد تصاعدت الوحشية الهندوسية وبلغت ذروتها مع عام ١٩٩٠م حين أصدر البرلمان الهندوسي قراراً يسمح لقوات الاحتلال في الولاية والتي يزيد عددها على ٧٠٠ ألف عسكري ـ وهو أعلى نسبة لوجود عسكري في أي منطقة في العالم ـ بعملية استئصال المسلمين وقتلهم عشوائياً، والزج بهم في السجون والمعتقلات، ومراكز التفتيش والتعذيب وذبح أطفالهم وحرق شبابهم أحياء وهتك أعراضهم ونهب أموالهم، وإحراق بيوتهم ومنازلهم ومزارعهم، وقد قدم الشعب الكشميري تضحيات ضخمة في سبيل قضيته؛ حيث بلغ عدد الشهداء أكثر من سبعين ألف شهيد، وعدد الجرحى أكثر من ثمانين ألف جريح، وعدد المعتقلين أكثر من سبعين ألف معتقل، إلى جانب عشرات الآلاف من المنازل والمتاجر والمساجد والمدارس المدمرة والمحروقة، والآلاف من النساء اللاتي تعرضن للاغتصاب على أيدي الجنود الهندوس، كما أن هناك نصف مليون عائلة فقدت عائلها.

مسجد بابري يشهد:

في عام ١٩٩٢م قام هندوسي متطرف يدعى «إل كي أدفاني» ومعه مجموعة من الهندوس المتطرفين بالعدوان على مسجد بابري وهدمه، مما أثار فتنة طائفية في الهند راح ضحيتها أكثر من ٢٠٠٠ شخص، وبعد هذه الحادثة بعشر سنوات يعود الهندوس

لإكمال اللعبة حيث باتوا مصرين على بنـاء ما أسموه معبد للإله رام في منطقة أيوريا، وهو نفس المكان الذي كان مـقاماً عليه مـسجد بابري التـاريخي، الذي هدمه الهندوس دون خوف من قانون أو رادع، مما جـعل المسلمـين يثورون للعدوان على مـقدساتهم، حيث عـاد الهندوس المتطرفون وبتـوجيه من المجلس الهندوسـي العالمي «فيـشوا هندو باريشاد» إلى محـاولة بناء المعبد الذي حدد له تاريخ ١٥ مارس الحالي مما جـعل أعمال العنف تعود مجدداً إلى الواجهة؛ حيث راح ضحيتها حتى الآن أكثر من ٨٠٠ شخص ثلاثون منهم مـسلمون حـرقوا أحـياء، بل واضـطر بعض المسلمين رجالاً ونسـاء إلى الاختبـاء في المساجد خوفاً من إحراقـهم أحياء، حتى أن إحدى ضواحي مـدينة أحمد آباد، عاصمـة ولاية «غاجارت الهندية» وجـد مكتوباً على أحد جدرانهـا: «تعلموا منا كيف تحرقون المسلمين» مما جـعل ١٢ منظمة إسلامية تعلن أن «الطريقة التي سـمح فيها بقتل المدنيين المـسلمين الأبرياء بلا هوادة قد تدفع مسلمـي الهند إلى اللجوء لهجـمات الانتحارية بدافع من اليـأس» دفاعاً عن دينهم ومقدساتهم، ومـسجدهم الذي هدم على الرغم من أن تاريخه يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي.

إسرائيل والهند: محور جديد للشر:

إن التطاول الحاصل في المواقف اليهودية والهندوسية يدعو للتأمل والتساؤل عن محور الشر الجديد الذي يـسعى هو الآخر في محاولة وأد الأمـة الإسلامية وقـتلها، بل إن وفود إسرائيل كثيراً ما تؤكد في زيارتهم للهند على مواجـهة الخطر الأصولي المشترك، سواء عبر منظمة حـماس أو حركة المقاومـة الكشميرية، كـما تدعو إسرائيل الهند إلى تنـسيق كامل ومشتـرك بين دلهي وتل أبيب لتبادل المعلومات والخبـرات في هذا الجانب؛ ولذا فليس من المسـتغـرب أن تشهـد التقـارب بين حزبي فـاجبـائي الهندوسي المتطرف وحـزب شارون الصهيوني المتعصـب، واستعدادهما للتحالف معا ضد العالـم الإسلامى، حتى إن شيمون بيريز وزير الخارجـية الصهيـوني يصرح بأن الهند وإسرائيل تنظران إلى القـضايا والأوضاع الراهنة بعين واحـدة، كمـا أن البوابة الهندية خـير وسـيلة لإسرائيل للدخـول إلى الدول الخليجية والاستثمار فيها حيث تكثر العمالة الهندوسية في أسواق الخليج.



الفصل الثاني

نقوش حركية وفكرية

مدخـــل

لا شك أن الإسلام دين يقوم على الفكر الصـحيح، والنظر الصائب فى الأنفس والآفاق، فـلا بد للحركة الصـحيحـة من: عقل ذكى، وقلب نقى، وحركـة دائبة لا تنقطع، وصدق فى تحمـل الأمانة وتبليغها على السـواء، ولذا كان من الواجب النظر إلى الأفراد وكيف ينظمـون تنظيمًا دقيقًـا، والمؤسسات وكيف نحافظ عليـها، وكيف نوفق بين الثابت والمتغير، بين الأصالة والمعاصرة.

وأيضا كيف نرد السهام التى تتعـرض لها الدعوة الإسلامية من الداخل والخارج، وكيف نرص صفوف العاملين للإسلام كأنهم بنيان مرصوص؟!

ومن هنا كانت هذه النقوش الحركية والفكرية التى نتابعها فى هذا الفصل.

المبحث الأول

الصدق في الخطاب الدعوي

أهمية الصدق ومنزلته:

الصدق قيمة أخلاقية واجتماعية عليا، قيمة في ذاتها وقيمة في مؤداها، فعن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا**»(١).

فالصدق من دلائل الإسلام وعمق الإيمان، ولا يصبر عليه إلا من كان يرجو الله واليوم الآخر.

والصدق من صفات المرسلين، قال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾(٢)، ولعظم مكانة الصدق وسمو معانيه نسبه الباري عز وجل لنفسه في العديد من الآيات البينات في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾(٣)، وكذلك: ﴿**قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾(٤) وأيضا: ﴿**ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ**﴾(٥)، ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾ (٦).

أما على مستوى رسالة الإسلام، فقد تحلى رسول الله ﷺ بالصدق منذ ما قبل الرسالة، فكان يعرف بالصادق الأمين، وعلى هذا رباه الله سبحانه وتعالى ليكون نبراسا للبشرية وقدوة للمؤمنين، ولقد شهد له المشركون بذلك قبل الرسالة، لكنهم تحولوا بعد دعوتهم للإسلام استكبارا منهم واستعلاء، يروي الطبري أنه لما نزلت آية: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾(٧)، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد على الصفا، فهتف: «يا صباحاه**!**» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فقال: «**يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف.. فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذبا (٨).

لقد كان رسول الله ﷺ في كل أقواله وأعماله صادقا داعيا للصدق لما فيه من سلامة ونظافة للنفس وللمجتمع، فالمجتمع الإسلامي مجتمع متعاضد مرصوص

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) عن ابن مسعود.

(٢) يس: ٥٢. (٣) آل عمران: ٩٥. (٤) الأحزاب: ٢٢.

(٥) الأنبياء: ٩٠. (٦) النساء: ٨٧. (٧) الشعراء: ٢١٤.

(٨) ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري ٢ / ٣١٩ ط، دار المعارف مصر.

مؤسس على الإيمان والأخوة.. والصدق مدعاة للأخوة ورابط من روابطها، وطمأنينة للمجتمع ونمو صحيح لعلائقه، قال رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»(١)، ولقد أمر الله تعالى المؤمنين بالصدق ودعاهم إليه بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (٢)، وبين لهم ما أعد للصادقين وللصادقات منهم تشجيعا ودفعا إيمانيا لمزيد من الصدق، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾(٣).

هذا المعيار الإسلامي للصدق هو من الثوابت الإسلامية التي لا تتغير ولا تتبدل مع تغير الظروف وتطور الحياة، وإذا كان الصدق مطلوبا في حياة وسلوك المسلم بكافة أبعادهما، فإن ذلك يمتد في حياته الخاصة والعامة، وينطبق على الأفراد والجماعات... وإذا كان الرعيل الأول حريصا على تحري الصدق فكيف حال الرعيل الحالي في تحري الصدق في خطابه الدعوي العام للمجتمع، وفي خطابه الدعوي التنظيمي الخاص في الجماعة، وفي علاقته الخالصة مع الله سبحانه وتعالى؟

الصدق مكابدة:

الحركة الإسلامية بلا شك تحمل مشروعا إسلاميا شاملا متكاملا، منطلقة من خلال خطابها الدعوي الذي عم أرجاء المعمورة بين مد وجزر، وعلى الرغم من كل الصعوبات والتضييق على الحركة بقي خطابها الدعوي محط احترام القريب والبعيد، وأنتج هذا الخطاب بصدق أبنائه وتضحياتهم صحوة إسلامية مباركة، غيرت ملامح المجتمع الإسلامي بأسره بعد انقطاع وبعد عن الإسلام، إلا أن ذلك لم يمنع الأبواق المتعددة المتضررة من دعوة الإسلام، أن تكيل التهم والإشاعات وتلفق الأقاويل على أبناء الحركة الإسلامية، وهذا قدر المؤمنين شبيها لسير الأنبياء والرسل، وهذا هو رسول الله الأكرم محمد ﷺ الذي عرف في قومه بالصادق الأمين، افتروا عليه بعدها بالشاعر والكذاب والمجنون.

استمر الخطاب الدعوي، شفافًا صادقًا، ولكن هذه المسيرة لم تمنع من ردود بعض

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٥٧٢٩)، وصححه الألباني.
(٢) التوبة : ١١٩. (٣) الأحزاب: ٣٥.

الضعفاء الـذين سقطوا بسوء خلقهم، وبشعب النفاق التـي تغلغلت إلى نفوسهم، وهذه سنة الحياة، يميز الله تعالى الخبيث من الطيب، فالصدق ليس بالتمني بل بالمغالبة والمكابدة، ويكون في القصـد والقول والعـمل، القصد في كـمال العـزيمة وقوة الإرادة على السـير إلى الله. . وصدق القول يكـون بنطق اللسان بالحق والصواب فلا ينطق بالبـاطل أي باطل كان، ويكون الصدق في الأعمال بأن تكون وفق المناهج الشرعية والمتابعة لرسول الله ﷺ(١) .

وحيث إن الإنسان خطاء بطبعه، فإن انحرافه عن الصدق لغاية في نفسه أو لكسب سريع يتوقعه، يحصل في الكثير من الأحيان ويلتزم بشكل دائم مع ضعف الإيمان.

والإنسان بخـير ما دام يحس بخطئـه، ثم يعمل على تصحـيحه. . . أمـا دعاة الإسلام فينبغي أن يكـونوا أشد الناس حرصا على معرفة عـيوبهم. . والوسائل التي يمكن بها التـعرف على العيـوب الكثيرة أهمـها: مجـالسة العلماء العـاملين والدعاة الصالحين ومـصارحتهم وطلـب النصح منهم، واتخاذ أخ متـدين تقي صادق ليكون رقيبـا عليه، وأن يتعرف الشخص على عـيوبه من عيوب الناس، فكل ما رآه قبـيحا مذموما عندهم فليجتنبه (٢) .

توسع الحركة الإسلامية:

ومع انفتـاح الحركة الإسـلامية على الجـماهير، وتوسـع إطار عملها ونشـاطها تنوعت خطاباتها الدعوية والسياسية بما تمليه المناسبات والظروف، هذا التوسع كان في الغالب على حساب الخطاب الدعوي الداخلي التنظيمي.

أمام هذا الواقع الجـديد وجدت الحركة نفـسها تجـاه عدة أشكال من الخطابات، تختلف في المضـمون باختـلاف الأشخاص والشرائح الموجـهة إليهـا، من هنا صرنا نشهد منذ فترة الثمانينيات تحـولات هامة في الخطاب السياسي، على مستوى المفاهيم السياسيـة، وعلى مستوى العلاقات مع الآخرين وعلى مـستوى المطالب. . . وكانت تحكم تلك الخطابات بالظروف الآنية المحيطة بها. . . وهذا مـا قد يتراءى للبعض بأنه انحراف عن المنهج وخروج من دائرة الصـدق والمصداقية. . إلا أن المتتـبع للموضوع بدقة وتجرد يرى أن الحركة الإسلامية ما تزال متمسكة بثوابتها السياسية والدعوية.

(١) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، ص ٣٣٤، مكتبة المنار الإسلامية ـ بغداد ١٩٨١م.

(٢) فتحي يكن: مشكلات الدعوة والداعية، ص١٨٤ ـ ١٨٧، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٨م ـ ط١٠.

ولم يخرج خطابها عن هذا الإطار، إنه التبديل والتـجديد كان وما يزال يحصل في الفتاوى الاجتهادية التي يمكن أن تتبدل من زمن إلى زمن، ومن قطر إلى قطر.

أما فيما يتـعلق بالخطاب السياسي، فقد شهد تغيـرات فى أكثر من الخطاب الدعوي، والحركة بشكل عـام لم تتمرس في الخطاب السياسي كـما تمرست بالخطاب الدعوي، من هنا نرى في كثـير من الأحيـان تداخل الخطابين معـا، وعدم وضـوحهـما، أو منافاتهـما للموضوعيـة والعقلانية، حيث يحتويان على الـكثير من المبالغة كسائر الخطابات السـياسية الحزبية.

إن انطلاقة الحـركة الإسلامـية للعمل العـام بشكل واسع، ودخولها في أجـهزة الدولة على مستوى المشاركـة في السلطتين التشريعية والتنفيذية، دفع ببـعض قيادييها إلى عدوى الحزبية التي تفتش على منصب ومركز، وتناور من أجل ذلك، وقد يؤدي بها الأمر إلى التحول عن خط الصدق الذي لا يعتبر جزءًا من عقيدتها ودعوتها.

إن الحركة الإسلامـية تأثرت إلى حد بالجو الحزبي الذي تعيشـه البلاد العربية.. حتى كادت تتلوث طبـيعة العمل الإسلامي وأسـاليبه بالروح الحزبية الضـيقة التي لا تتفق بحال ونزعة الانفتاح والإنسانية في الإسلام..إن للإسلام طبائع خاصة مميزة في عقـيدته ـ ومـبادئه ـ وأساليـبه، وأهدافه ـ وغـاياته ـ كمـا أن له مقاييس ثـابتة ليس للظروف والأحداث المتحركة من سلطان عليها أو تأثير فيها[١] .

ومن تلك المقاييس الثابتة موضوع الصدق الذي إذا ما ابتعد عن الخطاب الدعوي والسيـاسي للحركة الإسـلامية ابتعـدت هذه الحركة عن الإسـلام، وكما أشرنا فـقد يختلف الخطاب الدعوي عن الخطاب السياسي في فتـرات التحول وقد يضمحل هذا الخطاب أو يكبر إلا أن المصداقية فيه يجب أن تبـقى وتستمر، فالمسلمون صادقون لا يبيـعون وعـودا ولا يستـغلون حاجـات الناس ومتطلبـاتهم فيـغرونهم بالـوعود ثم ينكثونها، قال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[٢] إنه الصـدق حتى النهـاية، الصدق في الكلـمة، الصدق في النية، الصـدق في الجهاد، الصدق في الشهـادة، تلك هي صفة المؤمنين في رسول الله ﷺ وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) فتحي يكن: مرجع سابق، ص ١٣٢ .

(٢) الأحزاب: ٢٣.

والصـدق في العـمل والقـوى والمؤدى، يتطلب أيضـا الصـدق في النقل، فكم مشكلة حصـلت وفرقت بين الإخوان من جراء نقل مغـلوط وكاذب للأحداث، وكم أدت عدم الأمانة في النقل إلى تخريب المجتمعات، إن كان في عهد النبوة والصحابة أم في عهـدنا الحالي، إلا أن الإسـلام تصدى لهـذه الظاهرة الخطيرة الـتي يستغـلها المنافقون لتخريب المجتمع وتصفيته من داخله وتخلخل قيمه.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (١)، يخاطب الباري ـ عز وجل ـ المؤمنين بأن لا يسمعوا لكل خبـر، ولا يصدقوا كل إنسـان، بل يتحققـوا من الأمر(٢)، لكن المهم أن يلتزم المسلمون بهذا التوجيـه، وألاَّ تبنى الخطابات والمواقف على أنباء لا ندري صدقها من كذبهـا، وبخاصة مع تطور وسائل الإعـلام والدعاية التي تستـعمل الحرب النفسـية لتحوير الحقائق وتسخر كل وسائل التكنولوجـيا لذلك، فالعدو متربص والمنافقون لا يزالون يرتعون كـما في عهـد النبوة وعهـد الصحابة، ولا نسـتطيع أن نواجه إلا بما أعطانا الله سبحانه وتعالى من تعاليم تضمنها القرآن الكريم نبراسًا لنا وهديًا.

ويبقى الأصل أن نحـافظ على خصوصـيتنا، وأن يعبـر خطابنا عن مرادنا لا أن يكون ترددا لما يريده الآخرون، وألاَّ ننزلق في الخطاب لمصالح شخصية زعامية يلوح شبحها من حين إلى آخر.

الالتزام بمبادئ الإسلام:

وإن كان ذلك الأمر معتمدا لدى الأحزاب غير الإسلامية، فإن خصوصية الحركة الإسلامية تفـرض عليها التزاما إسلامـيا بتطلعاتها وخطواتها وخطابهـا، فإنه بسلامة الوسيلة وضـمان مشـروعيتـها، وموافـقتهـا لروح الإسلام، تتـحقق صيـانة العمل الإسلامي في كل انحـراف... وإذا كانت طبائع الحركات الحـزبية، تعتمـد ـ مثلا ـ الطرق الملتوية غير الكريمة في سبيل تحـقيق أهدافها، وتستسيغ من أجل ذلك كل لون من ألوان الخداع والتضليل، فإن الحركة الإسلاميـة تأبى عليها عقيدتها هذا النوع من الوسائل(٣).

(١) الحجرات: ٦. (٢) محمد على الصابوني: تفسير آيات الأحكام ٢/ ٤٧٣، دار إحياء التراث العربي.
(٣) فتحي يكن: مرجع سابق، ص ١٣٤، ١٣٥ .

ولا يقل أهميـة عن صدق الخطاب الدعـوي والسياسي الموجـه إلى الجمـاهير - صدق الخطاب الداخـلي الموجه إلى القواعـد؛ لأنه عندما تكون القـواعد مبـنية بناء سليما، الصدق من سماته، فإن ذلك يشكل لها قوة تنعكس على الخطاب الجماهيري والعكس بالعكس.

فقـد يتسع الخطاب الدعوي والسـياسي الموجه، ويشغـل الجميع وتبذل فـيه كل الطاقات، ولكن لا يرافقـه خطاب تنظيمي على ذات المستوى للقواعد، فـيصبح أبناء الحركة في غربة، فالخطاب الجماهيري يوجه للجـماهير ولا يواكبونه تنظيميا، فهم لا يدرون ماذا يحـصل وهكذا يصبحون لقـمة سائغة للشـائعات والأقاويل التي تسـتبد بهم، وتكون في معـظمها عـارية عن الصدق والحقـيقة، إضـافة إلى ذلك يجب أن يحصل تجاوب وتوازن بين الخطاب الجماهيري والخطاب الداخلي، وأن يكون الصدق منطلقا للخطابين تجنبا لأي تناقض، فإنه وفي كثير من الأحيان وبسبب قلة المعلومات وندرة الاتصـال بين المسـئولين والقـاعـدة تدخل أمـور كثـيـرة من الظنون والأفكار والتخيلات والدعايات تحاول النيل من مصداقية الدعاة وخطابهم.

وهنا لا بد أن نحيي فينا وفي المجتـمع تحري الصدق في الأقوال والتلقي عن الناس والذي يتحرى الصدق لا يسمح لنفســه بأن يلقى كلاما جزافا دون ترو ولا بصيرة، ولا يسمح لنفســه بأن يتبع ما ليس له به علم، فيحكم بالظنـون التي ليس لها ما يؤيدها من الأدلة الكافيـة للإثبات والنفي، ولا يسمح لـنفسه بأن يرائي أو ينافق في أعـماله؛ لأنه يحرص على الصدق ويتحرى بإرادته الجازمة الصدق في أقواله وأعماله(١).

إن الصدق دعـامة أساسيـة للخلق الفاضل والمجتـمع الفاضل، كمـا أن الصدق دعامة أساسية لنهضة المجتـمع وتقدمه وتماسكه، فإن تحري الصدق في جميع المواقف يدفع عن المجتمع المسلم غائلة الظنون لتبقى الحقائق راسخة لا يغشاها ظن أو ريب، ما دامت عادة الصدق تسود سلوك أفراده(٢).

ومن أولى بالصدق من الحركـة الإسلامية؟! إن ما يبنى عـلى الصدق يبقى بناؤه قويا، وما يبنى على الكذب يكون بناؤه هشا ومتداعيا.

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/ ٥٣٧)، دار القلم ـ دمشق.

(٢) محمد السيد الزعبلاوي: تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مؤسسة الكتب الثقافية ـ الرياض ص٣٤٦ .

والصــدق يكون مع العــدو والصــديق، فـلا يحـل الكذب في التـعـامل اليـومي (الاجتماعي والدعوي..)، ولا يحل خيانة الأمانة، والنكث بالعهد مع الصديق والعدو على السواء، وكم حـري بنا أن نتعلم مسلك الصـدق من رسول الله ﷺ مع أهل مكة الذين كادوا له وأخرجوه وأصـحابه وهو يستعد للهجرة، فأمـر عليا # أن يتخلف بعده بمكة حـتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عـنده للناس، وكان رسـول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته[1].

لقد جاهد رسول الله ﷺ صادقا أمـينا حتى أتاه النصر والرضا من الله تبارك وتعالـى، ونحن في هذه المرحلة من مراحل الأمـة الإسلامـية إنما نحتـاج لأن نكرر تجربة رسـول الله ﷺ بصدقه وجـهاده وأمانتـه، متوسلـين إلى الله ـ تعالى ـ أن يكتب لنا نصره، إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١) عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام ص١٢٩، دار إحياء التراث ـ بيروت.

المبحث الثاني: بناء الأمم

أولا: صناعة الأفراد وبناء المؤسسات:

على مدى تاريخ الأمة الإسلامية بعد عصر الصدر الأول، الذي ظهر فيه نوابغ الرجال في شتى الفنون العلمية والحربية التي كانت ذائعة حينذاك، بعد هذا العصر بمن حفل بهم من الرجال، لم يتوقف تيار رجال الإصلاح المخلصين، في العديد من المجالات من أجل أن تظل راية الإسلام خفاقة فوق أرض الإسلام، وتعاليمه الحية في قلوب الرجال، تدفع بهم لأن يواجهوا كل انحراف ويقاوموا كل اعوجاج، ويباركوا كل اعتدال مستمد من نهج الدين القويم.

ولو ذهبنا نعدد أسماء هؤلاء الرجال لنقلنا كثيراً من كتب التراجمات والأعلام، ويكفي أن نذكرك بهذا الأثر: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»، ولم تخرج الحركات الإسلامية المعاصرة عن هذا الميراث، فأخرجت للناس نماذج فذة من أبنائها كانوا مدداً جديداً متدفقاً في التيار الإصلاحي للأمة الممتد عبر الزمان بعد عصر الصدر الأول.

وهؤلاء الذين أخرجتهم الحركات الإسلامية تفتخر الأمة بوجودهم، وتعتز بجهودهم التي امتدت من باكستان شرقاً، وحتى الجزائر مغطية في ذلك معظم أرض الإسلام المعروفة، فكان هؤلاء الرجال ملح الأمة ودواؤها من علل التيارات غير الإسلامية التي تمرح وتمضي في عالمنا الإسلامي، دون عوائق تذكر إلا حين يتصدى لها أمثال هؤلاء الرجال بما آتاهم الله من فقه وبصيرة وتقوى وإخلاص، فيبينون للناس فساد هذه التيارات ويكشفون لهم زيفها، وأنها في نهاية الأمر ملح أجاج لا يروي غلة لظامئ يريد ماء، وهم لم يفعلوا ذلك ابتغاء عرض من أعراض الدنيا، وإنما فعلوه ابتغاء مرضاة الله، ولذا كانوا صادقين في دعوتهم الناس إلى الله، وكانوا مضحين في سبيل هذه الدعوة بوقتهم وأموالهم وجهودهم، بل ضحوا بأنفسهم حين اقتضى الأمر ذلك، فاستقبلت أعواد المشانق في أكثر من بلد رقاب بعض الداعين إلى الله على بصيرة، واستقبلت السجون والمعتقلات أجسام كثيرين منهم لسنوات عديدة، فما لانت لهم قناة، ولا ضعفوا ولا استكانوا، بل كانوا صابرين ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ**

الصَّابِرِينَ﴾[١]، ولم يتوقف عطاؤهم الدعـوي للناس تحت إرهاب أو ترغيب، فعـفّوا عما في أيدي الناس فأحبهم الناس، لأنهم أدركوا أن الدعـاة لا يبتغون من أحد نفعاً ولا ضرا، وأنهم يقولون ما قاله من قبلهم المرسلون: **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾**[٢]، لا غرابة إذن أن يحقق هذا الضرب من الدعاة النجاح.

وهذا النجاح الذي حـققته الحركـات الإسلامية في بناء الأفـراد، الذين تبرز من بينهم هذه النماذج لم يصـاحبه أو يواكبـه بناء المؤسسات وإقامتـها، تلك التي تكون ركائز يستند إليـها أبناء المجتمع أجمـعين، وليس الحركات الإسلاميـة وحدها. لقد اتجهت الحركات الإسلامية المعاصرة لبناء الأفراد منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، ولم تتجه لبناء المؤسسات أو بعضها ـ في حدود إمكاناتها ـ إلا منذ قرابة عشرة أعوام على الأكثر وحين نذكر ذلك إنما نذكر السمة الغالبة دون أن ننسى أن بعض الحركات الإسلاميـة في الثلاثينات من هذا القرن أنشأت بعض المؤسـسات، التي لم يكتب لها الاستمرار، أو الاتساع والانتشار.

وليـست المؤسسـات في البناء الدعوي شـيئـا ثانوياً، بل إنه أمرٌ ضـروري لحمـاية المدعوّين من الفتن التي قد تعترض طريقهم، ولبيان الرأي الجماعي في المستجدات التي تتواكب على سـاحة العمل الدعوي كل يوم، ولبـعث الهمة في الرجال والأفـراد كلما رأوا بنيانهم يعلو في سماء الإسلام، فيزداد سبقهم للمحافظة عليه؛ ولأن الاستمرار في العمل الدعوي لا يتم بالجـهد الفردي وحده، كان إيجاد المؤسسـات الدعوية وانتشارها عملاً لا يقل أهمية عن غيره إن لم يسبقه في كثير من الأحيان.

وحين ننظر في سيرة الصدر الأول من رجال الأمـة الإسلامية نجد أن بناء الأفراد استـغرق بضع عشرة سنـة ثم كان بناء المؤسسات بـعد ذلك، وبالأحرى فقـد كانت الفترة المكية في حياة الدعوة مـرحلة بناء الأفراد، وكانت الفترة المدنية هي مرحلة بناء المؤسسات إلى جـانب بناء الأفراد، تلك المؤسسات التي شدت كيـان الأمة ووحدت هدفـهـا: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**[٣]، وربطت قلوب المؤمنين فاعـتصموا بحـبل الله، وألف الله بين قلوبهم، فتحابوا وتناصروا، وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم.

(١) آل عمران: ١٤٦. (٢) هود: ٢٩. (٣) الفتح: ٢٨.

ومن هنا لزم على الحركات الإسلامية أن تتـجه إلى بناء المؤسسات، التي تحتضن الأفـراد وتحافظ عليـهم وتنمي دورهم، وتسـاعـدهم على القيـام بواجـباتهم نحـو مجتـمعهم ونحو إخوانهم المسـلمين فتكون الحركة الإسلامـية تياراً متدفـقاً في الأمة يمدها بالنماء ويدفع عنها الكدر بعيداً، ويساعد في تحقيق الصفاء لها ولأبنائها.

ولابد للحركـات الإسلامية من القـيام بذلك حتى تستطيع أن تصـوغ من أبنائها مؤسسات ينتفع بها أبناء الأمة أجمعين، انتظموا في الحركة أم كانوا عنها بعيدين؛ إذ يكفي أن يعيش هؤلاء في ظلال المؤسسات الإسلاميـة لينعموا بالعدل والأمان والخير والمحافظة على حـقوقهم وتيـسير قـيامهم بـواجباتهم، فـتكون الحركة شـريان القوة والوحدة في المجتمعات المعاصرة.

ثانياً: بين الفردية والمؤسسية:

النزعة الفردية شيء أصيل في الإنسان، حيث إن للنفس ميولاً وحاجات تسعى إلى تلبيتها وإشباعها، والفردية، حسب علماء اللغة: «نزوع الفرد إلى التحرر من سلطان الجماعة، ويقال: استفرد بالأمر أي استبد ولم يُشرك معه أحدا»[١]، والفرد في علم الاجتماع «وحدة من الوحدات التي يتألف منها المجتمع كالمواطن في الدولة، أو النحلة في الخلية، أو النملة في القرية، فهي آحاد حقيقية يتألف منها الجسم الاجتماعي»[٢]. إذاً فالفرد هو العنصر المكون للجماعات، وقد نشأ في الفكر السياسي نقاش حول من هو الغاية الفرد أم المجتمع؟ وتوزعت الآراء من النقيض إلى النقيض مع وقفات معتدلة نوعاً ما فيما بينهما. وعلى الرغم من القيمة المعطاة للفرد والتكريم له من قبل رب العالمين: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٣]. إلا أننا في موضوعنا هذا لا نوازن بين أهمية الفرد والمجتمع وأيهما في الدرجة الأولى، بل نتحدث عن ضرورة التمييز والمفاضلة بين عمل فردي وعمل مؤسسي، من خلال حركة أو تنظيم ارتضاه جميع الأفراد، وهذا يعني أن المعالجة ستدور حول استبدادية الفرد في اتخاذ القرار وإدارة الحركة والتنظيم (التفرد)، وحول العمل والقرار المشترك (المؤسسة)، وما يعوقها ويحد منها.

لم تقم قائمة الإسلام إلا بجهود المسلمين الأوائل الذين انتظموا تحت لواء رسول الله ﷺ في عمل منظم، كل فرد منهم يخوض فيه بطاقاته وضمن اختصاصه، وعلى هذا الأساس كان يتبوأ الفرد موقعه. فخالد بن الوليد الذي دخل الإسلام تسلم زمام جيوشه نظراً لقدراته واختصاصه. وأبو ذر الغفاري الصحابي الجليل عندما رغب أن يُولّى على إمارة منطقة لم يوافقه رسول الله ﷺ لا لعيب فيه أو في إسلامه إنما لعدم ملائمة الشخص مع المهمة التي يرغب في التزامها، إذاً فالمؤسسة قبل أن تكون عمل أجهزة هي طريقة تفكير، استطاع رسول الله ﷺ أن يمارسها لتكون لنا نبراساً نهتدي بهداه، ونسير على دربه، إلاّ أنّ تقبل الفرد للعمل المؤسسي وللعقلية المؤسَّسيّة، أمر يستوجب التنازل عن الكثير من الأنانيات لصالح الأهداف المشتركة، التي يجد الفرد في النهاية نفسه فيها.

---

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ـ دار عمران القاهرة ـ (/ ٧٠٥٢).

(٢) جميل صليبا: المعجم الفلسفي ـ دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ ١٩٨٢، ص١٣٩ .

(٣) الإسراء: ٧.

ورغم الجو المؤسسي الذي سيطر على حقبة صدر الإسلام إلا أن النزعة الفردية عادت للظهور بقوة، متجسدة في محاور عدة ومنذ حينها، ولا تزال عقلية حكم الفرد والنزعة الفردية هي المسيطرة، ونحن لا نتنكر لأهمية ودور الفرد في المؤسسة وإبداعاته، إلا أن العصر الذي نعيشه وطبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية والحركة الإسلامية يستوجبان الإسراع في تحقيق العمل الجماعي المؤسسي بأبهى صوره، فالأفراد قد ينحرفون وطاقاتهم قد تخور وهي محدودة مهما بلغت في هذا المجتمع الرحب، إلا أن المؤسسة بتنظيمها ودقتها ومتابعتها تستطيع أن تستوعب جميع الطاقات وتنسق بينها للوصول إلى الغاية المرجوة. وهنا أود أن أنبه إلى أن المؤسسة لا تلغي الفردية، بل هي التي تقدر الفرد، وتسعى لتنظيم عمله ونشاطه ومطابقته وتكملته لنشاط الآخرين في بوتقة متحدة متفقة، يحكمها التخصص والإدارة الناجحة، والفرد الذي ارتضى الإسلام ديناً ووصل إلى درجة التضحية والعمل في سبيل الإسلام لا مناص من أن يعمل في مؤسسته، وفق منهج مؤسسي لكي ينتج أكبر قدر من الطاقة والقوة، من هنا فإن قوة أي مؤسسة أو تنظيم «إنما تظهر من خلال القدرة على استيعاب كل الناس، وكل المستويات وكل الأحجام، ومن خلال توظيف هؤلاء جميعاً في مشروع واحد ضمن خطة واحدة مع حفظ مكانتهم وإنزالهم ما يستحقون من منازل»[(١)]. وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**أنزلوا الناس منازلهم**»[(٢)].

ويتفق اليوم جميع العاملين والمفكرين في المجالين الاجتماعي والإداري على أن المؤسسة كأجهزة، وهيكلية، والمؤسسة كعقلية، وعلاقة بين أبناء الفكرة الواحدة والهدف الواحد، هما أفضل الوسائل للوصول إلى الغاية عن طريق جمع الطاقة وتصويبها وممارستها من خلال أهل الاختصاص، وحيث يرتبط عمل كل عنصر في المؤسسة مع عمل العناصر الأخرى عن طريق مباشر أو غير مباشر فإن ذلك يستوجب توفر قاعدتين أساسيتين أولاهما الشورى وثانيتهما التخصص، وهاتان القاعدتان بنى عليهما الرسول ﷺ دعوته ومن ثم دولته، فجاءت الشورى أمراً ربانياً ذروتها في الشأن السياسي، لكنها لا تقتصر عليه فقط. قال تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**

(١) فتحي يكن: المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب، ص٨٤ ،مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤٢) وذكره مسلم فى أول صحيحه تعليقًا، وذكره النووى فى رياض الصالحين (٣٥٦) وقال: «ذكره الحاكم أبو عبد الله فى كتابه: «معرفة علوم الحديث»، وقال: «هو حديث صحيح»، وضعفه الألبانى.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (١). وقوله أيضاً: **﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾**(٢). ومما جاء في الشورى ومعارضتها للفردية «أن الشورى استفادة من كل الخبرات والتجارب، واجتماع للعقول في عقل، وقضاء على الاستبداد والفردية في الرأي، وبناء يساهم الجميع في إقامته، ومن ثم تكون أعلى أنواع التضحية والبذل في الدفاع عنه»(٣).

هذا عن القاعدة الأولى للمؤسسة.

والقاعدة الثانية وأعني التخصص فقد اهتم بها الإسلام وبنى عليها الكثير من الأمور، ودعا الناس إلى احترامها والنزول عندها، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**(٤). أضف إلى ذلك ما جاء على لسان رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»(٥) وإتقان العمل لا يمكن أن يتحقق إلا بالتخصص، ووضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، لأن هذا الفرد المنتمي إلى جماعة يجب أن يفيدها وأن يجد نفسه في آن واحد، ورغم أن المؤسسات تأخذ طابع العمل الجماعي إلا أنها تدار وتتحرك من خلال الأفراد وعليهم، وعلى مدى تخصصهم المؤسسي بقدر ما يجب إبراز هذه القدرات لا طمسها، ذلك أنه «عندما يشعر عضو وكفاءتهم وتنظيمهم يتوقف نجاح المؤسسة. وبقدر ما تعلو قدرات الفرد في العمل في منظمة ما أن الإشباع الذي يحققه من قيامه بدوره أقل مما يجب أو أبطأ مما يجب، فإنه يبدأ في توجيه بعض طاقاته نحو تغيير الموقف. ويؤدي عدم رضاه عن قيامه بدوره، وبخاصة إذا استمر لفترة طويلة، إلى نقص في كفاية الأداء للمنظمة»(٦).

وهذا للأسف ما نعانيه في مجمل مؤسساتنا السياسية والاجتماعية والتربوية... وأحياناً نؤخذ بالإطار الخارجي والشكل البنيوي للمؤسسة إلا أن الجوهر يبقى بعيداً عن ذلك المنحى، وهذا ما يدفعنا إلى القول ونحن نضع اليد على العلة بأن العمل المؤسسي لا ينحصر في كونه مطلباً فقط، بل هو طريقة عمل. وإن الكثيرين ممن

(١) آل عمران: ١٥٩. (٢) الشورى: ٣٨.

(٣) عمر عبيد حسنة: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ٢١، كتاب الأمة رقم ٨، قطر ـ ١٤٠٥هـ.

(٤) الأنبياء: ٧.

(٥) أخرجه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠).

(٦) سلسلة العلاقات الإنسانية، والإشراف والاستشارة، تحرير جمعية الكبار الأمريكية. ت: جابر عبد الحميد جابر بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين القاهرة ـ نيويورك ١٩٦٤م.

يطالبون بالعمل المؤسسي يُعتبرون أعـلاماً في ممارسة العمل الفردي ! لذلك فالمطلب الحقيقي أن نؤمن بالمؤسسة أولاً قبل أن ندّعي ممارسة العمل المؤسسي، وهذه إشكالية تتخبط فيها معظم المؤسسات الخاصة والرسمية في الأمة بأسرها.

وللخروج من تلك الإشكالية وتجاوز المعوقات لابد من الابتعاد عن جملة أمور، إذا ما استـطعنا تجنبها نكون قد وضـعنا الأسس المتينة الصلبة لقـيام المؤسسة الفـعلية بالروحية والشكل، وأهمها:

ـ الابتعاد عن سوء الظن الذي يعبث بالرباط المؤسسي ويعرض وحدة العمل للضعف والانتقـاص، لذلك نجد أن اجـتناب الظن قد أمـرنا به الله تعالـى؛ حفاظاً على الـعلائق والشوائج بين الأفراد: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾(١).

ـ الابتعاد عن السخـرية، التي تنتشر رويداً رويداً في مجتمعاتنا مع أنـها مخالفة لمبادئنا وتراثنا الإسلامي العـريق، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ**﴾(٢).

ـ الابتعاد عن التجـسس والغيبة والحسد... هذه الصفـات المستفحلة في بعض المؤسسات والكفيلة وحدها بإجهاض أي عمل مـؤسسي وإفراغه من محتواه وهدفه، ومن هنا ندرك كيف أن الإسـلام واجهها جميـعاً بالنهي والزجر والتـرهيب؛ لأنها تؤدي إلى تخلخل وتفكك وصراع البـشر في كافة أشكال المؤسـسات بدءاً من الدولة ومروراً بالمجـتمع والمؤسـسات التربويـة والإدارية والسياسـية... قـال تعالى: ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾(٣) وقول رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**»(٤)، وجاء فيمـا رواه أبو ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إياكم والحسد، فـإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»(٥).

هذه الظواهر التي ذكرنا وسواها، تعيق وتفشل العمل المؤسسي، وتدفع في نفس الوقت إلى بروز الفـردية حيث ينكفئ كل فـرد على ذاته لعـدم قناعتـه باستمـرارية المؤسسة، في تلك الأجواء والمعوقات، وهذا ما يسـاعد على بروز ظاهرة الشخصانية بديلاً عن العمل المؤسسي ويكون من نتائجها: قـلة وعدم توارث الخبرات والاستبداد بالرأي وتضييع الشورى...

(١، ٣) الحجرات: ١٢. (٢) الحجرات: ١١. (٤) أخرجه مسلم (١٠٥).
(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣)، وضعفه الألباني.

إن الابتعاد عن تلك النزعات الهدامة التي ذكرنا لا يُعطي النتيجة المرجوة، إذا لم تلتق معه جهود طيبة تعتبر بالنسبة إلينا كمسلمين مبادئ جاء فيها قرآن كريم وسنة نبوية مطهرة. كما أنه وعلى مستوى علم الإدارة وتنظيم المؤسسات أصبح الحديث مشرعاً عن ضرورة النزعة الإنسانية والعلائق المتينة، والتحابب بين أبناء المؤسسة الواحدة، لأن التنظيم وقواعده الجافة إذا لم تختلط بروح الأخوة لن تصل بالمؤسسة وأفرادها إلى الغاية المرجوة.

فمقابل ما يُبعد هناك ما يقرب، وأكثر ما يعنينا هنا مواصفات ثلاث: الأخوة التي ألزمنا بها الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[1].

وما يترتب عليها من نظرة أخوية في التعاطي والتعامل.

ـ الإصلاح الذي يجب أن يسيطر على أي نزاع ممكن الحدوث فيواجه بالإصلاح. وهو العمل الأقدر على الحد من المنازعات ورأبها، وهذا شيء بين الأخوة كما بيّن ذلك القرآن الكريم: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾[2].

ـ التعاون والتوادّ، وهما الصفتان اللتان تُبنى عليهما الأوطان والمؤسسات والدعوات وبخاصة في المؤسسات الإسلامية، اجتماعية كانت أم تربوية أم سياسية؛ لأن ذلك من جوهر الإسلام الذي ارتضته هذه الجمعيات وأفرادها على حد سواء. وهذا ما أمر به الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [3].

وعملاً بتلك المواصفات يمكننا الوصول إلى عمل مؤسسي بكل معنى الكلمة يبتعد عن المبعدات، ويقترب من المقربات مع الأخذ بركني المؤسسة وهما ما ذكرنا سابقاً «الشورى والتخصص»، وعندما تتغلب الروح الفردية على الروح المؤسسية فإن ذلك يُنذر بذبول الجماعة ككل واضمحلالها، فالتفرد وباء ينذر بالضياع والتشتت، وإنه ليس من شيم الإسلام أو مبادئه بل على العكس. وما أجمل الإبداعات الفردية التي تصب في إطار العمل المؤسسي لتزيده جمالاً وتقدماً، وما أبشع العمل الفردي البعيد عن المؤسسة والمقابل لها.

والعصر عصر المؤسسات، والعالم بأسره يتجه للتكتل والوحدة، وفي ظل هذا الاتجاه لابد لنا أن نبحث عن موقع مشرّف لنا، وأن نحسن بناء مؤسساتنا في الجوهر والمظهر؛ لنكون على مستوى العصر والمرحلة.

(١، ٢) الحجرات: ١٠.   (٣) المائدة: ٢.

ثالثاً: عقبات التحول إلى الجماهيرية:

إذا كان العمل الجماهيري يعتبر أمراً مطلوباً للوصول إلى القرار عن طريق التصويت في النظم الديمقراطية، فإن العمل الجماهيري العام يعتبر في الإسلام من الأمور البدهية، بدءاً من الدعوة، مروراً بالمجتمع ووصولاً إلى صنع القرار، فالخطاب القرآني موجه لكل الفئات، للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾[(١)]، وهو خطاب يحث على الاتصال لتبليغ رسالة الله للناس كافة، دون تفريق أو تمييز اجتماعي أو اقتصادي أو عرقي... قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾[(٢)]، وقوله جل شأنه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ [(٣)]، وهذا الفهم الأصيل لشمولية العلاقة والاتصال مع كافة أبناء البشر، هو الذي تجسد واقعاً ميدانياً مع انطلاقة الإسلام، فقد ظهرت الجماهيرية الواسعة، التي نبأت بمجتمع متسع يضم ويتعدى مشكلة القوميات، والفروقات الطبقية والجنسية. من هنا نفهم طبيعة تركيبة المجتمع المسلم الأول الذي ضم كل من «العربي كأبي بكر، والحبشي كبلال، والرومي كصهيب، والفارسي كسلمان، والمرأة كخديجة، والصبي كعلي بن أبي طالب، والغني كعثمان بن عفان، والفقير كعمار»[(٤)].

ويرتبط أكثر ما يرتبط مفهوم الجماهيرية بالشأن السياسي «فالانتخابات لميزان الرأي العام، وتعتبر المؤثر المباشر في عمليات التحول في أي مجتمع؛ لذلك كان الحرص الدائم على جماهيرية التحرك من قبل الأحزاب، إلا أن الفترة الزمنية الراهنة تشهد انحساراً على صعيد العمل والاتجاه الجماهيري لصالح العمل النخبوي أو جماعات الضغط المالية والإعلامية، وهذا الاختيار ينطلق من طبيعة الجمهور وضعفه أمام المجموعات النخبوية، والتحول المنشود في كل المجتمعات، إذا لم تشارك فيه جماهير فإنه سيقع عليها بكل الأحوال، فمن نجاح التغيير واستمراريته، أن تشارك به هذه الجماهير عن وعي وقدرة، عملاً بالدعوة العامة التي أطلقها رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٥)].

---

(١) الأعراف: ١٥٨. (٢) المائدة: ٦٧. (٣) سبأ: ٢٨.

(٤) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، ص ٣٥٨، مكتبة المنار الإسلامية ـ بغداد ١٩٨١م.

(٥) أخرجه مسلم (٤٩)، والنسائي (٥٠٢٣).

«فالجماهيرية في المشروع الإسلامي تعني أن يتجاوز هذا المشروع حدود القاعدة الحزبية أو الفئوية إلى رحابة واتساع القاعدة الجماهيرية، بحيث يتعدى الخطاب الدعوي الشرائح التنظيمية المحدودة إلى جماهير الأمة على اختلاف مواقعها وثقافاتها»[١].

فأثر الجمهور شأن بارز، إن كان بتحرك ذاتي أو مؤثرات خارجية، فهناك وحدة مصالح وإدراك ومواقف، وجاء في معجم المصطلحات السياسية والدولية أن الجمهور عدد من الأفراد يشتركون في الإدراك في وحدة المصالح، ولذلك يتولد لديهم شعور بالوحدة وتحقيق الذات، ويظهر أثر الجماهير فيما يقومون به من تصويت أو عدم التعاون أو تأدية الضرائب[٢]، لذلك فإن إغفال دور الجماهير يعتبر نقصاً في الفهم والتقدير لما يمكن صنعه من خلال تفعيل العمل الجماهيري، ويقع في شرك هذا الفهم الخاطئ العديد من العاملين في الحقل السياسي بحيث تُهمل الجماهير، ويتم التركيز فقط على النخبة أو أصحاب الدرجات العلمية والمهنية الرفيعة المستوى، وهذه الصورة استمرت طوال قرون، وتتجه لمزيد من التجذر والتفرد مع ضمور الحالة الجماهيرية العامة على المستوى العالمي، بعد ترهل الحركات العالمية والطلابية التي كانت فيما مضى تحدد قسماً كبيراً من مسار الحياة السياسية العامة للبلاد.

وعلى صعيد الحركة الإسلامية يتم السؤال الآتي: هل يمكن لهذه الحركة، أو هل من مصلحتها أن تبتعد عن العمل الجماهيري وتنكفئ عنه؟ وهل هي كذلك؟

في الحقيقة أن أي شيء من هذا القبيل هو بُعد عن الإسلام نفسه ـ إلا إذا كان من قبيل الظروف القاهرة ـ وعند ظهور الحركة الإسلامية كحركة نخبة وصفوة غير جماهيرية فإن ذلك يقلل من تواجدها الدعوي العام، وقد يكون السبب في التركيز النخبوي في فترة من الفترات هو الواقع الذي تعيشه الحركة، ويشير إلى ذلك المرحوم الشيخ محمد الغزالي بقوله: «وقد قتل حسن البنا، وعبدالقادر عودة، وسيد قطب، وهناك عشرات من الإخوان الذين قتلوا في صمت، ورميت جثثهم في رحاب السجون، أو سلّمت لأهلهم مع الاحتقار المناسب، والغريب أن الذين فعلوا ذلك لم يوجه إليهم اللوم»[٣]، فلم تعرف الحركة في تلك المرحلة إلا التنكيل والسجن

(١) فتحي يكن: المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب ص ١١٨، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢ ١٩٩٥.
(٢) أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية الدولية ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ١٩٨٩م.
(٣) محمد الغزالي: الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، ص ١٠٠، مركز دراسات الوحدة العربية ط١ بيروت ـ ١٩٨٧م.

وملاحقة المشتبه بهم، وهذا ما أدى إلى ضمور النشاط العام بل والخاص للحركة.

فعصر المحنة هذا أثر على نمو الحركة الإسلامية، التي باتت تتصل بالجماهير بحذر مخافة الملاحقات والمضايقات التي واكبت نموها تاريخياً، ولم يزل حتى الآن، وهذا ما يفسر لنا وضع الحركة الإسلامية العام في معظم الأقطار العربية إلى أن جاء عصر الصحوة الإسلامية العارمة نهاية السبعينيات، بعد أن تنفست الحركة الإسلامية الصعداء قليلاً، وانطلقت بعدها لتتعدى أماكن حضور الجو الإسلامي العام، كالأزهر في مصر، والزيتونة في تونس، والمجمعات الفقهية في المملكة العربية السعودية... تعدّت كل ذلك إلى عمق المجتمع على مستوى الحوار الفكري، والبعد الاجتماعي، والمشاركة السياسية، والبناء التربوي، حتى أصبحت الحركة الإسلامية تعيش حالة الجماهيرية شبه المطلقة، وذلك إيمانا منها بأن «الابتعاد عن الجماهير فيه تقصير في مفهوم التكليف ومناطه، وعن طبيعة الخطاب القرآني وتوجيهاته، فالقرآن العظيم خطاب للناس جميعاً، وللغافلين ليتنبهوا وللضالين ليهتدوا، وللكافرين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم»(١) واهتمت الحركة بالبعد الاجتماعي كأساس للاستقطاب الجماهيري، فعملت من خلال وحي الإسلام على رعاية المستضعفين، ومساعدة الفقراء والأيتام، ونشر العادات الاجتماعية الإسلامية، من صلة رحم وذوي القربى، والتسامح والمحبة بين جموع الناس... ذلك أن مفكري الحركة الإسلامية ونقادها، أيقنوا بأنه «إذا أرادت الصحوة الإسلامية أن تحتفظ بجماهيرها العريضة فعليها أن تتنبه مستقبلاً إلى أهمية تأكيد البعد الاجتماعي للإسلام، وما يترتب عليه من وجوب الانحياز الدائم للجماهير المستضعفة المظلومة في أرجاء العالم الإسلامي»(٢) .

إن الاهتمام بالشأن الاجتماعي يحقق بلا شك مشاركة واسعة من الجماهير العريضة للأمة، وهو ما نحتاجه لإبراز مزايا الإسلام بهذا الأسلوب الأقرب لتعطش الناس، حيث يكون الخطاب الميداني أبلغ وأعم من الطرح النظري، ولا يخفى علينا أنه في حقبة زمنية منصرمة كان اليسار الشيوعي يستأثر تقريباً بقيادة الحركة الشعبية، بينما كانت الحركة الإسلامية برموزها وكوادرها في غياهب السجون في بعض الدول، وملاحقة في دول أخرى، وهذا ما يستدعي استنهاض وتكوين أدبيات جديدة بعيدة عن فترة الملاحقة

(١) طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ص ٧٥، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ فرجينيا الولايات المتحدة ـ الدار العالمية للكتاب الإسلامي ـ الرياض ط٢ ١٩٩٢م.

(٢) عبد الله النفيسي: الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، ص ٣٢٧ .

والسجون، ولو أن هذه الفترة لا تزال مستمرة، إلا أن الفارق يتجلى في كون المد الإسلامي كبير وكبير جداً، وإن الحركة الإسلامية تحولت إلى تيارات شعبية لم يعد بإمكان أي نظام أن يضع يده عليها أو يستأصل جذورها.

والحركة الإسلامية رغم الظروف الصعبة المضيِّقة عليها فهي تمتد من البعد الاجتماعي لجهة البعد السياسي الأكثر تأثيراً، فالعمل السياسي بطبيعته أكثر اتصالاً مع الجماهير وأقدر في الوقوف على آرائهم وانطباعاتهم والتأثير عليهم، وهو بدوره يسعى لمعالجة أوضاع الناس. أضف إلى ذلك تحول العمل السياسي إلى عمل خَدَمي في العديد من مراحله، وما لذلك من أهمية وقابلية عند الجماهير، فالعمل السياسي مهم جداً للحركة الإسلامية للإمساك بالصحوة، وفرض قدرها في المجتمع والمعادلات السياسية، «إن الصحوة الإسلامية لكي تحقق أكبر قدر ممكن من الفاعلية في المستقبل، عليها أن تتأصل وتتأهل وتتجذر سياسياً ولا يمكن أن يكون للصحوة الإسلامية أي مكانة فعلية لدى أصحاب القرار السياسي من دون انخراطها في العمل السياسي والتحرك في ساحته»(١).

إن انطلاقة الحركة الإسلامية واتساع مداها جاءت لتحقق الفهم الإسلامي الصحيح، والتكيف الواقعي مع جماهير الصحوة العريضة. لكن ذلك لم يُترك على سجيته، فما إن خرجت الحركة الإسلامية من أجواء الملاحقات والعمل الضيق السري في بعض الأحيان لدواع أمنية، حتى تبعتها الملاحقات المتتالية، وذلك بعد أن أثبتت قدرة هائلة على استيعاب الشارع والتحول السريع إلى الجماهير العريضة، من هنا إذا أردنا أن نتكلم عن المعوقات والعقبات للتحول إلى الجماهيرية، لابد من شرح جملة أمور بموقف النظام، إذ تسعى السلطة في بعض الدول للوقوف في وجه الحركات الإسلامية لتحول دون امتدادها، وهي تستعمل أساليب قمعية أكثر مما كانت عليه من قبل من السابق، وتتجلى هذه الأساليب: في قمع الحريات وفرض قانون الطوارئ مع الحركات التي تعمل سلمياً داخل إطار النظام السياسي الحاكم، والمواجهة العسكرية والتصفية الجسدية للحركات التي تحولت للعمل العسكري نتيجة لأي ظرف، وبذلك يُستبعد التيار الإسلامي الفاعل في مجرى الأحداث، ويُدفع بأبنائه إلى الانزواء اتقاءً لشر السلطة، وهذا ما يؤدي إلى الابتعاد عن الجماهير والاكتفاء بالنخب التي غالباً ما

(١) المصدر السابق، ص٣٢٨ .

تهتم بالحقل السياسي والعمل العام، إضافة إلى المثقفين من أساتذة وطلاب جامعات، وتتجلى مظاهر الحرمان السياسي لإبعاد الحركة عن الجماهير في منعها من خوض الانتخابات النيابية نتيجة تهديد أفرادها، وكذلك إجهاض نشاطها الانتخابي إذا ما سُمح لها بدخول هذا المعترك عن طريق شل ماكينتها الانتخابية، واعتقال الناشطين والمرشحين فضلاً عن عمليات التزوير التي قد تلازم الانتخابات البرلمانية في بعض ـ الدول الإسلامية ـ للأسف الشديد، من جهة الحرمان من ممارسة الحركة للدور الاجتماعي، فالأمر ماضٍ على قدم وساق، بهدف قطع صلة الحركة بالجماهير، فالدولة تلجأ إلى حصر العمل الاجتماعي العام بها أيضاً، أو تحت غطائها، وبذلك تحرم الحركة من المتنفس الاجتماعي، الذي يجعلها تتلاحم مع كافة شرائح المجتمع.

والنظام الذي يعمد إلى هذه الأساليب يحتاج إلى تأييد كبير في مواقفه غير المبررة هذه، لذلك فهو يلجأ لدعم المُعادين للحركة الإسلامية ـ العلمانيين ـ وتبنى طروحاتهم والترويج لهم في حملة فكرية واسعة لتحطيم صورة ودور الحركة الإسلامية على الصعيد العام، وتجند لذلك وسائل الإعلام المختلفة. هذا عائق وهناك الكثير من المعوقات والعقبات على الصعيدين السياسي والاجتماعي موجودة ومطردة، ولكن في المقابل هناك خيارات عدة أمام الحركة الإسلامية، لتوازن بين أهدافها والمضايقات التي تحول دون ذلك، فالخروج الجزئي من إطار العقبات تلك، والإبقاء على الاتصال بالجماهير، يتحدد من خلال القدرة على تأمين البدائل من وسائل إعلام خاصة، وتنشيط الطرح الفكري والسياسي العام في كافة المنتديات بأسلوب واضح ومبسط ليعبُر إلى كافة الجماهير، ولكيلا يبقى في إطار المناقشات والمداولات النخبوية الثقافية، والتأكيد على وجود المشاركة الشعبية، وفتح علاقات جديدة مع كل الأطراف الداعية لمزيد من العمل السياسي الحر والمصلحة الجماهيرية العامة.

على أن يرتبط ذلك بتطوير مناهج التربية في المؤسسات الإسلامية ـ السياسية والتربوية ـ لمزيد من الانفتاح وتقبل الحوار والخوض في غمار العمل الاجتماعي والسياسي لمزيد من التلاحم الشعبي، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[1]، أما مظاهر الفرقة والخلاف بين المجموعات الإسلامية، وإن كانت تشكل عقبة نحو

(١) الرعد: ١١.

التحـول إلى الجمــاهيرية بسبب تشــتت القــوى والمؤيدين، إلا أن حقيقة هــذه الظاهرة ـ المرتبطة عمقاً برغبة بعض الأنظمة ـ ستـضعف مع سعة الاحتكاك بالجماهير والخروج من صفة النخـبوية المتحجرة الضــيقة، التي تؤذي المشروع الإســلامي إذا لم تتحول إلى قواعد متينة داعمة للعمل الجماهيري مؤسسة له.

إن إشراك الجماهير عملياً، يضيف إلى رصيد المشروع الإسلامي إمكانات هائلة، ومعها يتحــول المشروع الإسلامي من هم النخبة إلى هم الجمهــور. فالعمل التنظيمي الحركي خطوة متقدمة إلى الأمام على طريق تجميع الجهود على ألا يضيق هذا التنظيم وتلك الحركة بالجمهور، بل يتسعان له ليتسع مداهما وتأثيرهما في التحول الإسلامي المنشود.

رابعًا: اقتحام المستقبل:

المتغيرات الكثيــرة المتلاحقة إحدى سمات العصر الحاضــر، فما كان يعد بالأمس القريب جــديدا أضحى اليــوم قديما، وقد يــكون في الغد غيــر مقــبول، لأن الزمن تجاوزه، والعهد به صار بعــيدا، وتلك المتغيرات إحدى الحقائق العلــمية في عصرنا، التي تؤثر على كثير من أنشطة الحياة، حتى في المجــالات الفكرية والنفسية، فما عاد شيء يتصل بدنيا البشر إلا ولحقه بعض الــتغيير، أو إن شئت أن تقول بعض التطوير فلا حرج عليك في تلك التسمية، وليس الأمر في حاجة إلى دليل مكتوب؛ لأن كل المشاهد التي حولــك في بيتك أو في مكتبك أو في السوق، أو في غــير ذلك ما هي إلا برهان مشاهد ودليل بين على ما نقول.

والثوابت الحياتــية، تبقى لها هذه الصفة وإن تزيّت بأزياء مــختلفة، وتلونت بألوان شــتى والدعــوة إلى الله أحد أنــشطة الحيــاة، بل هي من أهم الأنشــطة عند المؤمنين، يبادرون إليها ويسعون إلى إظهارها بوسائل متــعددة متغيرة، ورغم ثبات الدعوة على ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إلا أن وسائل الدعــوة تتعدد بحسب ظروف الزمان والمكان وثقافــة الداعية، وأحوال المدعــوين، فما يصلح للناس في مكان مــا على وجه الأرض لا يصلح لآخرين في مكان آخر رغم اتفــاق الزمن، وما كان يصلح للناس منذ عقد أو عقدين لا يصلح لهم الآن، من هنا وجب على الدعاة أمران:

١ـ أن ينظروا إلى المســتقــبل على أنه الأمل المرتقب، الــذي تحقق فــيه الدعــوة ظهورها، وتسلك فــيه إلى كثــير من الناس في الشــرق والغرب سبــيلها، متــسلحة بأسلحة الحــاضر التي يراها الناس ويسمعــونها، في مجال الثــقافة والتربيــة والحركة الإيجابيــة والسلوك الملتزم، بــحيث لا يظهر الــداعية كــراكب الدابة في الوقت الذي يركب فيه الناس كل الناس الطائرات الأسرع من الصوت أحيانا.

وإن من العجب أن يأخذ الإســلام بنيه إلى المستقبل في الدار الآخرة، فــيتحدث القرآن حديثــا مستفيــضا عن الجنة ونعيمهــا، وما أعده الله للمؤمنين فيــها مما يجعل الوجوه تتهلل، والقلوب تستبشر، والنفــوس تبتهج وتسر، ويتحدث كذلك عن النار وعذابها حديثا مستفيضــا تعبس له الوجوه، وتبتئس له النفوس، وتضيق به الصدور، ويتحدث رســول الله ﷺ عن المستقبل، ويشد أذهان المسلمين إليــه حتى في أشد

حالات الضيق والكرب: «**والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه**»(١)، قال ذلك، وقد جاء إليه خباب بن الأرت يشكو الأذى ويطلب من الرسول ﷺ الدعاء للمسلمين والاستنصار لهم.

وفي كثير من مواقف الضيق والكرب كان ﷺ يعطي للمسلمين الأمل في المستقبل القريب في الدنيا، والبعيد في الآخرة.

فما للمسلمين اليوم لا يكادون يفقهون من الحديث إلا ما كان عن الماضي، ماضي الإسلام والمسلمين، ماضي فلان الذي فعل كذا، وفلان الذي أصل، وفلان الذي نظر، وفلان الذي عاش ومات وهو يحمل في قلبه هموم دعوته؟! ولا بأس بذلك كله، وإنما البأس أن نقف عند هذا الحد، دون أن نتجاوزه إلى المستقبل المنظور.

٢ـ الأخذ بالتخطيط لهذا المستقبل بحيث لا يكون أصحاب المشروع الإسلامي فيه نبتة تأتيها الرياح من أي اتجاه فتكفؤها، بل يكونون دوحة باسقة يستظل الناس بظلها، ويعرفون لها قدرها، وهذا يقتضي وضع برامج معينة، وإعداد قيادات مدربة، وغربلة للتراث الماضي، ومعرفة بتجارب الحركة الإسلامية، وما بها من كبوات أو نهضات، ويقتضي كذلك قيام المجامع الفقهية بإعادة صياغة الفقه الإسلامي، والنظر في المستجدات العصرية في ضوء قواعده وأسسه.. إلى غير ذلك مما يقتضيه هذا المستقبل الحافل بشتى التطورات والمتغيرات، بل المتناقضات أحيانا حتى لا يكون سلاحنا سيفا مثلوما في عصر الصواريخ والإلكترونيات.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢)، وأبو داود (٢٦٤٩).

المبحث الثالث: تصحيح المفاهيم

أولاً: مفهوم خاطئ، الأصولية الإسلامية:

مفهوم الأصولية عند الغربيين:

«نشأ لفظ الأصولية funda mentalizm متأثراً ببيئة الغرب وتجاربه، فالجماعات الأصولية فـي الخبرة الحضارية الغـربية مجمـوعات متدينة، ترفض مظـاهر الحضارة الحديثة، وتسـعى إلى العودة إلى ما قبل المدنيـة الحديثة، وتتسم بالتـعصب الشديد، وتستشـعر امتلاكـها ـ وحدها ـ الحقـيقية. ولقد أطلـق مصطلح الأصولية في البـيئة الغربية على فـرقة من البروتستانت، تؤمن بالعـصمة الحرفيـة لكل كلمة في الكتاب المقدس، ويدعى أفرادها التـلقي المباشر عن الله، ويعادون العقل والتـفكير العلمي، ويميلون إلى استخـدام القوة والعنف لفرض هذه المعتقـدات وكل هذه المعاني تنسحب (في نظر الغربيين وأتباعهم) على الحركات الإسلامية»[١] لتشعر رجل الشارع في غير بلاد الإسلام، بـل ولتشعـر المثقـفين هناك أيضـاً بمدى تخلف الحركـات الإسلامـية وتوحشها وأنها خطر قادم، يدمر كل شيء، ولا يرعى حرمة، ولا تقنعه حجة، ولا يمنعه شـيء من أن يفرض على الناس والمجـتمع رأيه قسـراً وقهـراً، فالأصـوليون ـ عندهم ـ لا يقبلون من أحد رأياً، ولا يقيـمون لفكرة وزناً، ولا يحافظون على ثمار العلم التي أوجدها العلماء عـبر القرون، وبعد عديد من الجـهود، ثم إن الأصوليين في نظر الغربيين ـ أيضـاً ـ لا يكتفون برفض أفكار الآخـرين وآرائهم، وإنما يحاولون أن يفـرضوا آراءهم على غـيرهم، وهـذا ما ألمح به «جـارودي» حين حدد مـفهـوم الأصولية وفق عدة نماذج من بينها النموذج الإسلامي بقوله: «إنها كل حركة دينية أو سياسية تدعى امـتلاك حقيقة كاملة ومطلقة، واصطفاءً إلهيًـا خاصاً بها، وتسعى إلى فرض هذه الرؤية على الغير بشكل شمولي»[٢].

مفهوم الأصولية عند العلمانية:

وحين ينسحب هذا الوصف (أصوليـة) بظلاله الموحية بما وراءه في بيئتـه الغربية من ضـيق في الأفق وشلـل في الفكر وتعـصب أعـمى، حين ينـسـحب ذلك على الحركات الإسلامية، فإنما ينبني عليه في نظر الواصفين أن هذه الحركات الإسلامية:

---

(١) انظر: الأصولية فى العالم العربى، ترجمة وتعليق: عبد الوارث سعيد، وحصاد الفكر، العدد ١٥.

(٢) انظر: حصاد الفكر، العدد ١٥، نقلا عن الأصوليات المعاصرة، لجارودى.

١ـ تدعي امتلاك الحقيقة وحدها.

٢ـ أنها جامدة على مفاهيمها لا تتحول عنها.

٣ـ أنها جماعة مصطفاة من الله.

٤ـ وأنها تتسم بالتعصب وعدم التسامح (الانغلاق) والتصلب الذي يجعلها مناقضة للعلمانية.

٥ـ وأنها تسعى إلى فرض آرائها على الغير بشكل تام كامل.

٦ـ وأنها تطالب بالعودة إلى الماضي (المحافظة).

٧ـ وأنها تتأسس بناء علي تفوق أصل على أصل، ونوع مذهبي على نوع، وقوة على قوة [١]، وبهذه المكونات تفهم كلمة الأصولية عند أصحاب الفكر العلماني، ولا يخفى عليهم مدلولها الغربي وهم بهذا المدلول يلصقونها بكل حركة إسلامية، ليشوهوا وجهها، وينفروا الناس من الاقتراب منها، لأنها في رأيهم الذي يروّجون له جمود وتعصب وانغلاق وعزلة شعورية، وحياة خارج العصر، وفهم بعيد عن الواقع، وتصلب وتشدد ومحاولة لفرض الآراء على الآخرين، ونشر للعبوس في حياة الناس، فلا يقبلون ترفيهاً في الحفلات الفندقية، ولا يشاركون في مجالات الاختلاط بين الجنسين إلا لضرورة، ولا يقبلون بخروج الفتاة وحدها في أي وقت تشاء، ويحاولون أن يخوضوا غمار السياسة، ويظنون أن تلك هي الكياسة.

بهذه الدلالات كلها تطلق الأصولية على الحركات الإسلامية.

افتراء مردود:

وهذه الدلالات إن صدقت على بعض الفئات الدينية في الغرب المسيحي أو على كل الفئات الدينية هناك، فهي غير صادقة على الحركات الإسلامية في أي بقعة من بقاع الأرض فلم تدع جماعة إسلامية أنها ـ وحدها ـ تملك الحقيقة؛ لأن الحقيقة يضمها كتاب الله وتبينها السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والمسلمون أجمعون يقتربون من الحقيقة أو يبتعدون عنها بقدر اقترابهم من القرآن والسنة أو ابتعادهم عنهما، ولم يدع أحد من أئمة الإسلام في أي عصر أن لكلامه عصمة، أو أنه هو الحقيقة، بل شاع بينهم القول: «كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ» وكان أبو حنيفة

(١) انظر: حصاد الفكر، العدد ١٥، ص ٨.

يقول: «إذا رأيتم قولي يخالف حديث رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط». والذين جاؤوا من بعد الأئمة المجتهدين يدركون هذه الحقيقة، ولذا لم يدع أحد منهم، ولم يدعوا كلهم الحقيقة بل إنهم يحاولون أن يلتمسوا هذه الحقيقة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حين يستمسكون بهما ويجعلونهما مصدراً للسلوك والقيم والفضائل والعادات والتقاليد والأعراف.

والحركات الإسلامية لم تدع أنها مصطفاة من الله، وكيف تدعي ذلك، وهيتقرأ قول ربها: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (١) وتدرك قول رسول الله ﷺ: «**لا نبي بعدي**»(٢)، فهل يتأتى لأحد بعد قراءة هذا النص المحكم أن يدعي اصطفاء من الله؟ إن أحداً لو فعل ذلك لكان له في الإسلام جزاؤه المعروف، ثم إن الأمر لا يقتصر على ادعاء الاصطفاء كما يود هؤلاء بل يستتبعه ـ حتماً ـ أن يكون من بعد الاصطفاء ادعاء أشد وأخطر، وربما كان ادعاء وحي من الله لهذه الجماعة أو تلك. ولقد انقطع وحي السماء بموت محمد ﷺ وذلك ما يؤمن به خاصة المسلمين وعامتهم، فمتى كان هذا الاصطفاء في الجماعات الإسلامية؟ ومن الذي ادعى ذلك؟

الإسلام دين التسامح والمساواة:

ودعوى التعصب أبعد ما تكون عن الجماعات الإسلامية؛ لأنها أبعد ما تكون عن الإسلام، ولو كان الإسلام متعصباً والمسلمون متعصبين تبعاً له ما عاش في بلاد المسلمين اليهود والنصارى متمتعين بكامل حقوقهم ـ وما يزالون ـ كل هذه القرون الماضية، ونحن نسأل الغربيين وأتباعهم العلمانيين: أين مسلمو الأندلس؟ وماذا يحدث للمسلمين في الهند وفي البوسنة بل وفي فرنسا عاصمة (النور والحرية) مَنْ المتعصب...؟ ولكن: رمتني بدائها وانسلت.

وإذا كان من مكونات الأصولية تفوق أصل على أصل فما ذلك في الإسلام، ولو قد فعلت إحدى الجماعات ذلك لقلنا لها: إنك بعيدة عن هدى الإسلام الذي يقول كتابه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٣)، ويقول رسوله ﷺ: «**لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»(٤). فكيف تجيز جماعة لنفسها ذلك وهي تقرأ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٥) فمن دخل في الإيمان دخل في الإخوة أيًا كان جنسه أو لونه، ومن سالم المسلمين

(١) الأحزاب: ٤٠.
(٢) أخرجه البخارى (٤٣٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).
(٣) الحجرات: ١٣.
(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، وصححه الأرناؤوط.
(٥) الحجرات: ١٠.

من غيــر دخول في الإيمان فله أخوة الإنسانيــة لا ينقص من حقه شيء، فمــتى كان لجماعة أن تدعي أنها متفوقة بأصلها على غيرها؟

إن الأصوليــة التي يدعــونها، بعيــدة عــن الحــركات الإسلامــية، وبينهــا فــي مفهــومها ـ هذا الذي يزعمــونه ـ وبين الحركات الإسلامــية بعد المشرقــين، وافتراض النقيضين، والذين يلصقونها بالحركات الإسلامية يودون أن يشوهوا صورتها، وينفروا الناس منها، ويجـعلوا منها خطراً جـاثماً، ووحشـاً كاسراً لابد أن يحــاط بالأسوار والأسلاك وأن يكبل بالقــيود والأغلال وإلا ففي انطلاقتــه الدمار والخراب: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً**﴾[1].

(١) الكهف: ٥.

ثانيًا: لماذا العداء للصحوة الإسلامية؟

عداء غير المسلمين للصحوة الإسلامية ليس في حاجة إلى برهان ولا إلى دليل بعد أن أخبرنا الله ـ سبحانه ـ به في قوله: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾(١)، وإن هذا العداء لا تقتصر مظاهره على الكيد الخفي، والدسائس التي تجري في الظلام فقط بل قد تصل هذه المظاهر إلى حد القتال، شفاء لغيظ الصدور، قال سبحانه: ﴿**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ (٢)، وهذا هو الهدف الذي يسعى إليه غير المؤمنين بالله وبرسوله دائماً وأبداً، تجد ذلك في قول الله: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ (٣)، بل إن أملهم ورغبتهم أن يتحقق ذلك بين المسلمين حتى يتساووا مع أعداء الله في الكفر بالدين: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾(٤)، وستظل هذه السمة العدائية كامنة في نفوس غير المسلمين، حتى وإن انحرفوا عن دينهم الذي قصروه على جزء من الساعة كل أسبوع في مكان معين، فليس للدين عندهم وزن يؤثر في الحياة ولا في السلوك بعدما اعتبروا أن الدين منفصل عن الدنيا، وأن القيم والفضائل لا صلة لها بالسلوك، ولذا حلت المصالح المادية محل الدين.

سر عداء الغربيين:

والغرب الذي سيطر على كثير من الشعوب في العالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين بقوته المسلحة يمتص خيراتها، ويسخر أبناءها ويدخل بها حربين عالميتين لا ناقة لنا ـ المسلمين ـ فيها ولا جمل، ما تزال مصالحه بيننا قائمة، وهي (مصالح سياسية واستراتيجية تتمثل في النفط، والأرصدة النقدية، والممرات الاستراتيجية وتثبيت وجود الكيان الإسرائيلي في المنطقة وتدعيم تفوقه على جيرانه العرب، حتى تظل له الهيمنة الكبرى التي يفرض بها على أرض الواقع ما يشاء وقت ما يشاء، وحتى لا تتأثر مصالح الغرب في بلاد المسلمين، فإنه لا يكف عن مراقبة ما يحدث داخل بلاد المسلمين عن كثب ورصد كل تحرك داخلي يمكن ـ ولو على سبيل الظن ـ أن يهدد مصالحه؛ ليعمل على إجهاضه قبل أن يولد، فإن قدر له الميلاد عمل على وأده، «ولما كانت الصحوة الإسلامية تمثل تهديداً لهذه المصالح الغربية، وترفض التبعية للغرب،

(١) البقرة: ١٠٥. (٢) البقرة: ٢١٧. (٣) البقرة: ١٢٠. (٤) النساء: ٨٩.

وترفع راية الاستقلال الوطني، وتقاوم مظاهر المسخ والتشويه الثقافي والحضاري، وتسعى لتعميق الهوية الحضارية الإسلامية وترفض السياسات التنموية والتحديثية والممارسات السلوكية اليومية المرتبطة بالغرب، وتطرح الإسلام كبديل للإطار الحضاري الغربي، من هذا المنطلق فإن الظاهرة الإحيائية الإسلامية والتنظيمات الإسلامية المسيسة (الحركية) تشكل مصدر قلق للنظم والحكومات في الغرب. لأنها ترفض الغرب كلية كثقافة ونظام قيم، ومصدر للهيمنة والاستغلال»[١].

لا غرابة إذن في أن كثيراً من الدراسات التي تصدر في الغرب عن الحركة الإسلامية لا تكف عن تشويه صورتها، وإثارة ضباب الريبة حولها، ومحاولة نصب الفخاخ للقائمين بها والداعين إليها، وإشاعة النفور منهم برميهم بالتعصب والجمود، ومعاداة العلم والتحديث، وأنهم رجعيون، يعيشون خارج العصر، لا يعرفون غير العنف سبيلاً، ومن ثم يجب على كل عصري مقاومتهم وتغييبهم عن الساحة أو تحجيمهم، هذه نظرة كثير من الغربيين للصحوة الإسلامية.

عداء بعض الفصائل في الساحة الإسلامية:

ولسنا نستغرب موقفهم المنبعث من الخوف على (دينهم الجديد) أقصد مصالحهم السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، ولكن الغرابة كلها تتجسد عندما تجد بعض الفصائل في الساحة الإسلامية، تناصب الصحوة العداء، وتردد حولها الأفكار المشوشة، وتضعها داخل إطار الصورة المشوهة، وتثير في محيطها كل ما يردده الأعداء خارج بلاد الإسلام عن الصحوة من تهم.

فهل هم يعيشون بأفكارهم خارج مجتمعاتهم وما يثور فيها من أفكار وتوجهات ينبغي معرفتها ودراستها قبل الحكم عليها، والوقوف موقف العداء منها؟

هل هم يرددون أقوال الغربيين ويقبلونها من غير دليل؟

هل رفض التبعية للآخرين جريمة؟

وهل مقاومة مظاهر المسخ والتشويه الثقافي والحضاري جريمة؟ وهل رفض الممارسات السلوكية اليومية المرتبطة بالغرب جريمة؟ وهل إذا قام من بين المسلمين فريق يعلن المحافظة على بلاد المسلمين وخيراتهم وثرواتهم لينتفعوا بها هم وأبناؤهم

(١) ظاهرة الإحياء الإسلامى فى الدراسات الغربية، د/ حسين توفيق إبراهيم.

من بعدهم جريمة؟ وهل طرح الإسلام كبديل للإطار الحضاري الغربي جريمة؟

إن هذا ما تنادي به وتعمل من أجله الحركات الإسلامية، فإذا اعتبر البعض من إخواننا في بلاد المسلمين أن هذه جرائم فالله المستعان؟ وإذا لم تكن كذلك فلماذا النفور والاستعداء؟

إن أصحاب المشروع الإسلامي يستمدون منهاجهم من القرآن والسنة، وهما مصدران لا خلاف عليهما بين جميع المسلمين، وهذان المصدران جعلا لكل إنسان يعيش في بلاد الإسلام ـ ولو لم يكن مسلماً ـ حقوقاً تجب المحافظة عليها، ويحرم ويمنع شرعاً إهدارها، فلماذا تناوئ بعض الفصائل الحركة الإسلامية في أصل التوجه الذي تبتغيه؟ وتوجه أصحاب المشروع الإسلامي يقوم على «تبني مشروع حضاري يصوغ الواقع على أساس من تعاليم الإسلام، للمسلمين فيه نصيب على القاسم العقائدي، ولغير المسلمين فيه حق ودور على أساس من القاسم الحضاري»[(١)].

أينكر أحد قيمة هذا التوجه؟ وماذا يريد المنكرون غير هذا؟

إن هذا التوجه يستوجب الاتفاق في الأصول وأسس المرجعية التي ترجع إليها كل الفصائل والحركات والتوجهات في بلاد الإسلام.

ولا ضير ولا عيب أن يكون هناك خلاف في الفروع، وفي تقديم بعض الأولويات على الآخر، وأن تعلن كل جماعة عن برامجها وأهدافها ووسائلها، دون عداء بينها أو توجيه اتهام لبعضها، أو محاولة التطوع لخدمة الآخرين بإثارة الحزازات، وإحياء فتنة الشقاق والخلاف، دون هدف حقيقي تجنيه بلاد المسلمين، التي هي الآن في حاجة ماسة إلى كل فكر بناء، وإلى كل ساعد يعمل، وإلى كل جهد يبذل، فلماذا الاستعداء؟

---

(١) الإسلام والديمقراطية ـ فهمي هويدى.

ثالثاً: دور الفكر في عملية التغيير:

التغيير مطلب منشود ولا يقتصر على المجتمعات والشعوب، بل يتعداها إلى كافة أشكال المؤسسات الاجتماعية والإدارية، وحتى الحياة الفردية الخاصة، والتغيير سنة حياتية وضرورة إنسانية؛ إذ لا يمكن أن يبقى الناس رهينة وضعية معينة لا تتحرك، ولا تتطور سلباً أم إيجاباً، والتغيير يصل بلا ريب إلى كافة جوانب الحياة: «الإنسان نفسه وفكره وسلوكه، والبيئة المحيطة المتفاعلة مع هذا الإنسان»، والقرآن الكريم بين لنا أن عملية التغيير هذه مرتبطة بالإنسان وفكره وإرادته وسلوكه قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[(١)] . «فالإنسان يملك أن يستبقي نعمة الله عليه، ويملك أن يُزاد عليها إذا هو عرف فشكر، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه»[(٢)] .

إذن فالتغيير في معتقدنا ـ نحن أمة الإسلام ـ متعلق تماماً بمدى ارتباطنا وقربنا من الله تعالى، ارتباط النفوس والأفكار ببارئها وفق منهجية فكرية إسلامية قوامها الإيمان العميق بالله، والالتزام بأوامره والامتناع عن نواهيه، والتصور المشترك للحياة والكون. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[(٣)] ، فعندما يستبدل الناس أحوالهم القبيحة بأحوالهم الجميلة يزيل الله عنهم نعمته ويسلبهم إياها، وعندما يسلكون طريق الاستقامة ومنهج التغيير من الجاهلية إلى الإسلام ييسر الله تعالى لهم ذلك، وفق أساليب ورؤى متعددة «تغيير فكري، تغيير اقتصادي، تغيير اجتماعي . . . إلخ».

وقد شهد التاريخ وشهدت الأمم التنوع في أشكال التغيير: فمنهم من كان مدخله للتغيير الجانب الاقتصادي وآخرون دخلوا المدخل السياسي، وغيرهم دخلوا مداخل اجتماعية وعسكرية وتربوية. . . إلا أن الفكر بلا ريب كان المهيئ والفاعل الأول في كافة عمليات التغيير، فهو بوابة المعرفة ومختبر التصور والمحرك للعمل. والفكر عند الفلاسفة هو «إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، وهو مرادف للنظر العقلي والتأمل ومقابل للحواس، والفكر حركة وانتقال، والأولى أن يشترك في معنى الفكر القصد، والفكر هو حركة النفس في المعقولات وفيه القصد، لأن حركة النفس في المعقولات بلا اختيار كما في المنام لا تسمى فكراً»[(٤)] .

---

(١) الأنفال: ٥٣ .

(٢) سيد قطب في ظلال القرآن: ٤/ ٣٧ دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٧ ، ١٣٩١ هـ.   (٣) الرعد: ١١

(٤) جميل صليبا عضو مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨٢م.

والفكر هو المطلوب من الناس إعـماله لكي يسلكوا جادة الصـواب، ويميزوا الحق من الباطل قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(١) وفي سورة آل عمران جاء قول الله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾(٢)، إلا أن علاقة المسلمين بالأفكار ليـست كسـواهم من الأمم، ذلك لأنهـا مرتبطة بمنهج فكري ومنظـومة فكرية لها ثوابتـها ومبـادئها ومنطلقـاتها، تغتـرف من الإسلام لتبـدع من خلاله، من هنا نستطيع القول بأن أى نتاج فكري لا أصل له يبقى رابطه ضعيفاً وغير ذي جدوى، ويشهد على ذلك واقعنا العربي والإسلامي، حيث إنه ومنذ التغيير الفكري الذي سيطر على الأمة لغير صالح الإسلام لم يزد الأمة إلا انحناءً وتخلفاً.

وقد عـالج المفكر الإسلامي مالـك بن نبي هذا المنحى في كتابه «مـشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، واضعـاً اليد على أن مشكلة المُفجر الملائم للبلاد الإسـلامية (أي الطاقة التغييرية) يجب أن تجد حلاً بعيداً عن النظريات المشتقة من «آدم سميث» أحد أول من نظر للرأسمالية الليبرالية، وكارل ماركس، وفي ذلك دعوة للانبعاث الفكري من خلال منظومة فكرية ذات جذور إسلاميـة تتناغم مع ما تتوق إليه الأمة الإسلامية، وقـضية وجود منهج إسلامي واعتماده في عـملية التغيير يشكل محـور هذه العملية، «ذلك أن الوحدة الفكرية بين أفراد الأمة تُفضي إلى وحدة الرؤى والحلول في التنظيم الشامل للحياة، فإذا ما تفرقت بهم سبل النظر واختلفت مناهجهم فيه، انتهى كلٌّ إلى رؤية مخالفة لرؤية الآخر في الآراء والأعمال معاً، وتلك هـي الفرقة والشتات»(٣)، وهذا ما نلحظه بدقة في تاريخ المسلمين، ففي فـترة البناء الأولى فتـرة الرسول ﷺ وخلفائـه الراشدين من بعده، تجلى المجـتمع الوحدوي المتعاضد، ذلك أن مشاربهم كانت واحدة، وكذلك مآربهم فكانوا متحدين تحت لواء واحد، يحكمـهم منهج فكري لا بديل عنه، ولا منازع يجـد ما يُستلب فـيه، إلا أن الصراع والتفكك بدأ مع دخـول الأفكار الغربية وتداولها بين الناس على حسـاب الاهتمام بالفكر الإسلامي، إن التغيير الأشد فتكاً الذي حدث في تاريخ المسلمين هو التغيير الفكري الذي بدأت معـالمه مع قوة دولة الإسـلام، وتغلغل الفكر اليـوناني والمترجـمات من بلاد الفرس والهند، التي عكـست مناهج غيرت في تصـور الناس للإسلام، واستـمر التغيـير الفكري يوجد الخلافات والنزاعات بين أبناء الأمة الإسلامية، ويتجلى في أعنف صوره بعد

(١) البقرة: ٢١٩. (٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) فتحي يكن: المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب، ص ٨٤ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

انهيار الخلافة الإسلامية العثمانية، وما تلاها من سيادة المنهج الفكري الغربي «المادي العلماني» الذي جعل من مؤسسات وأفراد الأمة ترسانات متقابلة متنافرة، كلٌّ منها يدين بفكرة مناقضة للأخرى.

وبالفعل لقد أحدث التغيير الفكري في الأمة ما لم يحدثه الاحتلال العسكري والعامل الاقتصادي، ولو أنهم جميعاً غير منفصلين كلياً عن بعضهم البعض؛ لذلك فإنه لابد من إعادة دور الفكر إلى الواجهة لرد الغزو، ولإحداث البناء المنهجي الفكري السليم القادر على خوض عملية التغيير التي تبدأ من الفكر الذي لابد أن يتجلى بأبهى صوره وإنجازاته، ونظراً لدور الفكر وأهميته البالغة في إحداث البناء والتغيير فقد ربط الدكتور يوسف القرضاوي بين الإيمان والفكر بقوله: «إنه لابد مع التربية الإيمانية التي هي الأساس والقاعدة للبناء الأخلاقي لطلائع الحركة وقيادات المستقبل من تربية فكرية راسخة» (١). إلا أن دور الفكر وأهميته يجب ألاَّ يبقى في الإطار النظري، هذا ما نبه إليه الأستاذ مالك بن نبى قائلاً: «ففي منطق هذا العصر لا يكون إثبات صحة الأفكار بالمستوى الفلسفي أو الأخلاقي، بل بالمستوى العملي، فالأفكار صحيحةٌ إذا هي ضمنت النجاح»(٢).

فكيف بنا ونحن نؤمن إيماناً مطلقاً بأن منظومتنا الفكرية الإسلامية هي من عند الحق تعالى، أفلا تستحق أن نخوض معركة التغيير من أجل تحويلها إلى واقع يعيشه الناس وينعمون به؟! وهنا يتجلى دور الفكر في عملية التغيير المنشودة. صحيح أن تحقيق هذا الأمر عملية تحتاج إلى مؤسسات وتنظيمات لكي توزع العمل والنشاط وترتبه، وكذلك تحتاج إلى أشخاص موهوبين، لكن كل هذا يجب ألاَّ يحيد بنا عن التزام المنهج الذي لم توجد التنظيمات والجمعيات إلا لخدمته ونشره، والذود عنه، وهذا هو الالتزام بحق وقد عبر عن ذلك الكاتب الإسلامي عمر عبيد حسنة بقوله: «فالالتزام إنما يكون دائماً وأبداً بالمنهج الإسلامي، بالفكرة، بما شرعه الله لنا، وليس الالتزام بالأشخاص أو التنظيمات، أو الجماعات، أو الحكومات التي هي محل للخطأ والصواب»(٣).

---

(١) عبد الحميد النجار: دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين ص ٢٩، ٣٠، ـ المعهد العالمى للفكر الإسلامي ـ ط١ هيردن فرچينيا ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

(٢) مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص١١١ ـ دار الفكر ـ دمشق ١٤٠٨هـ .

(٣) عمر عبيد حسنة: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ـ كتاب الأمة العدد٨ ص٢١ .

وهذا عين الصواب، لأن دور الفكر في العـملية التغـييرية رغم أهميـة وضرورة ملامسته للواقع لإحداث التغيير، يجب أن يبقى مُنزّها عن التطويع لخدمة شخص أو حكومة أو مجموعة، لأن سقوطهم ـ وهذا ممكن ـ يعني سقوط هذا الفكر وهذا غير ممكن وغير مقبول، لذلك فإن ظاهرة ربط الفكر بالأشخاص والمؤسسات لا يصح إلا بما تؤديه من خدمـات، ولا يصح أن يُربط ذلك إلا بالمعصوم عليه الـصلاة والسلام؛ لأنه لا ينطق عن الهـوى إن هو إلا وحي يـوحى، وهو الذي بيّن لنا مـعـالم المنهج الفكري الذي علينا انتهاجه.

إن معرفة المنهج الفكري الإسلامي ووعيه والالتزام به هي الخطوة الأساسية على طريق التغيير، لكن ذلك ينبغي ألاَّ يُنسينا معرفة واقعنا وما يدور حولنا، لقد كان هذا الواقع قديماً قائمـاً على الفكرة التغييـرية في مواجهة تحديات وأفكار من نفس البـيئة التي تعيش فيها، أما اليوم فقد تضاعفت المواجهة عن طريق الأفكار الدخيلة المضادة، وعن طريق الأفكار الخارجية الساعية إلى غزو فكـري، تستعمل لأجله كافة التقنيات والتكنولوجيـا المتمثلة بوسـائل الإعلام التقليـدية والحديثة، أضف إلى قـدراتها على التغلغل في مجتمعاتنا الضعيفة، المتبلدة في هذا الجانب الخطير.

إن عملية التغـيير، واقعة لا محالة لأنها سُنة المجـتمعات، معوقاتها ومـحفزاتها تأتي من داخلنا، من نفسنا المختلطة بالمنهج الفكري المـتبنّى، ولطالما بقى فكرنا تحركه نماذج غربيـة لا يرتقي معهـا عن مستوى التـقليد، فسنبـقى خاضعين لسلطان الغـير والشخص... وعندمـا تزول تلك الظاهرة ونتعامل مع الأشيـاء وفق منهجنا الفكري المستقى من العـقيدة والتراث، عندها يستعـيد سلطان الفكر موقعه فـينا، وفي حياتنا وفي عملية التغيير التي لابد واقعة ـ بإذن الله.

المبحث الرابع: التكامل فى العمل الإسلامى

أولاً: تكامل لا تناقض

لكل دعوة أسس وقواعد، تبنى عليها، وتستمد منها نماءها وانتشارها بين الناس، وبقدر ثبات هذه الأسس والقواعد تشربتها قلوب الكبار، ونشأت عليها وتعلقت بها عقول الصغار، وبقدر ثبات هذه الأسس وعمقها، وسلامتها وموافقتها للفطر السليمة، والنفوس المستقيمة بقدر ما يحرص الناس عليها، ويتمسكون بها، ويعملون على نشرها، ويبذلون من أموالهم ومن دمائهم ـ إن اقتضى الأمر ـ في سبيلها .

ومن أجل ذلك يصعب العمل على تغيير قواعد الدعوة، أو التخلي عن بعض أنماطها، بل ويصعب العمل ـ أحيانا ـ في سبيلها.

وكل محاولة تبذل في ذلك السبيل تلقى صدى وإعراضًا كبيرين من الناس، مما يتسبب عنه الصراع بين الفرقاء فتتبعثر الجهود، وتتوزع الطاقات وتتشقق الصفوف، وتتزايد الفرقة، وتكثر الخصومات، وتتوالى الاتهامات وتعلو وترتفع الظنون، وإحجام كل صاحب فكرة جديدة عن عرض فكرته وتوضيح خطته، مما يجعل روافد الدعوة التي تمدها بالطاقة والحيوية والتجديد تتوقف، وينذر باضمحلال الدعوة بقواعدها وأصوله القديمة بعد أن يكون الزمن قد تجاوزها إلى غيرها، فإذا طال الأمد صارت غريبة بين قومها غير عزيزة على حماتها، بعد أن فقد الدعاة إليها حماسهم وحيويتهم، وفي هذا خطر يعرض الدعوة إلى التجميد، ويعرض الدعاة إلى الإعراض عنها، فكيف يمكن التغلب على هذه المشكلة والتخلص من هذه المعضلة ؟ وبعبارة أوضح كيف تحافظ على القديم مع الاستفادة من الجديد؟

وليس في الأمر مشكلة كبرى ـ إن أحسنا التفكير والتقدير ـ لأن لكل شيء ذي بال أصولا يقوم عليها وفروعا تتصل به وتبدل عليه وترشد إليه، والأصول ـ غالبا ـ لا اختلاف عليها، إنما يكون الخلاف حول الفروع، التي لا يضر الخلاف حولها؛ لأن فيها سعة تتسع للناس جميعا على اختلاف قدراتهم ومواهبهم وجهودهم، وإذا فهمنا ذلك أمكننا أن نوائم ونوفق بين الجديد والقديم من غير نفور من القديم أو إعراض عن الجديد؛ لأننا لا نلغي القديم ولا نتجاهله، بل ندخل عليه من المستجدات والمستحدثات في الوسائل والفروع المساعدة، ما يعطيه دفعة قوية

ومهــارة عظيمــة يتفاعل بــها مع العصــر، ويتزيا بزيه، فــلا يبدو غريــبًا، ولا يكون عجيبًا.

والمشاريع المكملة والخادمــة، لا البديلة هي التي يمكن استخــدامها في المزج بين القديم الذي يمكن الاســتغناء عنه لأصالته وعــراقته، وبين الجديد الذي يفــرض نفسه بحكم عــصره، وأوانه؛ إذ لكل منهــا منزلته التي لا يمكن الإغــضاء عنها، فــللقديم هدفه، وللجديد هدفه.

وجزء من مهمتنا الأساسية أن نعرف كيف نوظف كلا منهما في مكانه الصحيح من غير تضارب ولا تناقض، بحيث يتحقق الهدف العام منهما معا.

والتنظيمــات الإسلامية ـ في بداية أمــرها ـ إنما قامت على حسن اختــيار الأفراد وصبغتهم بصبغتها وصنعــتهم على عينها، بحيث يكونون منضبطين سلوكا، متآزرين جهدا، بنيانهم مرصوص، وثباتهم معروف، ولا يصرفهم عن التحية في سبيلها طمع أو ترغيب، وهذه الصفات لازمة للنخبة المؤســسة التي تقوم على عوائقها دعوة تحمل عبئهــا وتضحي في سبيلها؛ لأن هذه النخبة تــعتبر الأصل، ولابد في الأصل من أن يكون قويا ومتماسكا، يتحــمل عوادي الزمن، أما ما يترتب على هذا الأصل ويتعلق به فليس من الضروري أن تكون متانته وقوته مساويا للأصل.

الأصل في النخــبة التي تقــوم عليه دعــوة أن تتوافــر فيــها ـ بقــدر كبيــر ـ هذه الصفــات، أما الأجيال اللاحــقة فليس بالضرورة أن تتوافــر فيها كل هذه الــصفات، وذلك لأن الدعوة تتسع وتمتد لتــحوي في صفوفها أناسا كــثيرين، قد لا يكونون في قوة الجيل الأول ولا يتمتــعون بمثل صبره، ولا يتحملون مثل تضحــيته، وإنما يكتفي منهم بشيء من ذلك مع اعتبار كثرتهم مددا للدعوة،، يحملون في جموعهم الكثيرة بعض أعبائها، وهذا الذي نقرره ينطبق على الصحوة الإســلامية التي امتدت أكثر من الحركة، ودفع الدعاة إلى طرح مفاهيم جماهيــرية جديدة في معظمها، بدأ الجدل بها حول القديم والجديد، وطرح مبدأ التوفيق في الدعوة والحركة بين القديم والجديد كما فعل بعض الفقهاء في المســائل الفقهية، وحاول كثيرون أن يجعلوا الرغــبة الجماهيرية مبررا مقبولا لهذه الدعوة التوفيقية، حتى لا تزيد التشققات والتمزقات، وليس هذا ـ في نظري ـ حلا مرضيا، وإنما الحل ألا نعرض عن القديم وألا نغفل عن الجديد، فلا

بد من أن يظل بناء الدعوة قائما على قاعدة صلبة من الانضباط والالتزام والثبات والتضحية والصبر الجميل، وهذه صفات ثابتة للمؤسسة الدعوية الأصيلة، ولا بأس أن تقوم إلى جانب هذه المؤسسة مؤسسات أخرى تتصل بالمؤسسة الأولى، تبني عملها وفلسفتها في تحركها الدعوي على المفهوم الجماهيري، وتسير المؤسستان جنبًا إلى جنب بحيث يتلاشى الصراع، ويحقق كل اتجاه هدفه، فلا نتخلى عن قديم أثبت قوته وجدارته، ولا عن جديد أثبت انتشاره ومكانته، وإنما نجمع بين الطرفين، مدركين أن للقديم فرسانه ومحبيه، وللجديد كذلك فرسانه ومحبيه، ويظل العمل بعد هذا المزج بين القديم والجديد ـ ساري المفعول، يجذب مجاميع من الناس، اختلفت مشاربهم نحو الدعوة فيعطيها ذلك كل حين مددا وقوة.

ثانيًا: النماء في العمل الإسلامي:

«**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» (١) بهذا الدعاء من رسول الله ﷺ بأخذ البركة معناها السامي البعيد عن الدروشة والتشويش وعدم الاكتراث بالمعنى المقصود من كثرة الخير والنماء والكفاية، التي تفيض وتزيد على العدد الكثير من الشيء القليل، وقد وردت الكلمة بهذا المعنى في القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾ (٢).

فالبركة حقيقة ثابتة لا يحصل عليها إلا الذين عرفوا الورع في طعامهم واكتسابهم، وعرفوا الاعتدال في إنفاقهم، وعرفوا كيف يشركون غيرهم معهم في أرزاقهم، التي قد تكون قليلة في كميتها، وفيرة في غنائها.

وقصة التغلبي مفتي الحنابلة بدمشق عبد القادر بن عمر (ت ١١٣٥هـ) تدل على معنى البركة دلالة حقيقية لا مجاز فيها، فقد كان يرتزق من عمل يده في تجليد الكتب، ومن ملك له في قرية دوما، وبارك الله في رزقه، فحج أربع مرات، وكان يلازم الدرس لإقراء العلوم بالجامع الأموي بكرة النهار، وكان دينا، صالحا، عابدا خاشعا، ناسكا، مصون اللسان، منور الشيبة، بشوش الوجه، تعتقده الخاصة والعامة، ولا يخالط الحكام، ولا يدخل إليهم، وألجأته الضرورة مرة لأداء شهادة عند قاضي الشام، فدخل وجلس، فناوله الخادم فنجان القهوة فتناوله ووضعه بقرب فمه، فأوهم القاضي أنه شربه، ثم أعطاه للخادم فعرف القاضي ذلك، لأنه كان يلاحظه، فقال له : أراك تورعت عن شرب قهوتنا، فمن أين تكتسب ؟ فقال له: إن الله تعالى خلق آدم واحدا وبارك في ذريته حتى ملؤوا الدنيا، كذلك يبارك الله في الرزق الحلال القليل حتى يكون كثيرا، فأذعن القاضي لذلك، وأثنى عليه(٣).

هذه البركة نراها كل يوم في العمل الإسلامي من حولنا، فيبارك الله في جهود القلة المخلصة، فتثمرأفرادا عديدين، والذين يقرؤون تاريخ الحركة الإسلامية والصحوة الإسلامية يجدون أنها قامت وبنيت على جهود أفراد محدودين عددا، موفورين نشاطا وهمة، أمدهم الله بمدد من عنده فشمروا عن ساعد الجد، وبذلوا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وقال: «حسن»، وصححه الألباني.

(٢) ق: ٩.

(٣) ثبت مفتي الحنابلة بدمشق ص: ١٠، ١١.

غاية الوسع فأضافوا في كل يوم رصيدا إلى رصيدهم، فكثر عدد المنتمين، ورغم أن هذه الكثرة مطلوبة ومرغوب فيها إلا أنها لا ينبغي أن تخدع الحركة عن مراجعة نفسها من حين لآخر، لتراقب مظاهر الإخلاص لله في أفرادها، وتزيد من التقوى في القلوب، ومن الحرص على فعل الخيرات للناس، ومشاركتهم، في كل ما يسرهم أو يسوؤهم؛ لأن البركة في العمل لا يؤتاها إلا الورعون الأتقياء، فكم عدد هؤلاء الآن بين أفراد الحركة الإسلامية؟ وكم عددهم بين أفراد الصحوة الإسلامية؟

لا ينبغي على الأتقياء أن يتخفوا، بل عليهم أن يظهروا ويبرزوا حتى لا يظهر غيرهم ممن ليس لهم من الورع نصيب كبير، وهؤلاء يصيبون العمل الإسلامي بشيء من الجفاف العملي، الذي يقطع حبل المودة بين العاملين، فتحل الجفوة وتزول البركة، ويقف الرصيد من الأفراد عند حد بعينه، وقد يتناقص بأسباب الفتور والخمول واليأس، ولعل مظاهر هزال الحركة الإسلامية في بعض البلاد، وانكماشها على نفسها مرده إلى هذه الأسباب المعنوية، التي لا ينبغي أن يتحلى بها العاملون بل عليهم أن يتجنبوها أثناء سلوكهم طريق الحركة والدعوة، ولن يستطيع إنسان أن يكتسب مودة الآخرين وثقتهم ما لم يأخذ لنفسه من العبادة والطاعة ومراقبة الله بنصيب كبير، ليحقق ماسجله الله سبحانه في كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١] .

إن البركة لا تكون ولاتوجد بغير تقوى، فهي من نتائجها وثمارها، فإذا لم نحقق في نفوسنا التقوى، فلا أمل لنا في البركة وإن كثرت الحركة، وزاد عدد الناس؛ لأنهم حينئذ يصبحون غثاء كغثاء السيل.

(١) البقرة: ٢١.

ثالثًا: آلية التعاون بين الجماعات الإسلامية:

قال رسول الله ﷺ: «**سألت ربي ثلاثا: فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**» [(١)].

إن الدخول في آليات العمل والتفكير فيها يعتبر البداية العملية لكل مشروع تأصيلي فكري، ولكل بداية صعوبة وضريبة يدفعها الكبار الذين يلجون هذا المضمار؛ لأنهم سيحولون الأفكار إلى واقع عملي ملموس، ومن المعروف أن العقول الكبيرة تناقش الأفكار، والعقول المتوسطة تناقش الأهداف، والعقول الصغيرة تناقش الأشخاص، وأصحاب المشكاة جزاهم الله خيرا بدأوا يناقشون الأفكار، وهذه نقلة كبيرة بعد أن ظل الكثير من أصحاب الحركات الإسلامية يناقشون في غالب أوقاتهم «الأشخاص»، وفي أحسن أحوالهم يناقشون الأحداث، وهؤلاء لا يحسنون التعاون وليسوا مؤهلين لذلك، فالأفراد والأحداث أمر يصعب التعامل معه في المجال العملي الواقعي، أما وقد بدأ القائمون على مركز المشكاة الإعلامي ملتقياته في «أسس وآليات التعاون بين الجماعات الإسلامية»، فهذا يدل على أن الإخوة قد تجاوزوا الخلافات حول الأشخاص والحوادث وبدأوا الطريق، ولعل من أسباب بدايتهم الصحيحة أنهم كسروا الصندوق الذي يعيشون فيه، ونظروا إلى العمل الإسلامي من منافذ متعددة ولم يلزموا أنفسهم بمنفذ واحد وهذا ما يسمى في علم التغيير «البر دايم» وهذا النوع من المؤسسات فعال بطبيعته؛ لأنه يضع الرؤى للمستقبل، ثم يضع الاستراتيجية في اتجاه الرؤى، مع حرصه على دعم مراكز القوى في الحركات الإسلامية لمشروعه، وهو حين تستقر الأمور عنده نراه:

١ـ يتحكم بالوقت من أجل إنفاق كل ثانية في خدمة رؤيته لإنجاح المشروع الإسلامي

٢ـ يبتعد عن العناوين العامة غير المُحددة ويُركز على الإنجازات الحقيقية الملموسة.

٣ـ واثق بالله حين يضع أهدافه الطموحة.

٤ـ تلاحظ عليه النضج وتقدير المسؤولية وتصرفات الرجال.

٥ـ ترى عنده همة نفس عالية، وإقداما ووضوح روح المبادرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

ومن كان كـذلك انتظم في ركب أهل الإبداع والتطوير، أصـحاب فقـه الكتاب والسنة والواقع، العاملين الجـادين في حقل الدعوة، فـهؤلاء هم الذين يستخـدمون مهاراتهم وإمكاناتهم في تنفيذ وتطوير وإنجاز أعمالهم.

تهيئة الأجواء:

وقبل الدخول في الآلـيات المتعلقة بتعـاون الحركات الإسلاميـة لابد من العمل على تهيئة الأجـواء في داخل بنية الحركات الموجودة على الساحـة حتى يسهل تطبيق وتفعيل هذه الآليات؛ لأننا عندما نبدأ ببذور صحيحة وجيدة في أرض سبخة، نكون قد أضعنا الأوقـات والأموال والجهود، هؤلاء كان الإنسان عنهـا مسئولا ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[1]، وهذا الأمر ليس بالهين، ولكن البدء به إنما هو وضع القدم على الطريق الصحيح من خلال:

١ـ إعادة النـظر في هياكل العـمل الإسلامي للحـركات على فـترات من حـياة العمل الحـركي، فهذه الهيـاكل لا تزيد عن كونها وسيلة لخـدمة الهدف، فـلا تجمد عليها مع تغير الظروف وأوضاع المجتمع.

٢ـ الابتعاد في إدارة العمل عن نظام الدورة المفتوحة، حيث لا نتعرف على آثار العمل أو تصحيحه، فتسعى الحركة إلى نشر الدعوة بدون رصد آثارها وصداها.

٣ـ حين العمل والسعي من أجل تعاون وتكامل بين الحركات الإسلامية، لابد من أن نبتعد عن تحقيق كل شيء في لحظة، وكأن إقامة الدين في المجتمع كصنع القهوة السريعة «نسكافيه».

٤ـ أن يكون العمل القائم على التعاون والتكامل مجدولا في أعمال قصيرة واضحة ومختصرة، وبمجرد الانتهـاء منها يوضع جدول عمل زمني آخر مدروس، وهذا يتطلب العـمل بروح الفريق الواحـد، وهذه الروح تصـبح فعـالة بين من لديهم القـدرة على التضحية، وتجـاوز الخلافات الشخصية، والتعـود على العمل مع الآخرين، ويوم يتقن الإسلاميـون العمل بروح الفريق سيكون ذلك بشارة إحيـاء حضارة إسلامية مـعاصرة، وحين ذاك لن يوقف المد الإسلامي عائق بعد ذلك فإن رحمة الله مع الجماعة.

ومن المقرر أن الحركات الإسلامية مـن خلال برامجها التربوية تمكنت من تكوين أفراد ممتازين إلى حـد ما، ولكن المشكلات نشأت عندما حـاول هؤلاء الأفراد العمل

---

(١) الإسراء: ٣٦.

معا في برنامج مشترك، وقد استند من يقولون بأن أصحاب الحركات الإسلامية لا يعرفون الجد في العمل على وجود هذه المشكلات وعزوا سبب فشل بعض الحركات الإسلامية إلى هذا السبب، ولكن ما قولنا في الدعاة الجيدين الذين يعملون بكل جد، في اتجاهات متعارضة، الأمر الذي يجعل محصلة جهودهم النهائية أقرب إلى الصفر، بل قد تكون محصلة سلبية في بعض الأحيان، فإذا لم يتوافق عمل فرد ما مع عمل غيره توافقا وثيقا في إطار خطة واضحة مع وضوح اتجاه العمل، فإن النتيجة ستكون محدودة رغم الجهود التي قد بذلت في ذلك، وإذا ما استطردنا في تصعيد أخطاء بعضنا البعض وإهمال الإسهامات الإيجابية للآخرين، والتقليل من أهمية إنجازاتهم، فلن نتقدم ولن نحقق من أهدافنا شيئا مذكورا؛ إذن لابد أن نسعى للتخلي عن الشعور بأننا نحن فقط على صواب، وأن غيرنا دائما على خطأ، ويجب علينا الاعتراف بأن كل العاملين في الحقل الإسلامي لهم دورهم، وأن نسعى جميعا إلى تنسيق الجهود، ونبذ التجريح والقدح في بعضنا البعض.

٥ ـ التدريب العملي للدعاة في العمل والممارسة الإيمانية الإخوانية.

مثال: الشيخ والتلميذ حيث قام الشيخ بتعليمه ستة أشهر، وطلب منه أن يتدرب معه ثلاثة أشهر، فاستعجل الطالب وظن أنه قد نضج وانتهى دور الشيخ، فذهب إلى المسجد، فسمع الإمام يقول من الكذب والأغاليط ما دفعه أن يقوم بعد الخطبة ويقول: هذا شيخ كذاب، فقام الشيخ وقال لأهل المسجد: هذا الرجل كافر، فقوموا فاضربوه، فقام الناس إليه وضربوه، ورجع الطالب إلى الشيخ قد أصيب في كل جزء من جسمه، فقال الشيخ: قم فاذهب معي، فجلس الشيخ عند هذا الخطيب الكذاب، وعند الانتهاء من الحديث قام الشيخ فقال: الخطيب رجل من أهل الجنة فمن كان مستطيعا فليأخذ من جسمه شعره، فقام إليه الناس ونتفوا شعره. فقال الشيخ: للخطيب لو عدت وكذبت فسيكون جزاؤك أكبر!!.

٦ـ ترتيب الأولويات؛ لأن المهام أكثر بكثير من الموارد المتوفرة من أجل القيام بها، فلا يكفي أن يؤدي المرء الواجبات المهمة، ولكن عليه أن يؤدي الواجبات الأهم منها أولا، فاختيار الأولويات الصحيحة مقدم على تنفيذ المهام بطريقة أفضل.

٧ـ تكوين دعاة على وعي كامل بالواقع ومعرفة جيدة بالظروف الاجتماعية والتعليمية والسياسية والدينية للبلد الذي يعيشون فيه.

تصور مبدئي لآلية التعاون بين الحركات الإسلامية:

١ـ تكوين مجموعة خاصة بالتعاون بين الحركات، يوضح أمامها التحدي على شكل مهمة واضحة ومحددة، وتمنح الصلاحية الكافية في البحث عن الحلول المطلوبة، ويوضع لها إطار زمني لإصدار وثيقة فيها تكاليف محددة، وحتى تنجح هذه المجموعة لابد من تحديد ميزانية لها، وتمكينهم من الوصول للمعلومات التي يحتاجونها.

٢ـ تحديد المسؤولية لكل جهة مع تحديد المهمة، فجعل المسؤولية للجميع يؤدي إلى ضياع المسؤولية وعدم إنجازها، فالكل يعتقد أن غيره هو المسؤول.

٣ـ اتفاق الحركات على أدبيات فقه الاختلاف كأرضية تعامل مع الأحداث، ومن هذه القواعد على سبيل المثال:

أ ـ عدد ركعات صلاة التراويح، وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة سنة، ووحدة المسلمين فرض.

ب ـ كلام المتكلم صواب يحتمل الخطأ وكلام السامع خطأ يحتمل الصواب.

ت ـ نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

٤ـ إحياء روح الحوار الفكري عند أبناء الحركات في مستوياته الثلاثة: «داخليا بين الأعضاء، ومع الحركات الإسلامية الأخرى، ومع التجمعات غير الإسلامية»؛ لأن غياب الحوار ركود فكري، وعجز في الإثراء المطلوب لإنضاج الحركة، بالإضافة إلى سوء الفهم بين المجموعات المختلفة، الأمر الذي أدى إلى غياب الثقة وبروز العداوات بين العاملين لرسالة واحدة.

٥ـ إحياء المسائل الكبيرة في الإسلام والاجتماع عليها حيث لا مجال للخلاف عليها، فالاتفاق على إشاعة الحجاب الإسلامي المتفق عليه ووضع برنامج موحد في ذلك مع عدم الدخول بالخلاف حول تغطية الوجه.

الاتفاق على إحياء فريضة الصلاة من كل نواحي المجتمع، وعدم الدخول في خلاف حول هيئات الصلاة.

الاجتماع لحفظ حرمة النبي ﷺ والصحابة وأمهات المسلمين. ووضع خطة عملية موحدة في إشاعة القيم الإسلامية لوضع سياج أخلاقي يمنع الزنا والمسكرات، وغيرها من الجرائم.

٦ـ إيجاد برامج اجتماعية وأنشطة عامة بين أبناء الحركات الاسلامية المختلفة ليتم التعارف والتفاهم بين العاملين، فالملاحظ من خـلال اختبار الناس، ودراسة مشاكلهم واختلافاتهم يجد أن كثيرا من الاختلافات إنما تنشأ عن سوء فهم بعضهم لبعض، أو عن سوء ظن طرف بالآخـر، فيتحكم بـذلك الخلاف، وتبعد الشـقة بين الأطراف، فالعيش الجماعي العـفوي يزيل الوحشة بين الأفراد وينشر بينهم قول الأحـسن ليبتعد النزغ الشيطاني، ويكون الاختلاف حول تحديد الأولوية، لا في أصل المشروعية.

٧ـ حجب الخـلاف بين الحركات الإسـلامية عن الشـباب الجدد والصـغار؛ لأن وصول مسائل الخلاف إليـهم من غير معرفته بأدب الخلاف وأسبـابه وطبيعته في هذه الأمة يجعلهم يتصرفون كما لو كـان الخلاف خلاف تضاد لا تنوع، فيصل الأمر بهم إلى التفـسيق والتكفيـر لغيرهم، فالخـلاف إذا لم يُحَط بالآداب الإسلاميـة، ويُضبط بالضوابط الشرعية أدى إلى تنافر القلوب وتفرق الصفوف.

٨ ـ التقليل من حب الدنيا وتربية الأجيال على الزهد في المال والجاه، فما أفسد القلوب إلا التنافس على الدنيا وبهـرجها[(١)]، ويكفي أن ننظر إلى واقعنا في الكويت لنرى أن الخلاف يشتد حين التنافس على المجالس النيابية، والمقاعد النيابية، ومجالس إدارات الجمعيات التعاونية.

وأخيراً:

للأسف الشديد فإن الجمـاعات الإسلامية تظهر ـ الآن ـ وكأنها أحـزاب مقدسة لذاتها، كما لو كان الحزب قد تأسس من أجل نفسـه، فأصبحت صورة الحزب عبارة عن مجموعة من الأعـضاء تهتم بمصالحها فقط دون اضطلاعهـا بدور حقيقي لها في المجتمع ككل، لهذا نرى أن جمهور الناس لا يبدي أي اهتمام أو تعاطف جادين تجاه ما يقع على الجـماعة من ظلم واضطهاد، ويتـرافق هذا الأمر مع فقدان الإسـلاميين لبعض مكتـسباتهم أمـام مد العلمـانيين نتيجـة قلة التعاون بين الحـركات الإسلامـية المختلفة، وعندما يتم التعاون بين الحركات الإسلامية ستتبنى الحركات مشكلات الأمة الإسلامية، وإيجاد الحلول لها كتحد جماعي مباشر تواجهه الحركة.

ونحن حين نعزم على إيجاد التـعاون والتنسيق بين الحركات الإسـلامية لابد أن نبذل الجهـد، فنحن عندما نقول كل ما لدينا، ونبذل كل مـا بوسعنا فلا يهم كم من المشقة تكبدنا ولا كيف خططنا، المهم هو ماذا حققنا.

---

(١) انظر: قصة الأنفال وقصة الحسن البصرى مع تلامذته.

رابعًا: صراع المرجعيات:

المرجعية الدينية هي تلك الجهة التي يمكن الرجوع إليها للفصل والحسم في أمر من الأمور التي يمكن أن تثير خلافًا، أو تنشب صراعًا لو لم تحسم، وبذلك فهي في النهاية مصدر القضاء على الخلافات، وحسم المنازعات وهي مصدر الرضا والقبول لدى كل الأفراد، وسواء أكانت هذه المرجعية فردًا أو هيئة معينة، فإنها محط كل رجاء، تظل الأسماع مرهفة لمعرفة رأيها، والأخذ بحكمها دون غيرها وكأنما هذه المرجعية هي جهيزة التي قال فيها المثل العربي القديم: «قطعت جهيزة قول كل خطيب»، فالمرجعية الدينية تقطع كل خلاف وشقاق، وتلقى عند الناس القبول والوفاق.

ولذا فإننا حين ننظر إلى المرجعية الشيعية نجدها مقننة بأسس وضوابط ونجد الصراع فيها صراعًا مؤسسيًا ظاهرًا، له آلية واضحة من خلالها يتم الحسم، والمرجعية الدرزية كذلك لها نظام مؤسسي يتم من خلاله قطع أسباب الخلاف، والالتفاف حول ما تقرره المرجعية.

ومن مثل هاتين المرجعتين السابقتين توجد كثير من المرجعيات التي تقام على أسس واضحة المعالم، بينة الملامح، تعمل على أن تكون كلمتها في النهاية هي أساس كل انطلاق، وأساس كل ائتلاف، وليس يخفى على أحد من ذوي الألباب الصراع الواضح على السطح في مرجعيات المذهبين السابقين.

ولا يهمنا أن نطيل في هذا الأمر؛ لأنه من اختصاص أصحابه من أهل تلك المذاهب، ولكن الذي يهمنا ويشغل أفكارنا هو التحدث عما يسمى بالمرجعية الدينية عند أهل السنة والجماعة، وقد يستغرب البعض هذه التسمية، لأنهم يرون أنه لا مرجعية لأشخاص أو لهيئات، وإنما المرجعية الأساسية إنما للكتاب والسنة، وكلام البعض هذا لا غبار عليه من الجانب النظري، فالقرآن والسنة هما الأساس الذي يرجع إليه في كل شيء.

نعم هذا صحيح ولكن من الذي يمكنه الرجوع إلى القرآن والسنة؟ إنهم العلماء الراسخون في العلم، القادرون على الاستنباط، واستخراج مكنون الأحكام، وبيانها للناس، بحيث لا تزيغ الألباب ولا تطيش الأفهام.

هذه المرجعية بهذا المعنى عند أهل السنة والجماعة تمثلت ـ سابقًا ـ في الخليفة وأهل الحل والعقد من علماء الأمة، وكانت الأمور ـ عندها ـ واضحة جلية من

خلال مؤسســة منضبطة وآلية واضحة، ظلت فتـرة طويلة من الزمن تنفي الحيرة عن المسلمين، وتزيل كل لبس قد يقع في طريقهم، وتحسم الخـلاف قبل أن يشتد ويمتد، وتؤلف القلوب على الكتـاب والسنة، وقـد تظهر فـتنة الفـرقة والخـلاف في بعض الأحيـان ولكنها في النهاية تحـسم على يد هذه المرجعيـة من العلماء ويقضى عليـها ليبقي نهر الوفاق بين المسلمين جاريًا، صافيًا ماؤه، وأن تعكر ـ أوقاتًا ـ إلى حين.

واليوم - في عالمنا الإسلامي المعاصر ـ نجد أن المنظومة التي من الممكن أن نطلق عليها المرجعية أو أهل الحل والعقد غير منضبة بأجهزة ومؤسسات خاصة بها، ولكنها منتشرة متمثلة في مـؤسسات حكومية وهيئات شعبيـة وقيادات فردية دينية، ومدارس علميـة تربوية، تنتشـر في كل دولة فوق أرض الإسلام والمسلـمين دون أن تكون لها ضـوابط وأسس تنظم أمورها وتـنسق بينها فـيمـا تصـدره من أحكام، بل وللأسف الشديد نجد عكس ذلك.

نجد صراعًا خفيفًا بين جهات صنـاعة القرار والتوجيه الديني بعضها مع بعض في كل بلد إسلامي، وهذا الصراع الخلفي يتخـذ ألوانًا مختلفة وأثوابًا متعددة ليسـتتر بها، ويخفى وراءها لب هذا الصراع وجوهره، وهو من له حق التـوجيه والنطق باسم المسلمين في هذا البلد أو ذلك؟ ونحن لا نتحدث عن النيات، لأننا لا نتحـدث عن الأشخاص، وإنما نعبر عن ظاهرة ملموسـة واقعة بين المسلمين، وإن لم يرها بعـضهم أحيانًا، أو غض بعـضهم الطرف عنها أحيـانًا أخرى، وبقاء هذا الصراع الخفي يضـر ولا ينفع، وإن سترته الأثواب وغطته الألوان فإنما هـو إلى حين، ثم تنكشف الأمور عن نقائص وسخـائم وآلام وأحقاد يبقى أثرها في النفوس بحيث تزيد المرحلة الحرجة، ولذا فإني أدعو الجميع بغير استثناء إلى المحاورة من أجل الوصول إلى صـيغة مقبولة من جـميع الأطراف تبلور ما يمكن أن نطلق عليه المرجعيـة الدينية المعبرة عما يحـتاج إليه المسلمون في هذا البلد والتي لها الحـسم فيما يستجد مـن أمور، ويظهر في الساحة من دعاوى، وهذا ـ إن تم ـ يجنبنا الـفرقة والخلاف ويحفظنا جميـعًا من أن يظل كل واحد منا يسعى حثيثًا مـهرولاً لدى ولاة الأمر، ليبرهن لهم أنه وحده المـتحدث باسم الاتجـاه الإسلامي، وأنهم يسـتطيعون أن يعـتمـدوا عليه، ويتحدثوا مباشرة إليه؛ إذ هو صاحب التأثير في الساحة، وأن غيره لا يملك هذ التأثير، لا يحق له أن يمثل الاتجاه الإسلامي، أو يتحدث باسمه.

وأن على ولاة الأمر إن أرادوا شيئًا إسلاميًا فهو وحده المعني، وهو الذي يصدق عليه المثل العربي القديم: «وعند جهينة الخبر اليقين»، وما درى هؤلاء المهرولون أنهم بعملهم هذا يحطمون الرموز المنافسة لهم ـ سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا ـ ولا يحافظون على أي رمز ديني إلا الذي يمكن أن يحتوي تحت عباءتهم، فهذا مسكوت عنه مرضي عنه، مادام لا يحاول الخروج من تحت هذه العباءة، وعندنا من الصور الكثير فكم من شخص كان مرضيًا عنه، يظن أن الأمر قد دان له، وأن الدنيا قد أقبلت عليه، ثم إذا به يحاول الخروج من تحت العباءة فلا يجد غير الإدبار عنه والحرب عليه.

وكم من هيئة كانت مرضيًا عنها؛ لأنها كانت تعيش في ظل العباءة ثم حوربت، ولا أترك هذا المجال حتى أضع أمام القارئ نموذجًا محددًا، لأنني لا أظن أن أحدًا صادقًا يختلف معي فيه، إنه سماحة الوالد العلامة الشيخ: «عبد العزيز بن باز»، الذي ظل فترة طويلة يمثل المرجعية الدينية في العالم الإسلامي، ثم بدأت بعض الأقلام النيل منه والتحرش به، وليس لذلك سبب عندنا إلا وجود الصراع الخفي على المرجعية الدينية.

فهل نعي هذه الحقائق؟ وهل نبادر بفتح صفحة هذا الحوار بين القيادات الإسلامية لاختيار ما نطلق عليه المرجعية الدينية، التي في ظلالها تحفظ كرامة العلماء، ويوحد الرأي، وتزول الفرقة وتقوى الأمة، وننقي أرض الدولة من بذور الفتنة فلا تطل برأسها، ولا تحدث في المجتمع تأثيرها؟

إن اختيار هذه المرجعية واللجوء إليها في استخلاص الأحكام والأخذ برأيها عندما يشب خلاف أو صراع، إن هذا كله أصبح ضرورة عصرية لما لها من نفع عميم، ينتفع به المسلمون في العصر الحاضر الذي يتسم بأنه عصر المؤسسات العلمية الراسخة التي تقود خطى الأمة نحو الفلاح والنجاح.

خامساً: في منابر الحق صور لا تنتهي:

المنابر الدعوية المتعددة روافد تصب كلها في النهاية في النهر الكبير، الذي يرده المسلمون ليستقوا منه، إنه نهر تطبيق الشريعة الإسلامية، التي هي غاية أصحاب المنابر الدعوية بل هي غاية المسلمين أجمعين، وروافد النهر المتعددة لا تصب ماءها فيه بالتساوي، ولا تجري كلها إليه في وقت واحد، ولا يتوقف بعضها لأن غيره قد توقف عن الجريان أو نضب ماؤه أو تحول إلى غيره، وبالمثل منابر الدعوة تهدف إلى إعلاء دين الله والعمل على تطبيق الشريعة بين الناس، وقد يكون عطاء بعض هذه المنابر أكبر من بعضها البعض، وقد يغلق منبر من المنابر دورها، وتغرس بذورها في الأرض من أجل تطبيق شريعة الله بين الناس، ولو فعلنا ذلك لكنا والعياذ بالله ـ كاليهود ـ الذين قال الله فيهم: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ. . .**﴾ (١).

إن من ظلم الدعاة لأنفسهم أولاً ولغيرهم ثانيًا أن يغلقوا بابًا من أبوب الخير، وأن يحولوا بينهم وبين الناس بموانع وقيود وشروط، هي في النهاية ليست في صالح أحد ممن يخشون ربهم، وذلك أن منابر الدعوة اليوم أشبه بالمساجد التي قال الله فيها: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا**﴾ (٢).

وكل عمل أو سعي أو قول يؤدي إلى تعطيل منبر من منابر الدعوة أو إغلاقه هو نوع من الظلم لأنفسنا ولمجتمعنا، ولا ينبغي أن نقع في شيء من ذلك بمحض اختيارنا، بل ينبغي أن نكون واعين مدركين لما يراد بنا وبدعوتنا فلا نقع فيما يدبره لنا من لا يحملون للشريعة في قلوبهم تقديرًا، ولا يحبون لدعاتها أن يعلوا صوتهم وتتعدد منابرهم.

إن التراشق الذي يتم بين أصحاب الدعوات عندما تلج حركة من الحركات الإسلامية منبرًا جديدًا على مفاهيم العاملين ـ كالاتصال مع النظام الحاكم، أو التنسيق مع القوى الخيرة في المجتمع، أو الدخول في علم سياسي معين. . . إلى غير ذلك مما يدخل في إطار الموازنات الشرعية ـ فهل نسعى ـ نحن ـ لمثل هذا الأمر، ونقبل أن يدفعونا إليه طائعين غير مرغمين؟

إن من واجبنا أن نكثر من مراكز الدعوة ونحافظ على منابر الدعوة مفتحة أبوابها، غير مغلقة في وجه أحد من المسلمين؛ لتظل تسمع الناس تعاليم الدين،

---

(١) الحشر: ٢. (٢) البقرة: ١١٤.

وتدعوهم لأن يكونوا من المهـتدين الذين قال الله فـيهم: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (١).

وإن من واجبنا أن ننبـه إلى ما يراد بنا، وأن نكون على وعي بحـيث لا تختلط الأوراق في أيدينا، فنقـول بألسنتنا ما لم يستطع غـيرنا أن يقـوله، بل إن من واجبنا ومسؤوليـتنا أمام الله أن نحرص الحرص كله على بقـاء كل منبر يؤدي دورًا في إبراز معالم الدعوة الإسلامية.

وهنا يستـحسن بنا أن نتذكر قـصة الحسن البـصرى لنتبين كيف نتـعامل مع الخطأ عندما يكون في عـمل صحيح، فالإمـام قد خرج مع أصحابه في جـنازة فأراد أحدهم الرجوع، وسأله الحسن: لماذا؟ قال: إنه رأى البعض يلطم الخدود ويشق الجيوب قال له الحسن: إن كنت كلما رأيت منكرًا تركت من أجله معروفًا أسرع ذلك في دينك.

وهذا يصدق على واقـعنا، الذي لا ينبغي أن نترك فـيه معـروفًا من أجل منكر حدث أو مـتوقع حدوثه، وإلا لتـخلينا بأنفسنا عن السـاحة، وتركناه لغـيرنا ممن لا يسـرهم أن يعلو صوت الحـق، ولا يرضون أن يخـتفي أو يـتضـاءل صوت البـاطل والهوى، وحينئذ تخلو الساحة من الدعاة، وتبقى حكرًا على غيرهم، وهذا بعينه ما يريده العلمانيون، حتى لا يسمع غير صوتهم، ولا يكتب غير قلمهم، ومن الواجب الحذر من أن نمكنهم من هذه النتيـجة بتصرفاتنا أو بأقوالنا وتصريحـاتنا التي يدفعوننا إليها دفعًا، لأنها في النهـاية تمكن لهم، وتثبت الأرض التي تهتز من تحت أقدامهم، وتعود بالخسارة نفسها على الدعاة حينما يعزلون أنفسهم عن الناس من حولهم لسبب من الأسباب، فتذبل زهرة الدعوة، ويقل أريجها في آفاق مجتمعنا.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسـوة الحسنة والقدوة الطيـبة، فقد كـان يدعو إلى عبادة الله وحـده والأصنام حول الكعبـة، وقد كان يدعو إلى الله ومنكرات الجـاهلية كلها قائمة من حوله، بارزة لا تتوارى، ظاهرة لا تختفي، ولم يجعله ذلك يغلق بابًا من أبوب الدعوة، أو يتـحول عن طلب الخيـر مهمـا اشتد الأذى، وكـان يقول في أحلك ساعـات الشدة: «**اللهم اهد قومي**»(٢)، ويقول حين يشـتد به الأذى: «**إن لم يكن بك عليَّ غـضب فـلا أبالي**»(٣)؛ لأنه يحـتسب أجـره عند الله وهكذا يجب أن

(١) محمد: ١٧.
(٢) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان (١٣٧٥)، وضعفه الألباني فى ضعيف الجامع رقم (١٦٣٦).
(٣) أخرجه ابن إسحاق كما فى سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٠)، وضعفه الألباني فى ضعيف الجامع رقم (١١٨٢).

يكون الدعاة، لا يثنيهم عن دعوتهم أي أَمْرٍ وَإِنْ عظم، ولا يمنعهم شيء إن سدت في وجوههم أبواب من أن يفتحوا أبوابًا أخرى ومنابر لكلمتهم، وأن يوجهوا صحائف أقلامهم، وأن يحافظوا على المنابر التي جعلها الله تحت أيديهم، فإن تعطَّلَ منبر لأمر من الأمور عملت المنابر الأخرى بأكثر من طاقتها، حتى تعوض عمل المنبر المعطل، والحمد لله فليست هناك منابر معطلة بصفة مستمرة، فكيف إذًا نجيز لأنفسنا أن نعلن في الملأ أننا ينبغي أن نغلق منبر كذا أو منبر كذا؟

والدعاة إلى الله على بصيرة هم عون للناس أجمعين حاكمين ومحكومين، فهم يعينون الحاكمين المخلصين بالمؤازرة والتأييد والنصيحة الصادقة، والمشورة المخلصة، وهم يعينون المحكومين بإرشادهم إلى الخير ودعوتهم إلى الحق، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإبعاد الزيف عنهم ونفي الزبد من طريقهم؛ ليتحقق فيهم ومعهم وبهم قول الله: ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾[(١)] ودعوة الله هي التي تنفع الناس وهي باقية ـ إن شاء الله ـ ما بقي ليل أو نهار، وسوف تبقى منابرها مصابيح للهدى، ومفاتيح للخير ومغاليق للشر، وليس من حق أحد أن يطفئ شمعة تضيء للناس الطريق، ولا أن يغلق بابًا يظهر منه الخير، ولا أن يدعو أحدًا ليتخلى عن منبر للهداية والإرشاد.

(١) الرعد: ١٧.

المبحث الخامس: خواطر دعوية

أولاً: الدعوة بعد الأربعين:

لا تقوم دعوة في الأرض بغير جهود مخلصة، وهمم عالية، وبذل وسخاء، وصبر ووفاء، وعمل دائم لا ينقطع في سبيل إعلاء هذه الدعوة، والامتداد بها حتى تصل إلى كثير من البشر في كثير من البقاع.

ووسائل البلاغ اليوم متعددة ومتنوعة، وهي تصل إلى الناس في الجو والبر والبحر، وتدخل عليهم بيوتهم وتشاركهم في حلهم وترحالهم، والدعاة يأخذون من هذه الوسائل ما يناسب كل أحد منهم وما يتاح له استعماله، وليس غرضنا بيان هذه الوسائل، ولكن غرضنا هو بيان إلى من توجه هذه الوسائل؟ هل توجه الدعوة لعموم الناس أو لخاصتهم؟.

ولا غنى لنا أن نقتبس منهج رسول الله ﷺ الذي بدأ دعوته بعد الأربعين حين جاءه التكليف من رب العالمين، ونزل عليه الروح الأمين يبلغه بأمر الله: ﴿ **إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[1] . فكانت الأربعين هي سن التكليف النبوي للأمين محمد ﷺ، فقام داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، لم يتردد في تبليغ، ولم تغمض لديه فكرة، أو تضطرب خطوات السير في المنهج، فكان تكليفه في الأربعين مبدأ النضج الدعوي والفكري ومبدأ الرؤية الواضحة نحو الغاية المعلومة: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[2] وقد اتجه بها للناس كافة، قريبهم وبعيدهم صغيرهم وكبيرهم، حرهم ورقيقهم، والوثني منهم وأهل الكتاب، فكانت دعوته بحق كما وصفها الله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾[3]، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[4]. ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾[5] .

وبهذا كانت دعوته ﷺ للأمة كلها، ولم تقتصر على مجموعة من الأفراد، أو على جماعة بعينها، أو طائفة معينة لأنها دعوة الحق، وكل من قبل هذا الحق والتزم به دخل في إطار هذه الدعوة، وحمل من مسؤولياتها بقدر ما يستطيع،

---

(١) العلق: ٣ ـ ٥.
(٢) أخرجه أحمد (٤/٦٣)، وصححه الأرناؤوط.
(٣) سبأ: ٢٨.
(٤) الأنبياء: ١٠٧.
(٥) الأعراف: ١٥٨.

ووجب عليه إبلاغ غيره بما يعلمه من التعاليم الإسلامية، عملاً بالأمر النبوي الكريم: «**بلغوا عني ولو آية**»(١).

والتبليغ المأمور به ليس خاصًا بعمر زمني محدد، إنما هو يشمل كل الأعمار ما دام أصحابها يحسنون البلاغ، ويحملون شيئًا من الأمانة، ويبلغوا الرسالة، وحتى ولو كان من بين هؤلاء المبلغين من هو صغير السن، فلا يتعارض ذلك مع ما قلناه من أن سن الأربعين هي سن النضج الدعوى والفكري؛ لأن التبليغ من أي مسلم صغيرًا كان أو كبيرًا هو صورة من صور الدعوة والبناء، والتكوين والتأسيس لمعالم إسلامية راسخة تؤتي أكلها على امتداد الدهور والأزمان، وهو ما يقوم به الدعاة، الذين ينبغي أن يوجهوا جهودهم للأمة كلها، وليس لفئة من أفرادها أو لطائفة من بينها، فالداعية ينبغي أن يكون للجميع، اقتداء برسول الله ﷺ، الذي جعل دعوته لجميع أفراد الأمة، ولكل الجماعات والطوائف الموجودة فيها.

والداعية حين يبلغ الأربعين يكون قد وصل إلى مرحلة النضج والاكتمال التي توجب عليه أن يحمل هم الأمة كلها، ويتجه بالنصح والإرشاد والتوجيه لجميع أفرادها، ويخرج عن الإطار الإقليمي إلى الإطار الإنساني، فلم تكن دعوة رسول الله ﷺ للقرشيين وحدهم، ولا لأهل الجزيرة العربية وحدها، ولا للأغنياء فقط، ولا للفقراء فحسب، ولا للذين أسلموا مبكرين، أو تحملوا الأذى صابرين صادقين، إنما كانت للناس جميعًا، الذين برز من بينهم قادة، حملوا الأمانة من بعد رسول الله ﷺ واتجهوا بها مشرقين ومغربين، فقبل منهم من قبل، وعارضهم ووقف في وجههم من وقف.

المهم أنهم لم يقصروا دعوتهم على فئة معينة أو طائفة محددة أو جماعات خاصة، والدعاة اليوم مطالبون أن يكونوا كالسحاب يمطر في كل أرض، فتستفيد منه الأرض بحسب طبيعتها، وما ركب فيها، سواء أبقى هذا الداعية منتميًا لجماعة معينة أم صار غير منتم لها؟ فإن دعوته وبلاغه للناس إن لم تأخذ صفة العموم فإنه يكون قد وقع في القصور، وانعزل في زاوية ضيقة، وجعل دعوته لطائفة خاصة دون غيرها، وهذا إن جاز قبل سن الأربعين لعموم الأمر بالبلاغ، فإنه غير مقبول بعد

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦).

سن الأربعين، وليس يضير الداعية اتجاهه لدعوة الناس أجمعين، فذلك هو الأصل، وهو منهج النبي ﷺ، ومنهج المهتدين بهديه إلى يوم الدين.

ثانيًا: واجب الدعاة في عالم متغير:

لم نعد نعيش في الزمن الذي تستطيع فيه دولة ما أن تنعزل ـ تمامًا ـ عن غيرها، وأن تنغلق على نفسها، حتى تبرأ من أمراضها، وتنطلق لتلحق بالآخرين، لم نعد نعيش في هذا الزمن؛ لأننا في زمن أصبحت فيه الكرة الأرضية ـ بفعل الثورة في المواصلات والاتصالات ـ أشبه بقرية صغيرة مرصودة من أعلى، كل شيء فيها تحت مجهر الرقابة الذي يمتلئ بأنواعه الفضاء، فلا تغيب عن الراصدين حركة هنا، أو سكون هناك.

ومن أهم الحركات المرصودة بالعيون والعقول البشرية حركة اليقظة التي تظهر في شعب ما؛ إذ سرعان ما تحلل أسبابها وتعرف غاياتها، ويدرك مدى تطابقها مع إرادة الكبار أو مخالفتها لتخطيطهم وتدبيرهم، ومن القائمون بها؟ وإلام يدعون؟ وكيف يحققون ما به يطالبون؟ والصحوة الإسلامية في مقدمة الحركات المرصودة؛ لأنها تدعو إلى يقظة حقيقية قائمة على الأصول الإسلامية في نواحي الحياة المختلفة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

ومن واجب الدعاة إلى الله ألا تغيب عن ذهنهم هذه الحقيقة مع حقيقة أخرى يشهد بها واقع الحال، وتغنينا عن لسان المقال ألا وهي وضع دولهم في المجتمع الدولي، ومكانها بين قوى العالم المؤثرة على الحياة ـ اليوم ـ وعليهم أن يوازنوا بين ما تحتمله دولهم، وما تتيحه لهم القوى الأخرى، حتى لا يشتطوا في آمال بعيدة عن الواقع، ولا يتعلق بحبال الخيال؛ لأن النظام العالمي القائم الآن بالتركيبة التي هو عليها، وفي ظل الظروف الدولية الراهنة، لا يسمح لحاكم من الحكام بالعمل على تطبيق الشريعة، ولو بدأ في التنفيذ وتحدى الإرادة الدولية؛ لتدخلت القوة المهيمنة لتنتزع سلطانه، وتجلب المعاناة المفتعلة أو غير المفتعلة لشعبه وأمته، حتى تجبره للتراجع عما قرره من تطبيق الشريعة، فإن هو خضع لذلك تخلت القوى المهيمنة عن تهديدها، وإن هو استمر ظل الكيد له ولشعبه حتى يتم عزله، ويستبدل به آخرون يرضون بما لم يرض، وينفذون ما لم ينفذ.

ومن واجب الدعاة إلى الله أن يدركـوا ذلك كله حتى يستبين أمـامهم الطريق، طريق النهوض بما فيه من عوائق وعثرات، والشواهد الدالة على ما نقول كثيرة، ومن أقربها وأوضحها تجربة الحركـات الإسلامية في الانتخابات التي تجري هنا وهناك، إذ من غير المسموح به في إطار الظروف الدولية وما يتبعها من عوامل داخلية وخارجية أن تأخذ أى حركة إسلاميـة مهما كان وزنها، ومهما زاد أتباعـها أصواتًا جماهيرية، تدفع بها إلى الصدارة والوصـول إلى مقاليد الحكم، ولو حدث هذا نتـيجة خطأ في التقدير من قبل الراصدين، ففي تدخل الجـيش حسم في الأمر، وإنهاء لسوء التقدير الذي حدث فـي الانتخابات التـشريعـية في الجـزائر، وما تبـعها من تدخـل الجيش الجزائري واستيـلائه على السلطة في البلاد وسط تأييد القوى الكبرى وتشجـيعها، أو على الأقل صمـتها ومـباركتـها لحركـة الجيش التي قمـعت ديمقراطية الانتـخابات، وفتحت الباب أمام العنف الذي ما زال قائمًا حتى اليوم في الجزائر، وفي هذه الحركة الجزائرية خير شاهد على ما أقول لما يسـتدعى من الدعاة أن يستفيدوا من روح الدين العامـة بين الناس، وأن يوحدوا سـبيلهم ويحـددوا هدفهم، وأن يوقنـوا أن المشروع الإسلامي لا يمكن أن ينهض بأعـبائه وتكاليفـه، تنظيم واحد مهمـا بلغت قوته، بل لابد من تضـافر كل جهـود الإسلامـيين على الساحـة؛ لتجـعل المطالب الإسلامـية مطالب المجتمع بأسره، بحيث يسير المشـروع الإسلامي مشروعًا يغطي المجتمع كله، وتتفاعل معه الجماهير تفاعل المشاركة الإيجابية الفعالة لأنه غايتها ومطلبها.

وإذا كـان مثل هذا المشـروع الواسع الانتشـار لم يتـحقق حـتى الآن فليس من المستحيل تحقيقه، ولنا أسوة في المشـروع الخيري، الذي ما تكاد تطرحه جهة ما حتى تجد صـداه عند قطاع عريض من أبناء المجـتمع، يشـاركون فـيه بالكثيـر أو القليل، ويحمل كل واحد من أبناء المجتمع صغيرًا أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثى شيئًا من عبء هذا المشروع الخيري، ليشارك في بنائه، ويحـقق وجوده على أرض الواقع في مجتمع من مجتمعات المسلمين.

وعلى الحـركـات الإسلامـيـة أن تفـتح أبوابهـا لعلمـاء الأمة، تـتلقى عنهم، ويتفـاعلون هم مع دعوتها ومطلبـها، ويحملون الرسـالة معهم، ويقـومون بدورهم الإسلامي في وراثة النبوة، وهي لـم تترك سبيلاً من سبـل الدعوة إلا سلكته ولا بابًا

إلا طرقته في إخلاص وتجرد، وبعد عن الأثرة، وهذا واجب العلماء حتى لا يكونوا حائلاً يحول دون وصول الدعوة الحقيقية إلى المسؤولين، وحتى يختطوا لأنفسهم طريقًا يتبعهم فيه من بعدهم للدعوة إلى الصراط المستقيم.

ومن واجب الدعاة، وهذه الحقائق أمامهم ـ أن يتركوا الأطروحات المتشنجة التي لا يقبلها المجتمع، وأن يدركوا أن من منهاج النبوة: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[1]، وأن من منهاج النبوة: «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» وأن من هدي القرآن الكريم: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2]، والأطروحات المتشنجة فضلاً عن مخالفتها للمنهج القويم تستثمر أسوأ استثمار من فئة تحسن استثمار هذه الأطروحات المتشنجة، بحيث تعود هذه الأطروحات على الإسلاميين نكالاً ووبالاً، ومن واجب الدعاة أن يعلموا أن الأمة لا تتقدم بغير جناحين: الأمراء والعلماء، وأن التقاعس في أي جناح من هذين يخل بتقدم الأمة.

(١) سبق تخريجه.
(٢) النحل: ١٢٥.

ثالثًا: الإنصـــاف:

أنصف فلان: عـدل، وأنصف فلانًا: عامله بالعدل. ويقـال: أنصف فلانًا من فلان، استوفى له حقه منه. هذا ما جاء في المعجم الوسيط في مادة «نصف». وعليه يكون الإنصاف هو العدل وإعطاء كل ذي حق حقـه، وهو جزء من الحكمة التي قال الله فيها: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ (١). وليس من الإنصاف أن ينسى المؤمن نـفسه وأسرته وواجـباته الاجتـماعية من أجل التـفرغ لطلب العلم مثلاً أو من أجل التفرغ لتجارة أو ولاية أو غير ذلك.

والحياة المتـوازنة هي الحياة التي لا يطغى فيـها جانب على آخر، ولا يهتم فـيها شيء على حسـاب شيء آخر، وربما مثل هذه الحيـاة التي تمثل الإنصاف خيـر تمثيل الحديث الذي أقره رسول الله ﷺ: «**إن لربك عليك حقـا، ولنفسك عليك حـقا، ولأهلك عليك حـقا، فأعط كل ذي حق حـقه**». وحين نقل هذا الكلام عن سلمان الفارسي إلى رسول الله ﷺ قال: «**صدق سلمان**» (٢).

هذا التوازن في الحياة القائم على الإنصاف فـيها وهو ما عانى منه ابن الجوزي، حيث لم يستطع أن يطبقه خير تطبيق فـقال: «فَوَا قلقي من طلب قيام الليل، وتحقيق الورع مع إعـادة العلم، وشغل القلب بالتـصانيف، ووا أسـفى على ما يفـوتني من المناجـاة بالخلوة مع مـلاقـاة الناس وتعليـمـهم، ويا كدر الـورع مع طلب لابد منه للعائلة، غـير أني قد استـسلمت لتعذيبي ولعل تهـذيبي في تعذيبي، وإن بلغ همي مـراده وإلا فنيـة المؤمن خيـر من عـمله»(٣)، والذين اسـتطاعوا أن ينجـوا من هذا التعذيب الذي استسلم له ابن الجوزي قلة قليلة أنصفت أسرتها وأبناءها وأنصفت في حياتهـا فتوازنت واعتدلت، ثم أنصـفوا مع غيرهم في الأقوال والأعـمال والأوقات والانبساط والانقباض وغير ذلك من المعـاني التي أرشد الإمام الشافعي تلميذه يونس ابن عـبـد الأعلى له بقـوله: «يا يونس، الانقـباض عن النـاس مكسبـة للعـداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط»(٤)، أي: كن معتدلاً

---

(١) البقرة: ٢٦٩.
(٢) أخرجه البخارى (١٩٦٨).
(٣) صيد الخاطر: ٢١٦، ٢١٧.
(٤) نزهة الفضلاء: ٢/ ٧٤١.

في حياتك في حالي الإقبال على الناس أو الإدبار عنهم وهذا جزء من الإنصاف.

ومن الإنصاف أخذ الحياة مأخذ الجد، مع عدم إهمال أي جانب أو المغالاة في أي جانب، والذين أرادوا بعد أن سألوا عن عبادة الرسول ﷺ أرادوا أن يشتدوا في العبادة ويبالغوا فيها ردهم الرسول ﷺ إلى الصواب بقوله: «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١].

والناس من قديم تشغلهم أمور عن أمور فيتعذبون كما تعذب ابن الجوزي حين قال: «استسلمت لتعذيبي، ولعل تهذيبي في تعذيبي»، لعل شقاء الإنسان بعدم الإنصاف يرده إلى الإنصاف ويرجعه إليه، فيكون تهذيبه في تعذيبه، فطلاب العلم الجادون لابد أن يكون ذلك منهم على حساب جوانب أخرى في حياتهم وحياة أسرهم، وقد عبر عن ذلك سفيان بن عيينة حين قال: «لا تدخل هذه المحابر بيت رجل إلا أشقى أهله وولده»[٢]، وهل يحب أحد أن يشقى أهله وولده؟ ولكنه البعد عن الإنصاف في حياة المرء خاصة به وبأهله وأسرته تجاه ما يقوم به من أعمال عامة لها ضرورتها ونفعها لقطاع عريض من البشر قد يشمل كثيرًا من أبناء المجتمع، فماذا يعمل الإنسان؟ إنه الالتزام بمنهج الرسول ﷺ الذي أخبرنا به في قوله: «**سددوا وقاربوا**»[٣]، فإن لم يكن الإنصاف تامًا فلا بأس أن يكون هناك شيء لتستقيم حياة الفرد مع أسرته وأبناء مجتمعه، والإنسانية كلها.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣).
(٢) نزهة الفضلاء: ٢/ ٦٧١.
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

رابعًا: هل...؟

في بعض الأحيان تنتـاب الإنسان الأشجانُ، وتتكاثر على لسانه الأسـئلةُ تعبر عن مكنون الفؤاد ومكتوم الصدر، مما يحل بالساحـة الإسلامية من أحزان وأفراح ومن آلام وآمال، ومن عسر ويسر. . . وكنا من قبل قـد نشرنا تحت عنوان مَنْ. . ؟ مجموعة مما جاش في الصـدر، واليوم نسـتخـدم إحدى أدوات الاستـفهـام (هل)؛ لنعبـر بها عن مجموعة أخرى من واقع الأحداث، ورؤية التيار الإسلامي لها وموقفه منها، ونتساءل:

هل تستطيـع الحركة الإسـلامية اليـوم أن تحدد المدة التي تسـتطيع فيهـا أن تبرز الجوانب الإسلامية في المجتمع، بحيث تكون هي الغالبة في حياة مجتمع المسلمين؟

وبمعنى آخر: هل تستطيع الحركـة الإسلامية أن تعلن: متى سـتصل إلى أسلمة المجتمع؟

بمعنى أن يستقر في نفوس أبناء المجتـمع كلهم أو معظمهم، أن الإسلام كما هو دين عام للبشرية، هو نظام حياة وعنوان حضارة، ومنبع عزة ومنهاج رُقِيّ، وأن غيره من مناهج الأرض لا يسمو سموّه، ولا يرقى رقيّه، وإن ادعى البعض ذلك.

هل تسـتطيع الحـركة الإسـلاميـة أن تكسـر حاجز التـوجس القائم بينـها وبين السلطات، بحـيث تطمـئن السلطات لأبناء الحـركـة، ويثق أبناء الحـركة في وعـود السلطات، فتنتهي بذلك لعبة القط والفأر التي تمارسها السلطات مع الحركة الإسلامية في بعض البلدان؟ وهي لعبة لا تنتهي من بلد إلا لتبدأ في آخر.

هل عند الحركـة الإسلاميـة برنامج مخطط للمـستقـبل القريب؟ بحيث تستطيع أن تحدد: ماذا تريد من أبنائهـا خلال السنوات الخمس القادمة؟ ومـاذا تستطيع أن تقدم لهم، وإلى أي مدى سيكون انتشارها في المجتمع، عن طريق اعتناق مبادئها والسير على هديها؟

هل يمكن للحـركة أن تطرح كشف حـسابها في السـنوات العشر الماضـية؟ ماذا حققت؟ هل كـسبت أم خسرت؟ لقـد كانت هذه السنوات الماضيات مليـئة بأحداث على مستـوى العالم الإسلامي، تأتيـه من خارجه، أو **تحدث فـيه من داخله،** وهي أحداث قد يصنعها أعداء الأمة، أو أبناء الحـركة، أو غيرهم من العلمانيين والسائرين على دربهم، فأحداث الجزائر، ومصر، وأفغانستان، وباكستان، وفلسطين المحتلة والقدس الذبيح، والتفاعلات الكثيـرة التي حدثت وتحدث في البلاد الإسلامية، **هل**

استفادت الحـركة منها؟ وهل حاولت أن توظفـها لصالحها؟ وأن توسع طـريقها بين الناس؟ وبمعنى مختصر: هل تقدمت الحركـة في السنوات العشر الماضية أو تقهقرت وتأخرت، وأكل بعضها بعضا في أماكن من عالمنا الإسلامي في الشرق والغرب؟

هل الحركة تلاحق الأحداث وتتابعها، وتحسن التصرف فـيها مشاركة واقترابا، أو اجتنابا وابتـعادا، أو أن الحركة غـير قادرة على متـابعة الأحداث بالأفعـال، فهي تكتفي بالنظر والرؤية، دون الفعل والحركـة؟ وقبل هذا، هل الحركة تصنع الأحداث أو تشارك في صنعها أو هي خارج هذه الحدود فلا هي تصنع حدثا، ولا هي تتابعه؟ هل الأمر كذلك؟

هل الحركة الإسلامية تستطيع أن تكتسب قدرة الحركة الصهيونية على صناعة الحدث ونشره، واستغلاله والاسـتفادة منه، وتسخيره لخدمة أهدافـها، رغم إيماننا بوجوب سلامة المقصد والوسيلة عند الحركة الإسلامية وخلوّ الحركة الصهيونية من هذه السلامة؟

هل استطاعت الحركات أن تقيم مؤسسات دعوية قوية، وتكون ـ بعملها ـ مددا للحركة الإسلامـية في طريق الاتصال والربط بينها وبين الجماهيـر الإسلامية في بلاد الله الواسعة؟

وهل استطـعنا أن نمد المؤسسـات الدعوية في غيـر بلاد المسلمين بالدعاة الذين يوحدون ولا يفرقـون، ويكون همهم دعوة الناس إلى التوحـيد لا إلى التنظيم؟ هل تخلص بعض أبناء الحركة من حب الزعامة، ونفخـة الرئاسة، وفعلوا كما فعل خالد ابن الوليد حين عزل عن القيادة وهو الذي لم يهزم قط، فقال: إني أجاهد في سبيل الله ويستوي في ذلك أن أكون قائدا أو جنديا، واستمر في جهاده في سبيل الله؟

هل التأثير والتأثر بين الحركة والمجتمع متناسب؟ هل تأثير الحركة أغلب أم تأثير المجتمع أقوى؟

إن الحركـة ليست نبتـا غريبا في مـجتمع المسلمين ولـكنها نبت نضيـر، فلماذا يحجب عنه الماء والضوء من هنا أو من هناك؟

وفي الختام، هل يستطيع قـادة الحركة الإسلامـية أن يتحدثوا بعـبارات علمية ودراسات إحـصائيـة، أين هم من القرن القـادم؟ وماذا يريدون من أبنائـهم والأفراد

والقيادات الوسطى؟ أين موضع كل واحد من أبناء الحركة في بناء المجتمع الإسلامي؟ متى نسمع إجابات عن هذه الأسئلة؟ إن هذه الأسئلة وغيرها مما يثار على الساحة الإسلامية تكون دائما في مخيّلة الشباب، وهم ينتظرون من قيادات العمل الإسلامي أن تحدثهم عن دراسات قائمة على التخطيط والنظرة إلى المستقبل، فهل تأتي الإجابة؟ بعد كل لقاء يتم بين القادة الإسلاميين وأبنائهم؟ فالشباب بعد الكلمة التوجيهية والإيمانية التي يُبدأ بها ينتظرون من قدواتهم أن يتحدثوا عن دراسات خرجت من مصانع الرأي والتخطيط والاستشراف المستقبلي، وقبل هذا كله:

استطاعت الحركة الإسلامية أن تمنح شبابها الإجابة الشافية والكافية عن هذه الأسئلة الثلاثة. . . من أنا؟ . . . وماذا أريد؟ . . وما وسيلتي لتحقيق ما أريد؟ .

خاتمة

كان ما سبق تطوافا على تلك الجدران الشامخة للدعوة، جدران ما عرفت إلا الحصون... وما ظهرت إلا مفضضة مذهبة... جدران واضع أعمدتها محمد ﷺ، ابتنى أساسها بأمر ربه سبحانه... بنيان لم تعرف الجرف الهار... ولا الحرف المتردى كسف لا وهي موصولة بالله...

أما عن نقوش الجدران، فهي خبرة مفعمة بالإيقاع... وموشَّاة بالحرقة... ومعبقة بالزفرة.. ومشوبة بنبرة التعجب من الضياع في المحيط الإسلامي... من أقصاه إلى أدناه... ومن سافله إلى أعلاه... تلك نقوش تمثل همة المقل... وزفرة المحترق على جدارٍ تحصن به الأقدمون... وحفظ عماده السابقون... ولم نحسن صونه ولم نف بمقتضى حفظه علينا... وكأني بنبي الله موسى وعبد الله الصالح الخضر يهتفان بأمة محمد لله في ألفيتنا الثالثة... أن يا أمة خير الورى استعدي... وتبسلي... وبغير ربك لا تتوسلي... فإن الله حافظ جدارك.. ولا مكمل نقشك وهاديك لدربك.. أما رأيت يا أمة سيد الأنبياء جدار الغلامين اليتيمين بالمدينة.. كيف صانه الله إذ أمرنا أن نقيم أوده... وعلى أساسه نرده... على رغم ضياع قرية الغلامين في عوالم الدنيا... وملذاتها العاجلة... ولم يغيثونا بمأوى إذ استأويناهم.. !!

أو ما جاءكم عن ربكم قوله عنا : ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**﴾(١).

أو ما جاءكم الخبر... عن ذلك السر في صون هذا الجدار...؟!! إنها كليمات... لو وعتها أمة محمد ﷺ لما كان لجدارها أن يتهدم وإن استبصرتها أمة محمد ﷺ لما كان لغيرها أن يتطاول عليها، إنها سر الأسرار... إنها الذخر للجدار، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾ (٢).

---

(١) الكهف: ٧٧. (٢) الكهف: ٨٢.

نعم والله إن ذلك لهو حصن الدعـوة الحصين. . . وأساسها المتين، ودربهـا غير المهين. . وهي معايير أسعى لنقشهـا ولكشف فحواها وسرها في تلك التأملات التي جاءت ضاربة في أودية الدعوة.

وكلهـا تأملات تلاقي على الصـلاح والإصلاح والاسـتصـلاح والانصلاح. . . وتشكيله مصبوغًا بالإسلام ظاهرًا وباطنًا. . . واستصلاح الأنظمة كلها بالشريعة.

ثبت بأهم المراجع

ـ **الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة**، أبو الأعلى المودودي.
ـ **الإسلام والديمقراطية**، فهمى هويدي.
ـ **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات** ـ المعهد العالي للفكر الإسلامي ـ فرچينيا ـ الولايات المتحدة ـ الدار العالمية للكتاب الإسلامي ـ الرياض الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
ـ **أصول الدعوة** عبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية ـ بغداد، ١٩٨١.
ـ **الأصولية فى العالم العربي**، ترجمة عبد الوارث سعيد.
ـ **الأصوليات المعاصرة**، جارودي.
ـ **أضواء على التجربة اللبنانية فى لبنان**، فتحي يكن.
ـ **تاريخ الطبري**، ابن جرير، دار المعارف ـ مصر.
ـ **تفسير آيات الأحكام**، محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي.
ـ **تهذيب سيرة ابن هشام**، عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي.
ـ **جريدة الشرق الأوسط.**
ـ **الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربي**، محمد الغزالي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
ـ **الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب**، محمد العروسي المطوي.
ـ **الحلول المستوردة**، د/ يوسف القرضاوي.
ـ **دور حرية الرأي فى الوحدة الفكرية بين المسلمين**، هيروت ـ فرچينيا ـ المعهد العالي للفكر الإسلامى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
ـ **سلسلة العلاقات الإنسانية والإشراف والاستشارة**، تحرير جمعية الكبار الأمريكية، تحقيق: جابر عبد الحميد جابر بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين ـ القاهرة ـ نيويورك ١٩٦٤م
ـ **صيد الخاطر**، ابن الجوزي.
ـ **صحيفة الوطن الكويتية.**
ـ **العرش الأردني بين الخيانة والتآمر**، محمد العباسي.
ـ **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية فى عصر بني أمية وملوك الطوائف**،

د. رجب محمد عبد الحليم.

ـ **فى ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السادسة والثلاثون ٢٠٠٧م.

ـ **المتساقطون على طريق الدعوة**، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ـ **المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب**، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

ـ **مجلة حصاد الفكر الكويتية.**

ـ **مجلة المجتمع الكويتية.**

ـ **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، دار الدعوة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

ـ **مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، لأبي شامة، د/ محمد بن موسى بن عقيل، دار الأندلس الخضراء.

ـ **مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامي**، دار الفكر ـ دمشق ١٤٠٨هـ.

ـ **مشكلات الدعوة والداعية**، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٨م.

ـ **معجم المصطلحات السياسية الدولية**، أحمد زكي بدوي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

ـ **المعجم الفلسفي**، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

ـ **المعجم الوسيط**، دار عمران القاهرة.

ـ **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، محمد حسنين هيكل، الكتاب الأول.

ـ **المقدمة**، ابن خلدون، طبعة الذخائر.

ـ **نزهة الفضاء.**

ـ **نظرات فى الدولة الإسلامية**، د/ جاسم بن مهلهل الياسين.

ـ **نظرات في مسيرة العمل الإسلامي**، عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة رقم (٨) ـ قطر، ١٤٠٥هـ.

الفهرس

هذا الكتاب

دعوة إلى ضرورة إيقاظ الأمة، وإعادة النظر في طرائق التربية، ووسائل الإيقاظ بدءا من المنزل والمسجد والمدرسة وانتهاء بالبرلمان ومجالس التشريع وآلية الحكم.

فيتحدث الكتاب عن:

- الحكومية الخفية.
- شمعة في الظلام.
- الخليج المؤرق.
- حتى لا يخطئ التاريخ.
- نحو تأصيل العمل السياسي في الإسلام.
- أصحاب المناصب بين المصالح والمبادئ.
- ضوابط العمل السياسي الإسلامي.
- أهمية المؤسسات الشرعية في العمل السياسي..

فيتحدث الكتاب عن: الصدق في الخطاب الدعوى، وصناعة الأفراد وبناء المؤسسات، وعقبات التحول إلى الجماهيرية، وكيفية اقتحام المستقبل، ويبين سبب العداء للصحوة الإسلامية، ودور الفكر في عملية التغيير، وآلية التعاون بين الجماعات الإسلامية، ويتحدث عن صراع المرجعيات.. وواجب الدعاة في عالم متغير.

المؤلف

مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت - المنطقة التجارية رقم ٩بلوك ١مكتب ١٢.
E-mail: alsamaha_laib@gmail.com